اختيارات ياقوت الحموي الشعرية ودلالاتها

دراسة للحياة العربية في العصر الجاهلي

هاني محمد عبد الكريم عبود

بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها

جامعة اليرموك

١٩٩١م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة مؤتة

تخصص اللغة العربية وآدابها

أعضاء لجنة المناقشة :	التوقيع
١- د. علي المحاسنة	
٢- أ.د. رشدي الحسن	
٣- د. شفيق الرقب	

تاريخ تقديم الرسالة : ١٩٩٥/١٢/٢٣م

تاريخ مناقشة الرسالة : ١٩٩٧/٧/١٢م

المقدمة

إنّ الوقوف على حياة العرب قبل الإسلام أمر عظيم الشأن ، وهو ضروريٌ لمن يدرس أدبهم وعقليّتهم ؛ لأنّ العصر الجاهلي له أهميّته عند المنصفين من الدارسين ، فهو تراث أمة متّصل حاضرها بماضيها ، والتعرف إلي وقائعه هو سبيل التعرف إلى مكونات هذه الأمة . وطالب العربيّة لا غنى له عن دراسة ذلك العصر ، وقيمه وتقاليده ، ولا يسعه أن يستغني عن كتاب يبيّن له مواقع ما يمر به في أبحاثه ودراساته من بلدان وأمكنة وتضاريس طبيعية ، ولئن كان الشعر العربي اليوم قد تخطّى العصر الجاهلي ، وأخذ شعراؤه بأسباب المعاصرة ، فإنّ هذا لا يمنع من رؤية ذلك العصر أساساً لحياتنا المعاصرة لربط الحاضر بالماضي. وماتطوّر الشّعر الحديث وما وصل إليه بالشكل والمضمون إلاّ دلالة أكيدة على مواكبة الفن الشعريّ لجوانب الحياة في أيّ زمان ومكان. ، من ذلك تبرز أهمية هذا الموضوع ميداناً لدراسة اختيارات ياقوت الحموي الشعريّة في معجمه مرآةً لحياة العرب قبل الإسلام . وقد حظيت الحياة العربية في العصر الجاهلي باهتمام بالغ من كثير من المؤلفين القدامى والمحدثين ، حيث تناولتها كتب الأدب والتاريخ والجغرافية والمعاجم اللغوية ، يذكر منها على سبيل المثال كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي ، والأغاني للأصفهاني ، وكتاب الأمكنة والمياه والجبال للزمخشري ، وكتاب الأصنام للكلبي، وأديان العرب في الجاهلية لمحمد الجارم. وقد تخصص كتاب « الحياة العربية من الشعر الجاهلي » لأحمد الحوفي لقضيّة تمثّل الشعر الجاهلي للحياة العربية ، وبين أنور أبو سويلم في كتابيه : الإبل والمطر في الشعر الجاهلي ، جوانب من الحياة العربية الجاهلية تتمثل في ممارسات وطقوس ومعتقدات ، وتضمّن كتاب قضايا الشعر الجاهلي لعلي عتوم ، قضية تمثيل الشعر الجاهلي للحياة ، وحظي معجم البلدان بدراسة لعباس السعدي والموسومة (في التراث الجغرافي) ركز فيه على بلدان العراق في معجم البلدان ، ودراسة أخرى لعمر الأسعد ، و...

لاستشهاد معجم البلدان في المنهج والدلالة والأداء، وقد نشر بحثه في مجلة مؤتة م٦، ع٢، ١٩٩١م، لكن اختيارات ياقوت الشعرية فلا أظنّ أن أحداً قد جعله ميداناً لدراسته، وتمثيلاً لحياة العرب في العصر الجاهلي. إن طبيعة هذا البحث تقتضي أن تستوعب الدراسة مناهج الدرس الأدبي التكاملي (على الأغلب) ، فجمع الأشعار التي استشهد بها تقتضي منهجا وصفيا ، وما يتعلق بشعر الأيام والوقائع تقتضي المنهج التاريخي ، وتضطر الدراسة إلى الإفادة من المنهج النفسي والاجتماعي ، في إطار الكلام عن الجانب الاجتماعي من الحياة العربية ، للكشف عن العلاقة بين الشعر والمجتمع. ولعل تعدد مظاهر الحياة في العصر الجاهلي قد كان من المصاعب التي حالت دون الإلمام بالموضوع بشتى جوانبه ، إلاّ أن تحديده بمعجم البلدان قد ضيق من إطاره وأعطى حافزاً للدراسة ، فقد دُرست الشواهد الشعرية ، وتم تصنيفها حسب ما اقتضته خطة البحث ناطقة بحياة العرب قبل الإسلام . وجاء الاختلاف مع دراسة الآخرين ؛ بأن الاختيارات الشعرية لدى المعجم قد جاءت ممثلة لحياة العرب الجاهلية ، من خلال ما استشهد به صاحب المعجم ، ووصفه الأماكن والمواضع ، وتحدّد موقعها في الهوامش ليقرّب المعنى للأشعار الواردة . وعليه تعد هذه الدراسة غير مسبوقة تمثيلاً للحياة العربية من شواهد المعجم . وتأتي الدراسة بعد المقدمة في أربعة فصول ، تخصص الأول منها في الجانب الاجتماعي ، الذي تضمن العلاقات الأسرية والقبلية ، وأثر المال في البيئة الاجتماعية ، ويبين الفصل الثاني جوانب الخلق العربي من كرم وشجاعة ، وبخل ، ووفاء وعفة ، ويعرض الفصل الثالث للجانب الديني في معبوداتهم ، وأما الفصل الرابع فسوف يلم بجوانب المعتقدات الجاهلية والعادات ، حتى تخلص الدراسة إلى خاتمة تبيّن أهم ما تُوصل إليه ، ثم قائمة المصادر والمراجع والشعراء ، ثم فهرس للموضوعات. والآن لا يسع الطالب إلاّ أن يتقدم بجزيل العرفان والتقدير إلى المشرف الدكتور علي محاسنة الذي أبدى توجيهات وإرشادات للطالب ، مقدرين جهده ، حتى اكتمل بناء الدراسة وبرزت إلى حيّز الوجود . ومما تطمئن إليه النفس بأن الطالب لم يأل جهداً تجاه الدراسة ، فهذا الجهد يوضع بين الأيدي ، فإن كان صائبا فبنعمة الله وحمده ، وإن كان غير ذلك فمن الهوى والنفس ، والكمال لله وحده ، والله نسأل التوفيق والثبات .

الفصل الأول

الجانب الاجتماعي

أولا : العلاقات الأسرية

١-المرأة :

تعدّ الأسرةُ الأساس في البناء الاجتماعي ، التي تنشأ من اجتماع الرجل والمرأة والأولاد . ومحور الأسرة الرئيس هو المرأة ، التي تبرز علاقتها بالشاعر في صور متعددة : فهي الأم ، والزوجة ، والصاحبة .....

وقد أعزَّ الرجلُ العربي المرأةَ وأحبها ، وذكرها في مقدمة قصائده ، وتذوّق مرارة اللوعة على هجرها ، وتمنعها ، ورحيلها ، فوقف يندب حظه على أطلالها مسترجعا الماضي السعيد ، وأول ما يكون الحديث عنها كونها أمّا .

الأم :

الأم هي زوجة لرجل ، وأم لبنين ، تُقدَّم على الزوجة ؛ لأنّها مصدر الحب والحنان والعطف ، يتشكل البَنُون إلى حد كبير بتربيتها ، ويصيرون ثمراتها الواعدة في مقتبل أعمارهم ؛ فتفخر بهم وتسعد ، ولها مكانةٌ عظيمة في إطار القربى ، إذ كان العرب يجلونها ، حينما تكون أما [١] ، ويرتفع قدرها إذا ما ولدت ، وكثيرا ما كان الشاعر الجاهلي يعبر عن الأخوة بأنهم أبناء أمّه ، في مجال الاستعطاف ، أو الفخر ، كقول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك :

وفقدُ بني أمٍّ تداعَوْا فلم أكنْ ... خلافَهُمُ أنْ أستكينَ وأضرَعا

سقى الله أرضاً حلَّها قبرُ مالكٍ ... ذهابَ الغوادي المدجناتِ فأمرَعا

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي ، أحمد بن محمد (-٣٢٨هـ) : العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر : بيروت (د.ت)لجنة التأليف والترجمة والنشر (د .ت) ٢/٢٦٤.

فمُنْعرج الأجنابِ من حول شارع فروّى جنابَ القريتين فضلفعا [1]

وقدر العرب المنجبات ؛ لذلك ضربوا ببعضهن المثل ، فقالوا :« أنجب من عاتكة » وهي بنت هلال السُلَمِيّة ، التي ولدت لعبد مناف بن قصي : هاشماً ، وعبد شمس ، والمطلب [2] ، و «أنجب من أم البنين» [3] مما جعل لبيد بن ربيعة يفخر بها على مسمع من النعمان بن المنذر ، ويعرّض بالربيع بن زياد العبسي ، على أثر تملّك النعمان :

نحن بنو أمِّ البنينَ الأربعَه

ونحن خير عامرِ بنِ صعصعه [4] .

كنيتها باسم ابنها :

كانت الكنية أثيرة عند المرأة فشاعت كنيتها باسم ابنها تكريما لها ، وورد ذلك في أشعارهم ، قال عروة بن الورد :

عفتْ بعَدنا من أمِّ حسّان غَضورُ وفي الرّمْل منها آيةٌ لا تَغيَّرُ

وبالغروِ والغرّاءِ منها منازلٌ وحولَ الصّفا وأهلُها مُتدَوَّرُ [5]

وقال الشنّان بن مالك :

ولو شهدتّني أمّ سَلْم وقومها بعبلاء زهو في ضُحًى ومقيل

رأتني على ما بي لها من كرامة وسالف دهر قد مضى ووسيلُ [6]

(١) معجم البلدان : ضلفع ، موضع باليمن ، - وشارع - من جبال الدهناء ، ذهاب :جمع ذهبة ، وهي الأمطار الخفيفة والغوادي : جمع غادية ، السحابة التي تمطر غدوة ، الضّبي : المفضليات ، تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، ط١ ، مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٤٣م ج٢/٦٨ .

(٢) الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (-٥١٨هـ) : مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ؛ ج٢/٣٥٠ .

(٣) الميداني ٢/٣٥٠ .

(٤) لبيد بن ربيعة : الديوان ، دار صادر : بيروت ، ص ٩٣، والميداني ٢/١٠٣ .

(٥) معجم البلدان :(غرو) موضع قرب المدينة ، و-غضور - بين المدينة وبلاد خزاعة وكنانة ، والغراء : موضع في عقيق المدينة.

(٦) معجم البلدان : (زهو) موضع في ديار بني عقيل ، كانت فيه وقعة بينهم ، والوسيل : المنزلة الرفيعة ، والشنان هو من بني معاوية بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقال بشر بن أبي خازم :

لعمرك ما طلابُك أمّ عمرو　　　ولا ذِكْراكَها إلاّ ولوع

أليس طِلابُ ما فات جهلاً　　　وذكرُ المرء ما لا يستطيع ؟ (1)

وقال أبو ذُؤيب الهذلي :

أصبح من أمّ عمرو بطنُ مرّ فأكـ　　　ـناف الرّجيع فذو سدر فأملاح

وحشاً ، سوى أنّ فرّاد السّباع بها　　　كأنّها من تبغّي الناس أطلاحُ (2)

وقال أبو قلابة الهذلي :

يئستُ من الحذيّة أمّ عمرو　　　غداة إذِ انتحَوْني بالجناب (3)

وقال زهير بن أبي سُلمى :

غشيتُ ديارا بالنُّبيع فثمهد　　　دوارس قد أقْوَيْنَ من أمّ معبدِ (4)

---

(1) معجم البلدان :(حنين) موضع عند مكة ، وبشر هو ابن عمرو الأسدي ، من فرسان الجاهلية وفحول شعرائها ، قال أبو عمرو بن العلاء : فحلان من الشعراء كانا يقويان ، النابغة وبشر ، رثى نفسه قبل موته -٩٢ ق.هـ. وابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم الدينوري : الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص١٦٤ .

(2) معجم البلدان : (بطن مر) ، موضع قرب مكة ، والرجيع ماء لهذيل بين مكة والطائف ، وسدر موضع ، والأملاح ، موضع ، وأطلاح وطلاح : جمع طلح ، الأعياء من السفر ، وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد ، مخضرم ، كان راوية لمساعدة بن جؤية الهذلي -٢٨هـ . الشعر والشعراء ٤٣٥ .

(3) معجم البلدان : (الجناب) ، بين المدينة وفيد لبني فزارة ، والحذية : قرب مكة ، ديوان الهذليين ٣/٣٢، ٢/٢٠٩

(4) معجم البلدان (نبيع) موضع قرب المدينة ، وثهمد: في ديار بني عامر . الديوان ٢٦ والشنقيطي ، أحمد بن الأمين : شرح المعلقات العشر ، مكتبة النهضة : بغداد ١٩٨٨ ، ص ٢٥ .

وقال عمرو بن شأس الأسدي :

غشيتُ خليلي بين قوّ وضارج		فروض القطا رسماً لأم المسيّب [1]

وقال الأبيرد بن هرثمة العذري ، تزوج امرأة وساق إليها خمسين من الإبل :

وإني لسمحٌ إذ أفرّقُ بيننا		بأكثبةِ البقّارِ يا أمّ هاشم

فأفنى صداقُ المحصنات إفالَها		فلم يبقَ إلا جِلّةٌ كالبراعم [2]

وقال تميم بن أبيّ بن مُقبل :

أأمُّ تميم إنْ تَريْني عدوّكم		وبيتي فقد أغنى الحبيبُ المُصافيا

أحقاً أتاني أنَّ عوفَ بن عامر		ببين رما ، يهدي إليّ القوافيا [3]

واحتذى اليهود بالعرب في فخارهم بأمهاتهم ، فيفخر السموءل بأنهم انحدروا إلى بطون خير الأمهات :

صفَوْنا فلم نكدُرْ وأخلص سرُّنا		إناثٌ أطابتْ حملَنا ونحولُ

علَوْنا إلى خير الظهور وحطّنا		لوقتٍ إلى خيرِ البطون نزولُ

لنا جبلٌ يحتلُّه مَنْ نجيرُه		منيعٌ ، يردُّ الطرفَ وهو كليلُ

رسا أصلُهُ تحت الثرى وسَما به		إلى النجْمِ فرْعٌ ، لايُنال طويلُ

هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره		يَعِزُّ على من رامَه ويطولُ [4]

وقد جمع المقدامُ بنُ زيد سَيِّدُ حيّ بن خولان فخرَه بأمه إلى فخره بأبيه ونسبه ، فقال :

نمَتْنا إلى عمرو عروقٌ كريمةٌ		وخولانُ معقود المكارم والحَمْدِ

أبونا سما في بيت فَرْعَيْ قضاعة		له البَيْتُ منها في الأرومة والعَدِّ

---

(١) معجم البلدان : (روضة القطا) قرب جدود ، وقوّ : بين فيد والنباج ، وضارج : بين اليمامة والمدينة.

(٢) معجم البلدان : (بقار) ، رمل بنجد ، وبناحيته اليمامة ، إفال وأفائل : جمع أفيل وهي صغار الإبل ، وجلّة الإبل :كبارها.

(٣) معجم البلدان : بين رما ، موضع وواد قرب المدينة ، وتميم هو بن بني عجلان ، مخضرم ، رثى عثمان -رضي الله عنه.

(٤) معجم البلدان : (الأبلق) حصن السموءل في منطقة تيماء : سمي لأن في بنائه بياض وحمرة . والسموءل عبراني معرّب «سمويل» «بمعنى عطية الله» وهو ابن غريض بن عادياء الأزدي ، شاعر يهودي ، اشتهر بالوفاء لـ «امرئ القيس» أكثر من شهرته بالشعر توفي نحو ٦٥ ق.هـ ، والميداني : مجمع الأمثال ٢/ ٣٧٤ .

وأمّي ذاتُ الخير بنتُ ربيعةٍ ضريّةُ من عيصِ السماحة والمجدِ

فنحنُ بَنُوها من أعزّ بنيّةٍ وأخوالنا من خير عودٍ ومن زنْدِ

وأعمامنا أهلُ الرِّياسة حِميرٌ فأكرمْ بأعمام تعودُ إلى جدٍّ [1]

وافتخر العرَبي بحريّة الأم للعِلية والعامّة ، قال الشنفرى :

أنا ابن خيار الحِجْر بيتاً ومنصباً وأميّ ابنة الأحرار لو تعرفينها [2]

بل لقد تبلغ عزة الشخص بأمه إلى أن يعلو بها على أم المشاهير الذين اشتهروا باسم أمهاتهم ، قال عارق الطائي في ردّه على تهديد عمرو بن هند :

ومن مبلغٌ عمرَو بن هندٍ رسالةً إذا استحقبَتْها العيس تُنضَى من البُعد

أيو عدُني ، والرّملُ بيني وبينه تأمّلْ رويداً ما أمامةُ من هندِ

ومن أجأ حولي رِعانٌ ، كأنّها قنابلُ خيلٍ من كُميْتٍ ومن وَرْدِ [3]

ونسب الشاعر نفسه إلى أمه ، وإن كان أبوه ملكاً ، قال امرؤ القيس :

ألا هل أتاها والحوادثُ جمّةٌ بأنّ امرأ القيس بن تملك بيقرا [4]

ونُسب عمرو بن هند إلى أمه ، قال عمرو بن كلثوم :

بأيّ مشئيةٍ عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

---

(١) معجم البلدان : (ضرية) موضع بنجد ، سميت بضرية بنت ربيعة بن نزار وهي أم خولان وإخوته بني عمرو بن الحاف ابن قضاعة ، وخولان : مخلاف باليمن ، منسوب إلى خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، والأرومة : الأصل ، فرعا قضاعة : حمير وكهلان ، والعيص : الأصل.

(٢) الأغاني ٨٨/٢١ والحجر : العقل ، والقرابة .

(٣) معجم البلدان : (أجأ) سمي باسم رجل ، وأجأ : فرّ ، قصة أجأ في عشقه لسلمى قصة فيها طول لسنا بصددها ، استحقب : حمل ، العيس : الإبل البيض مع شقرة تضرب إلى صفرة ، تنضى : تهزل ، والرمل موضع ، ورعان : جمع رعن ، النتوء من الجبل ، وقنابل : جمع قنبلة ، مجموعة الخيل والناس ، الكميت : لون بين السواد والحمرة ، والورد : الأحمر.

(٤) معجم البلدان : (بيقر) ، بيقر إذ ترك البدو ودخل الحضر ، وقيل دخل العراق ، وتملك : أمه ، امرؤ القيس : الديوان ، تحقيق حنّا الفاخوري ، دار الجيل : بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ ، ص٣٣٥ .

نصبنا مثل رهوةِ ذات حدٍّ   محافظةً وكنّا السّابقينا [1]

وكما نُسب المناذرة إلى أمهم ماء السماء وهي ماويّة بنت عوف بن جُشم ، وانتسب الغساسنة إلى مارية بنت ظالم بن الحارث الكندية أم الحارث الأعرج ذات القرطين وأختها هند زوجة حجر ، قال حسان :

أولادُ جفنةَ حول قبر أبيهمُ   قبرِ ابن ماريةَ الكريم المفضلِ

يسقُونَ مَنْ وردَ البريصَ عليهمُ   بردَى يصفّقُ بالرّحيق السّلسلِ [2]

وقال النابغة في رثاء أخيه لأمّه :

لا يهنئِ الناس ما يرعَوْنَ من كلأ   وما يسوقونَ من أهلٍ ومن مالِ

بعد ابنِ عاتكةَ الثاوي على أبَوَى   أضحى بِبَلْدَةَ لا عمٍّ ولا خالِ [3]

ومُدح أبناؤها بأنهم نسلها افتخاراً بها لعراقتها ، قال المساور بن هند بن قيس بن زهير العبسي مستنفراً قومه وفدّاهم بنفسه وأبويه :

فدًى لبني هند غداةَ لقيتُهم   بجوّ وبالَ النفسُ والأبَوان [4]

ويبدو من الشعر أن العرب كانوا بارّين بالأمهات ؛ لأنهن أشد حاجة إلى العطف من الأب ، فيفدّون بها كثيرا ، وهي أعزّ إنسان عليهم ، قال عبدالله بن جِذل الطعان :

فدًى لهم نفسي ، وأمّي فدًى لهم   ببرزةَ ، إذ يَخْبِطْنَهُمْ بالسنابك [5]

ومدح مالك بن خالد الهذلي بني لحيان حينما صدّت غزاتَها من بني كعب :

فدًى لبني لِحيان أمّي وخالتي   بما ماصعوا بالَجزْع ركبَ بني كعب

---

(١) معجم البلدان : (رهوة)، طريق بالطائف ، وجبل ، والرهوة : الارتفاع والانحدار ومحافظة : على أحسابنا ، عمرو بن كلثوم : الديوان ، شرح عمر فاروق الطباع ، دار القلم : بيروت ص٨٢ .

(٢) معجم البلدان : (البريص)، نهر دمشق والرحيق : الخمر ، الديوان ، شرح يوسف عيد ، دار الجيل : بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢،ص٢٩١.

(٣) معجم البلدان : (أبوَى) موضع ، النابغة الذبياني : الديوان ، شرح عمر فاروق الطباعَ دار القلم : بيروت ، ص١٠٥ .

(٤) معجم البلدان : (وبال) ، ماء لبني عبس ، كان عبدالله رئيس بني فراس ببرزة ، يوم لبني فراس من كنانة على بني سُليم .

(٥) معجم البلدان : (برزة) شعبة تدفع إلى بئر الرويثة ، وموضع كانت به وقعة والسنبك : طرف الحافر .

كأنّ بذي دوَرانَ ، والجَزْعُ حولَه إلى طَرَفِ المِقراة ، راغيةَ السَّقْبِ [1]

٢- الزوجة :

مما لا شك فيه أن الزواج لحمة قوية بين الأفراد والعشائر ، به تقوى رابطةُ المودة والرحمة بين الأقرباء والبعيدين المتصاهرين ، ويطفئ نار العدواة والشحناء ، وهو شركة في الحياة ، وقاعدة لعشرة طويلة ، وسكن نفسي ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [2] . والزوجة قسيمة الرجل في إنتاج أولاده ، ينطبعون على كثير مما تطبعهم عليه ؛ لذلك يحرص الرجل على اختيارها ، وما تتميّز به من صفات تحببّها إليه .

أوصافها الجسديّة

صوّر الشعراء المرأة المحبّبة لديهم ، وبينوا أوصافها التي ترغبها في نفوسهم ؛ فهذا طرفة بن العبد يُحرَم النومَ ، هَمُّهُ زَوْجَةٌ تتميز بسعة العينين ، والجسم الطويل المكتنز ، والأسنان المفلّجة البيضاء ، والمترفة التي لا ترضع أولادها ؛ لأنها مخدومة ، فيقول :

أرّقَ العينَ خيالٌ لم يَقِرْ طافَ ، والركبُ بصحراء يُسُرْ
تخلسُ الطرفَ بعينَيْ بَرْغزٍ وبخدَّيْ رشأٍ آدمَ غِرّْ
بادنٌ ، تجلُو ، إذا ما ابتسمتْ عن شتيتٍ ، كأقاحِ الرمل ، غُرّْ
وأذا قامت تداعَى قاصفٌ مالَ من أعلى كثيبٍ مُنقعِرْ

---

(١) معجم البلدان : (دوران) ، موضع بين قديد والجحفة ، والجزع : موضع ، والمقراة : بين إمّرة وأسود العين ، الرغاء : صوت الإبل ، السقب : ولد الناقة الذكر ساعة وضعه ، وسليل : قبل أن يُعلم أذكر هو أم أنثى .

(٢) سورة الروم ٢١ .

لا تلُمْني إنها من نِسْـــوةٍ   رُقَّدِ الصيفِ ، مقاليتٍ ، نُــــزُرْ [1]

ويريدها الأعشى ممتلئة الجسم ذات شعرٍ كثيفٍ ، فيقول :

بيضاءُ ، جمّاءُ العظام ، لها   فَرْعٌ أثيثٌ ، كالحبال رَجِـــــلْ

عُلِّقْتُها بالشَّيِّطَيْن ، فقدْ   شقَّ علينا حبُّها وشَــغَـــلْ [2]

ويفضل خفاف بن ندبة ذاتَ الأسنان البيضاء ، والوجه الصقيل :

وغُرُّ الثنايا خُنُف الظَّلم بينها   وسُنّةَ ريمٍ بالجُنينة موثَـــقِ [3]

ويفضلون البنت البكر الشابّة ، كما يحبون الوَلُود ، لأن العرب كانوا لايهنئون إلاّ : بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تنتج [4] ، قال الأعشى :

ومثلِكِ خَوْدٍ بادنٍ قد طلبتُهـــا   وساعيتُ معصياً لدينا وُشاتُها

متى تُسْقَ من أنيابها بعد هجعة   من الليل شرْباً حين مالتْ طُلاتُها

تَقُلْهُ فلسطياً إذا ذقتَ طعمَـــــه   على رَبِذاتِ النّيّ حُمْشٍ لثاتُهــا [5]

ويؤكد معن بن أوس على سعة العينين وجمال العنق :

عفا ، وخلا ممن عهدتَ به خُمُّ   وشاقكَ بالمسحاء من شرفٍ رسـمُ

---

(١) معجم البلدان : يُسُر ، وهو نقب تحت الأرض ، فيه ماء لبني يربوع بالدهناء . أرّق العين : منع عنها النوم ، تخلس الطرف : تنظر خلسة ، البرغز : ولد البقرة ، والرشأ : ولد الظبي ، الآدم : الأبيض ، الغر : الحدث ، تجلو : تظهر ، الشتيت : الثغر المتباعد الأسنان ، الأقاحي : جمع أقحوان ، تداعى : مال ، ونبت قصف : إذا طال وانحنى من طوله ، المقاليت : جمع المقلاة ، التي لا يعش لها ولد ، نزر : جمع نزور ، والديوان ، دار العلم : بيروت ، ص ٥٠-٥٣ .

(٢) معجم البلدان : الشُّيُّطان ، واديان في ديار بني تميم ، لبني دارم ، ويوم الشيطين من أيامهم لبكر من ربيعة على تميم ، وجمّاء العظام : ممتلئة ، الفرع الأثيث : الشعر الكثيف ، وشعر رجل : بين الجعد والمرسل ، الديوان ، دار القلم : بيروت ، ص٢٠٣ .

(٣) معجم البلدان : الجُنينة ، من منازل عقيق المدينة ، والغر : البيض ، والخنف : كتان أبيض والظَّلم : بياض الأسنان ، والسُّنّة : الوجه الملس الصقيل ، والريم : الظبي الأبيض .

(٤) ابن رشيق : العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ج١/٣٧ .

(٥) معجم البلدان : فلسطين ، منهم من يجعلها ممنوعة من الصرف ، ومنهم من يجعلها بمنزلة الجمع ، هذه فلسطون ، والنسبة : فلسْطيٌ ، والخود : الصبية الشابة ، والطلاة : الأعناق ، مالت طلاتها للنوم ، والربذة : الخفيفة ، والحمش : اللطيفة.

سبَتْني بعينَيْ جؤذر بخيملةٍ وجيدٍ كجيد الرئم زيّنَهُ النظمُ [1]

أوصافها الخُلُقية :

ولم يَنْسَ الشعراء الجمالَ المعنوي ، كما احتفَوْا بجمالها النفسي ، فصوروا نفسيتها وأخلاقها ، مما جعل ربيعة بن مقروم يلحظ جاذبيتها التي تتغلّب على العبّاد في مواضع تنسكهم ، فيقول :

لمن الديارُ كأنها لم تُحْلَلِ بجنُوب أسنُمة فقفُ العُنْصُلِ

دارٌ لسُعْدى ، إذ سُعاد كأنهَا رَشَأٌ غضيضُ الطرفِ رَخْصُ المفصَلِ

لو أنها عرضت لأشمط راهب في رأس مشرفة الذرى متبتِّل

لَصَبَا لِبَهْجَتِها وحُسنِ حَديثِها ولهَمّ من ناموسه بتنزّل [2]

وقال النابغة الذبياني :

أشاقك من سُعداك مَغْنَى المعاهد ببرقة نُعْميٍ فذات الأساود

عهدْتُ بها سُعدى ، وسُعدى غريرةٌ عروبٌ ، تهادى في جوارٍ خرائد [3]

وقيس بن الخطيم ، يبيّن تظاهرها بالغرارة ودلالها ، بقوله :

بل ليت أهلي وأهلَ أثلةَ في دارٍ قريبٍ ، بحيث نختلفُ

---

(١) معجم البلدان : خم ، اسم غدير بالجحفة بين مكة والمدينة ، سمي باسم رجل صباغ أضيف إليه ، والمسحاء : موضع بين مكة والمدينة ، الجؤذر : مفرد جآذر ، ولد البقرة الوحشية .

(٢) معجم البلدان : (أسنُمة) موضع في بلاد بني تميم ورملة أسفل الدهناء ، والأغاني ٩٢/٢٠ ، وربيعة بن مقروم وهو من ضبّة مخضرم شهد القادسية ، ومن شعراء مضر المعدودين ، والقف : ما ارتفع من الأرض وغلظ ، وقفاف الصمّان فيها رياض وقيعان وهي من حزون نجد ، إذا أخصبت ربعت العرب جميعا ، وعنصل : ، وهو الكرات البري ، اسم موضع في ديار العرب ، وطريق العنصل من البصرة إلى اليمامة ، رخص المفصل : لين ناعم ، الشمط : بياض شعر الرأس واللحية ، الناموس : بيت الراهب .

(٣) معجم البلدان : (نُعميٌ) واد بتهامة ، المُغنى : المنزل ، المعاهد : جمع معهد وهو المكان المعهود فيه الشيء ، أساود جمع أسود ، وهو اسم ماء على يسار الطريق للقاصد إلى مكة من الكوفة ، عروب : تتودد إلى الزوج ، الخرائد : جمع الخريدة ، الحسناء البكر .

فيهم لعوبُ العِشاء آنسة الدَّ لِّ عروب يَسُوؤها الخلُـــف [١]

ويستطيب أيضا قيس بن الخطيم حلاوة حديثها ، وهي ليست ثرثارة ، بل تصمت أحيانا فيكون حديثها شيِّقا فيقول :

ولا يغثُّ الحديث ما نطقتْ وهو يفيها ذو لذّة طِـــرْفُ

تخزنه وهو مشتهى حَسَــنٌ وهو إذا ما تكلّمتْ أنـُــفُ [٢]

وتبدو لدى عروة بن الورد وفيّة ، فتُعْجِبه سمعتها وريحها :

ليالينا إذْ جيبها لك ناصحٌ وإذْ ريحُها مسكٌ ذكيّ وعنبرُ [٣]

واستعمال الطيب من عوامل اجتذابها ، قال الشاعر :

فبات أهلُ بقيعِ الدار يفعمهُم مسكٌ ذكي وتمشي بينهم ريمُ [٤]

وقال ابن هَرْمة :

كأنَّ الركبَ ، إذ طرقتْكَ ، باتوا بمندلَ أو بِقَارِعَتَيْ قِمــارا [٥]

وقد استهوى الأعشى الخلقُ الطاهر بقوله :

شاقَتْكَ من قَتْلة أطلالُهـا بالشطِّ فالوترِ إلى حاجـرِ

فركْنِ مهراسٍ إلى مـاردٍ فقاعِ منفوحةَ ذي الحائـرِ

ليست بسوداءَ ولا عِنْفصٍ داعرةٌ تدنو إلى الدّاعـرِ

---

(١) معجم البلدان : الأثلة ، مفرد الأثل ، موضع قرب المدينة ، والأغاني ٢٢/٣ .

(٢) الأغاني ٢٢/٣ ، ديوانه ١٧ ، لا يغث : لا يفسد ، الطِّرْف من الرجال :الذي لا يرى شيئا إلاّ أحبَّ أن يكون له ، أنف :استنكف.

(٣) معجم البلدان : الغرو ، قرب المدينة ، جيبها ناصح : نقيّة القلب .

(٤) معجم البلدان : شوران ، واد في ديار بني سُليم على ثلاثة أميال من المدينة ، وجبل ببطن عقيق المدينة ، فيه مياه كثيرة .

(٥) معجم البلدان : قِمّار ، موضع بالهند ينسب إليه العود الجيد .

عَبْهرةُ الخَلْقِ ، بـلاخيّــــةٌ   تشوبُه بالخلُق الطاهـــرِ [1]

أو بيضةٍ في الدِّعصِ مكنونةٍ   أو درّةٍ شِيفتْ لدى تاجـرِ

ويستهوي الأعشى أيضاً التي تحفظ السرَّ وحق الجوار ، بقوله :

ليست كمن يكره الجيرانُ طلعتَها   ولا تـراهـا لسرِّ الجـار تَخْتَتِـــلُ

غرّاء فرعاء مصقول عوارضهـا   تمشي الهُوينا كما يمشي الوجي الوَحلُ

صِفْرُ الوشاح وملء الدرع بَهْكَنَةٌ   إذا تـأتّـى يكـاد الخصرُ ينـخـزلُ [2]

فيجمع بين الأوصاف الجسدية والمعنوية. وهي طيبة السمعة لا تتناولها الألسن عند الشنفرى :

خرجنا من الوادي الذي بين مِشعل   وبين الجبا ، هيهاتَ أنسأتُ سُربتي

فيا جارتي وأنتِ غير مليمـة   إذا ذكـرتِ ولا بـذات تقلّــتِ

أميمة لا يخزي نثاها حليلُها   إذا ذُكرَ النسـوانُ عفّت وجلّــت

فقد أعجبتني لا سقوطَ قناعها   إذا ما مشـتْ ولا بـذاتِ تَلَفُّـتِ [3]

---

(١) معجم البلدان : مارد ، وشطٌ : قرية في حَجْر اليمامة قبلتها بين الوتر والعرض ، وشط الوتر هومكان منزل عبيد بن ثعلبة ، وفيه حصن معنق بُنية جُديس وطسم والمهراس موضع باليمامة كان من منازل الأعشى ، وما رد :-حصن بدومة الجندل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزبّاء ، وقد غزتهما فامتنعا عليها : « تمرّد مارد وعزّ الأبلق » مجمع الأمثال ١٢٦/١ ، ومعجم البلدان : منفوحة ، قرية مشهورة باليمامة ، كان يسكنها الأعشى وبها قبره وهي لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل نزلوها بعد مقتل مسيلمة ، وهي منفوحة الآن بالرياض ، وحائر مَلْهم : باليمامة لبني يشكر وأخلاط من بني بكر . والعنفص : البذيئة ، غير الحيّية ، عبهرة : ممتلئة ناصعة البياض ، بلا خيّة : طويلة ، والدعص : الكثيب من الرمل ، مكنونة : محفوظة ، شيفت : أظهرت ، الديوان ١١٢ .

(٢) معجم البلدان : خزالى موضع ، الختل : الخدعة ، غرّاء : بيضاء البشرة ، فرعاء : طويلة الشعر ، الوجي : الذي حفي قدمه ، صفر الوشاح : كناية عن دقة خصرها ، ملء الدرع : كناية عن سعة الأرداف والبهكنة : الممتلئة الوثيقة الخلق ، تأتّي : تتأتى ، تترنّق ، ينخزل : ينقطع ، الديوان ١٧٤ .

(٣) معجم البلدان : مِشعل : ، موضع بين مكة والمدينة ، وجبا : شعبة وادي الجيّ بين مكة والمدينة ، أنسأت سربتي : أبعدت مذهبي ، اللسان – نسأ .

الزوج المفضل في نظرة المرأة :

كانت الفتاة وأهلها يلبون طلب الخاطب الكفء ، فراعت المرأة شروطاً في الزوج ، تدور جميعها حول الكفاءة ، فالزوج الشاب أثير منستحب ؛ لأنه في مُقْتَبَلِ عُمْرِهِ وعنفوانه ، فلا عجب أن تتبرّم زوجة عبيد بن الأبرص بِشَيْبِهِ :

تغيرتِ الديارُ بذي الدُّفين فأودية اللّوى فرمال لينِ

ألا عتبَتْ عليَّ اليوم عِرْسي وقد هبّت بليل تشتكيني

فقالت لي : كَبِرْتَ ، فقلت : حقّا لقد أخلفت حيناً بعد حين [1]

فالزوج المفضل هو الشاب ، لأنه أشبه بالزوجة خلقا وميلا ؛ لذا يتمنّى الأعشى أن يعود إليه زمن شبابه :

وأرى الغواني حين شبتُ هجَرْنني أنْ لا أكون لهنّ مِثْلِيَ أمردا

إنّ الغواني لا يوصِلْنَ امرأً فقد الشبابَ وقدْ يصِلْنَ الأمردا

بل ليت شعري هل أعودنّ ناشئاً مِثْلَي زُمينَ أحُلّ بُرقةَ أنقدا [2]

فيتفجّع كبار السن علي شبابهم المنصرم ، قال سلامة بن جندل :

يا دار أسماء بالعلياء من إضم بين الدكادك من قوٍّ فمعصوب

هل في سؤالك عن أسماء من حُوَب وفي السلام وإهداء المناسيب ؟

أودى الشبابُ حميداً ذو التعاجيب أودى وذلك شأوٌ غير مطلوب

ولّى حثيثاً وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركض اليعاقيب [3]

وتكبر المصيبة في نظرها إذا رافق كبرَ السن شحُّ الموارد ، قال عبيد بن الأبرص :

ليس رسم على الدفين ببالي فلِوى ذروةٍ فجنبَيْ ذَيال

فالُمروّات فالصفيحة قفرٌ كل قفر وروضة مِحلال

---

(١) معجم البلدان : الدفين ، موضع ، ولين واللوى : موضعان ، الديوان ، دار القلم : بيروت ، ص ٩٧ .

(٢) معجم البلدان : برقة أنقد ، جبل باليمامة ، الديوان ٧٠ .

(٣) معجم البلدان : معصوب ، موضع ، وإضم : واد لأشجع وجهينة ، وجبل بين اليمامة وضريّة ، وماء بين مكة واليمامة عند السُّمينة ، حُوَب : إثم ، أودى : ولّى ، الشأو : السبق والمدى ، اليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل ، المراد هنا تشبيهها لها بالحجل لشدة سرعتها . وسلامة كان ممن يحسنون وصف الخيل .

زعمتْ أنني كبرت وأنِّـــــي   قلّ مالي وضَنّ عنّي المَوَالي [1]

وقال الأعشى بعد أن شاب رأسه :

وإنَّ أخاك الذي تعلمـــــــين   ليالينا ، إذْ نَحُلّ الجفـــارا

تبدّل بعد الصِّبى حكمـــــــةً   وقنّعه الشيب مِنه خمـــارا

أحلّ به الشيب أثقالَـــــــه   وما اعترّه الشيبُ اعتـــرارا [2]

وقال غيلان بن سلمة :

أسلُوَنْ عن سلمى علاك المشيب   وتصابي الشيوخ شئ عجيب

إنّني ، فاعلمي وإن عزّ أهلي   بالسّويداء للغداةِ ، الغريبُ [3]

وقال الكميت بن ثعلبة ذاكراً كبرَ سنّه ، وقلّة المال :

ألا زعمتْ أمُّ الصبيين أنني   كبرتُ وأن المال عندي تضعضعا

فلا تنكريني ، إنني أنا جاركم   لياليَ حلَّ الحيُّ قُنّـاً فضلفعـا [4]

وقال امرؤ القيس ناهيا عن زواج الأحمق :

يا هند لا تنكحي بوهـــــــةً   عليه عقيقته ، أحسبـــــــا [5]

وإذا أصيب أحدهم بنكبات فنفد ماله ، أو تدهور وضعه الاجتماعي ، فإنه يعتز بشرفه الموروث ، وإن أُرغم على تزويجها من غير كفء في العراقة حزن وأصابة الغم ،

---

(١) معجم البلدان : الدفين ، وذيال :موضعان ، وذروة : مكان حجازي في ديار غطفان ، وماء لبني مرة بن عوف ، وبلد باليمن ، والصحيفة في بلاد بني أسد ، ضنّ : بخل ، الموالي : الأنصار ، وتطلق على العديد من الأشياء كالعم وابن العم ، الديوان٧٧.

(٢) معجم البلدان : الجفار ، موضع بنجد ، أعرّه الشيب : عرض له .

(٣) معجم البلدان : السويداء ، موضع على ليلتين من المدينة طريق الشام .

(٤) معجم البلدان : قُنّ ، جبل عند ذي الجليل قرب مكة ، وضلفع : موضع باليمامة .

(٥) معجم البلدان : الأحاسب ، مسايل أودية تنصب من السراة في أرض تهامة . البوهة : البومة الصغيرة ، يشبّه بها الرجل الأحمق ، عقيقته : شعره الذي ولد به ، والأحسب : من الحُسْبة وهي صُهبة تضرب إلى الحمرة ، يخاطب أخته هند ألاّ تتزوج رجلا أحمق قذرا .

كما حدث للمهلهل [1] إذا نفر عن قومه بعد حرب البسوس ، ونزل في بني جنب -حي من مذحج -[2] فخطبوا إليه أخته ميّة ، فقال : إني طريد ولكنهم أجبروه ، حتى زوّجهم ، فقال:

أنكحها فقدُها الأراقمَ في ... جَنْبٍ وكان الخباء من أدمِ
لو بأبانين جاء يخطبها ... ضُرّج ما أنفُ خاطب بدمِ
هان على تغلب الذي لقيتْ ... أخت بني المالكين من جُشَمِ
ليسوا بأكفائنا الكرام ، ولا ... يُغنون من عَيْلةٍ ولا عدمِ
أصبحت لا مُنْفِساً أصبتُ ولا ... أبتُ كريما حرّاً من الندمِ [3]

وترغب المرأة العربية أيضا بالزوج الذي يتحلّى بالفضائل التي اقتضتها البيئة العربية من كرم وشجاعة وغيرها ؛ لأنه يكفل لها الشهرة والسيادة ، لقول حاتم الطائي :

سقى اللهُ ربُّ النّاس سحّاً وديمةً ... جنوبَ السّراة من مآب إلى زَغَرْ
بلادَ امرئٍ لا يعرف الذمُّ بيتَه ... له المشربُ الصافي وليس له الكدَرْ [4]

لذا كان الرجال كثيراً ما يتوجهون بفخارهم بالشجاعة إلى المرأة ، ويشهدونها على بسالتهم ومفاخرهم ، قال عامر بن الطفيل :

لتسألَنْ أسماء وهي حَفيّةٌ ... نُصحاءَها أطُرِدْتُ أم لم أُطردِ
قالوا لها : إنا طردنا خيلَه ... قَلَحَ الكلاب وكنتُ غيرَ مُطرَدِ
فلأ بغيَنّكُم قَناً وعُوارضاً ... ولأ قبلنّ الخيلَ لابةَ ضرغدِ

---

(١) هو مهلهل بن ربيعة أخو كليب ، بطل حرب البسوس ، التي بين بكر وتغلب ابني وائل ، مكثت أربعين سنة .

(٢) بنو جنب باليمن ، وهم ستة رجال : منبّه ، والحارث ، والعلي ، وسيْحان ، وشِمران وهِفّان وسمّوا لأنهم جانبوا أخاهم صداء .

(٣) معجم البلدان : أبانان جبلان يمرّ بهما وادي الرُّمّة لفزارة وبني أسد ، يقال :هذان أبانان حسنَين ، نصب النعت على الحال لأنه نكرة وصفت بها معرفة ، ولأن الأماكن ثابتة ، بعكس ، هذان زيدان حسنان ، رفع النعت ، لأنه نكرة وصفت نكرة ، والأرقم : قوم من ربيعة سمّوا بالأرقم من الحيات والخباء : المهر، و أدم : جمع أديم ، الجلد المدبوغ ، المنفس : المال الكثير ، أيام العرب ١٦٥ .

(٤) معجم البلدان : زغر ، قرية بمشارف الشام قيل سميت باسم بنت لوط ، عليه السلام ، والسراة : سلسلة جبال من اليمن حتى بادية الشام ، وسمّته العرب حجازا ؛ لأنه حجز بين الغور ونجد .

يا أسمَ أختَ بني فزارة إننـــي   غازٍ وإنَّ المـرء غيـرُ مُخلّـدِ [1]

وقال أيضاً :

هلاّ سألتِ ، إذا اللقاح تروَّحتْ   هَدَجَ الرِّئال ولم تَبُلَّ صِرارا

إنّا لنجعل بالعَبيط لضيفنـــا   قبل العيال ونطلب الأوتـــارا

ونعدُّ أياماً لنـا ومآثـــــراً   قِدْماً نبدُّ البدوَ والأمصــــارا

منها خُوَيٌّ والذُّهابُ ، وبالصفا   يومٌ تمهَّدَ مجـد ذاك فسـارا [2]

وإنّك لو رأيتِ ، أميمَ قومــــي   غَداةَ قُراقرٍ لنعمتِ عينـــــا

وبالمَرْداتِ قد لاقيْنا غُنمـــا   ومن أهل اليمامة ما بغينـــا [3]

وقال حضرمي بن عامر :

سلي إمّا سألتِ الحيَّ تيـــماً   غداةَ الأثل، عن شدّي وكـرّي

وقد علموا غداة الأثل أنّـــي   شديدٌ ، في عجاج النّقع ، ضَرّي [4]

وقال كانفٌ الفهمي :

فلو تسألي عنّا لنبئّتِ أنّنــا   بإحليلَ ، لا نُزْوَى ، ولا نتخشّعُ

وأنْ قَدْ كسَوْنا بطنَ ضيم عجاجةً   تُصعِّدُ فيه مرّة وتفـــرّع [5]

---

(١) معجم البلدان : إثمد موضع ، وحرة ضرغد : في جبال طيء وغطفان ، لابة والحرة واحد ، عُوارض : جبل ببلاد طيء عليه قبر حاتم ، وقنا وعوارض : جبلان لبني فزارة ، وأسماء : زوجته ، الحفيّة : المهتمة بشأن زوجها، قُلّع : جمع قَلع ، صفرة الأسنان ، وأسم : أي أسماء بالتخفيف .

(٢) معجم البلدان : خويّ ، موضع كان فيه يوم بين تميم وبكر بن وائل ، قتل فيه شيبانُ بن شهاب المسمعي يزيدَ بن القحارية فارس تميم ، اللقاح : النوق الحلوبة ، الرئال : جمع رأل ، ولد النعام ، هَدْج : مشى رويداً ، العبيط : ما ينحر لإطعام الضيف ، الأوتار : جمع وتر : الثأر ، المآثر : ما يفتخر به من مروءة وكرم وحسن جوار ، الصفا : موضع ماء ، نبدّ : نعلو . الديوان ٥٢ .

(٣) معجم البلدان : المرادات موضع بين المدينة وتبوك ، أميم : ترخيم أميمة صاحبته ،قراقر : واد أصله من الدهناء ويوم ذي قار الأكبر قرب الكوفة ، واليمامة : أرض جديس ، الديوان ٨٥ .

(٤) معجم البلدان : الأثل ٩١/١ ، ذات الأثل في بلاد تيم الله بن ثعلبة كانت لهم بها وقعة مع بني أسد ، النقع : غبار المعركة .

(٥) معجم البلدان : إحليل اسم واد في بلاد كنانة ، ثم لبني نُفاثة منهم ، وواد تِهامي قرب مكة .

وإذا ما فجعت في زوجها وفتّ له ، فتذكره بالخير. كانت مقذّفة بنت قيس بن خالد الشيباني زوجة لقيط بن زرارة ، فتزوجها بعده رجل من قومها ، فقال لها يوما : أنا أجمل أم لقيط ؟ فقالت : ماء ولا كصداء ، جميل ولكن لست مثله [1] .

ونطق لسان طرفة بن العبد بحال الزوجة بعد وفاة زوجها ، بما تفعله من شق الجيب وما يغلبها من حزن وحرقة ، فقال :

ولستُ بحلاّل التلاع مخافةً ولكنْ متى يسترفدِ القومُ أرفِدِ [2]
فإنْ مُتُّ فانعيني بما أنا أهله وشقّي عليَّ الجيبَ يا ابنةَ معبدِ

ولقد تعاف الزواج بعده وتقضي حياتها أيِّماً ، أو تَحْبِسُ نفسها في دَيْرٍ بنَتْه كما فعلت هند بنت النعمان بن المنذر ، ورفضت الزواج ، وقالت :

فبينا نسوسُ الناس والأمر أمرُنا إذ نحن فيهم سوقة نتنصّفُ
فتباً لدنيا لا يدوم نعيمُها تقلّبُ تاراتٍ بنا وتصرّفُ [3]

٣- الصاحبة :

صوّر الشعراء عواطفهم بصدق ، فحدّثوا الصاحبة ، وحنّوا إليها ، وتفجّعوا لرحيلها وجاشت العاطفة ، وقالوا الشعر ، وعوّضوا جدب البيئة بخصب القلوب ، وكثرت الصواحب حتى للحكماء منهم كزهير :

عُداويّةٌ هيهاتَ منكَ محلُّها إذا ما هي احتلّتْ بقُدْسٍ أُوارةِ [4]

---

(١) معجم البلدان : صُداء ، من أمثالهم في الرجلين يكونان ذوي فضل غير أن لأحدهما فضلا على الآخر ، مجمع الأمثال ٢/٢٧٧ ، وصداء ركية ليس عندهم ماء أعذب منها ، رودة قرية بالري ، وغمر : جمع غمرة وهي الشدة .

(٢) معجم البلدان : الغراف ، نهر بين واسط والبصرة ، من أبينه التكثير ، وأورد البيت ليدلل أن طرفة لم يرد أن يحل التلاع قليلا مخافة من الرفد ولكن أراد أن يمتنع عن ذلك بالكليّة ، ديوانه ٣٢ ، ٤١ .

(٣) معجم البلدان : دير هند الصغرى بالحيرة ، وهند الكبرى هي بنت الحارث امرأة حُجْر .

(٤) معجم البلدان : أوارة ، ماء أو جبل لبني تميم بناجية البحرين - موضع حرق فيه عمرو بن هند بني تميم ، وهو عمرو بن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس - وأمه هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار ، عداوية : بنو عدي حي من بني مزينة ، نُسبت إليه .

وقدس وآرة : جبلان في بلاد مُزينة .

وللأبطال كعنترة :

يا دار عبلةَ حول بطن مَـــلاظ ... فـالغيقتين إلـى بطـون أراظـِ

مـن حبّ عبـلة إذ رأتْـه بدِلّهـا ... أمسى يـلذّع قلبـه بشـواظ ـ(١)

وللصعاليك لفتات إنسانية تعبّر عن مدى حنينهم على الرغم من صعلكتهم ، قال عروة بن الورد :

تحنّ إلـى سَلمى بحُرِّ بـلادهـا ... وأنت عليها بـالملا كنتَ أقـدرا

وكيف تُرجّيها وقد حيل دونها ... وقد جاورتْ حيّاً بتيمنَ مُنكـرا

تحلُّ بـواد مـن كراء مضـلّـة ... تحاول سلمى أن أهاب وأُحصرا (٢)

وللمجّان كالأعشى :

كانت وصاةٌ وحاجات لنا كفَفُ ... لو أنّ صحبك إذا ناديتَهم وقفوا

على هريرةَ إذ قامتْ تـودّعُنـا ... وقد أتى من إطارٍ دونها شـرفُ (٣)

وللأمراء كامرئ القيس :

سما بك شوقٌ بعدما كانَ أقْصرَا ... وحلّت سُليمى بطن قوٍّ فعرعـرا (٤)

المظهر العام :

وفاق جمال المرأة أفانين الجمال مع أنها لم تقنع بجمالها الطبيعي ، بل استخدمت وسائل زادتها جمالا لتحقق الجمال كما صوره الشعراء . ويعد المظهر العام نوعا من التجمّل ، فاهتمت بنوعية الملابس ، وغطت الرأس والوجه ، قال النابغة :

سقط النصيف ولم تُرِدْ إسقاطَه ... فتناولَتْـه واتقَتْنَا باليــد (٥)

---

(١) معجم البلدان : ملاظ موضع .

(٢) معجم البلدان : كراء أرض ببيشة كثيرة الأسد ، خمسة مراحل من مكة جهة اليمن ، حرّ البلاد : أكرمها أوسطها ، الملا : الأرض الواسعة ، وتيمن : وكراء : من مخاليف اليمن قبل جُرش ، وأرض بين بلاد تميم ونجران ، ديوانه ٥١ .

(٣) معجم البلدان : إطان موضع ، وشرف كبد نجد ، كانت منازل بني آكل المرار ، فيها الرّبذة وحمى ضرية ، ديوانه ١٣٧ .

(٤) معجم البلدان : قوّ منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة، واد يقطع الطريق، عليه قنطرة للعبور يقال لها بطن قو، ديوانه ٣٣٠

(٥) اللسان : نصف ، النصيف : الخمار ، الديوان ٤٩ .

وقال الأعشى :

قالوا نِمار ، فبطن الخال جادَهُمـا … فالعسجديّة فالأبلاء فالرِّجَلِ
والساحباتُ ذيولَ الخزِّ آونـة … والرافلات على أعجازها العِجَلِ [1]

وقال حسان :

يحمِلْنَ حُوًّا ، حورَ المدامع في الـرَّ … يْـط ، وبيض الوجوه كالبَـرَدِ
من دون بُصرى ، وخلفها جبل الثلـ … ج عليه السحاب ، كالقـدد [2]

وقال امرو القيس :

ألا ربَّ يَـوْمٍ لك منهُنَّ صالـحٍ … ولا سيّما يـوم بدارة جُلْجُـلِ
خرجتُ بها أمشي تجرّ وراءنـا … على أثْرَيْنا ، ذيلَ مِرْط مُرحَّل [3]

وقال لبيـد :

غرائر أبكار عليها مهابـة … وعون كرام يرتدينَ الوصائلا
جعَلْنَ جراحَ القُرْنتين وعالجـاً … يمينا ، ونكّبْنَ البَديَّ شمائلا [4]

وقال طرفة في وصف القيّنة :

نداماي بِيضٌ كالنجوم وقينة … تروح علينا بين بُرْدٍ ومُجسدِ

---

(١) معجم البلدان : نمار ، موضع بشق اليمامة ، ديوانه ١٦٧ ، ورواية والساحبات ذيول الريط : وهي الملاءة من نسج واحد ، باقي الشطر : أسماء مواضع ، رفل : جر الثوب ، عجّل : القربة الصغيرة يترجرج فيها الماء يشبّه الأرداف بها .

(٢) الديوان ١١٣ ، حوّ : جمع حواء ، في شفتها سمرة ، الحور : جمع حوراء ، شدة بياض العين وسوادها ، الريط : جمع ريطة ، وهي الملاءة ، لباس الجسد ، والقدد : القطع .

(٣) معجم البلدان : دارة جلجل ، بنجد من منازل حجر الكندي ، ودار الضباب بين شُعبى وحسّلات، والديوان ٣٦.٢٨ ، وله قصة على غدير دارة جلجل مع النسوة ، وعنيزة عشيقته وابنة عمه ، وكان قد نحر لهن ناقته ، خرجت بها : الباء أفادت التعدية «أخرجتها» من خدرها ، والمرط : الكساء من الخز أو الصوف ، المرحّل : المنقّش كرحال الإبل .

(٤) معجم البلدان : البديّ قرية من قرى هجر ، وواد لبني عامر بنجد ، واللسان : بدا والوصائل : جمع وصيلة ، ثياب يمنية مخططة ، وفي الحديث : أن أول من كسا الكعبة تبع ، كساها الأنطاع ، النطع : من الأدم ، ثم كساها الوصائل ، وعالج :رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيء ، متصلة بالثعلبية ، والقرنتان : بين البصرة واليمامة في ديار تميم .

ولست بحلاّل التلاع مخافة ولكن متى يسترفدِ القومُ أرفد [1]

وقال امرؤ القيس :

وقد عمرَ الرّوضاتِ حول مخطّطٍ إلى اللخِّ مرأى من سعادَ ومسمعا

تجافى عن المأثور بيني وبينها وتُدْني عليها السّابريُّ المضلّعا [2]

الحلي : وتحلّتْ بالحلي من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، قال طرفة :

بروضة دُعميٍّ فأكناف حائل ظللتُ بها أبكي وأبكي إلى الغدِ

وفي الحيّ أحوى ينفضُ المرْدَ شادنٌ مُظاهرُ سِمطَيْ لؤلؤٍ وزَبَرْجَدِ [3]

وقال امرؤ القيس

أو المُكرعاتِ ، من نخيلِ ابن يامن دُوين الصفا اللائي يلين المشقّرا

غرائرُ في كِنٍّ وصَون ونِعمةٍ يُحَلَّيْنَ ياقوتاً وشَذْراً مفقّرا [4]

هذا الحلي له وسوسةٌ لم ينسها الأعشى :

صِفْرُ الوشاحِ وملء الدرع بهكنة إذا تأتّى يكادُ الخصرُ ينخزلُ

---

(١) معجم البلدان : الغراّف ، والبرد : ثوب موشى ، والمجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران ، والندامى : جمع الندمان وهو النديم ، الديوان ٣٢ .

(٢) معجم البلدان : روضة مخطط : موضع ، واللخ : موضع ، تجافى : تتجافى وترتفع ، المأثور : السيف ، السابري : من أجود الثياب الرقيقة .

(٣) معجم البلدان : روضة دُعْمِيّ جبل في بلاد بني عقيل ، الأحوى : الذي في شفتيه سمرة ، والشادن : الغزال الذي قوي واستغنى عن أمّه ، المظاهر : الذي لبس ثوبا فوق ثوب ،والمرْد : غصن الأراك و السمط : الخيط الذي ينظم به ، الديوان ٢٣.

(٤) معجم البلدان : المشقر ١٣٤/٥ ، واد بأجأ (جبل لطيء سمي باسم رجل عشق سلمى في قصته بها طول لسنا بصددها) ، وحصن بالبحرين لعبد القيس ، فيه حبس كسرى بني تميم ، المكرعات : ما غرس في الماء من النخيل وغيرها ، آل يامن : اشتهروا بالسفن والنخيل في هجر ، والصفا : حصن بالبحرين ، الغرائر : الغوافل اللواتي لا تجربة لهن لتنعّمهن ، الشذر : قطع الذهب ، مفقرا : مصاغ على شكل فقرات الجرادة ، الديوان ٣٣١،٣٣٣ .

تسمح للحَلْيِ وسواساً إذا انصرفتْ　　كما استعانَ بريحٍ عِشرقٌ زَجِلُ [1]

وقال المرقّش الأصغر [*] يصف حلي الياقوت واللؤلؤ وقطع الذهب :

تحمّلن من جَوِّ الوريعةِ بعدما　　تعالى النهار وانتجعن الصرائما

تحلّينَ ياقوتاً وشذرا وصيغةً　　وجزعاً ظفارياً ودراً توائما [2].

الطيب :

والطيب نوع من التجمل كثيرا ما تعتني المرأة به ، والرجال يستطيبون رائحة المسك والعنبر [3] في المرأة يمدحونها بأنها ممسّكة ، لأن هذا دليل النظافة ، والتجمّل والثراء ، قال امرؤ القيس :

قفا نبكي من ذِكرى حبيب ومنزلِ　　بسقطِ اللِّوى بَيْنَ الدّخول فحَوْمَلِ

فتُوضِحَ فالمقراة لم يعفُ رسمُها　　لِماَ نسجَتْها من جنوبٍ وشمألِ

كدأبكَ من أمّ الحُويرثِ قبلَها　　وجارتها أمّ الرّباب بمأسلِ

إذا قامتا تضوّعَ المسك منهما　　نسيمَ الصَّبا جاءتْ بريّا القَرنفُلِ

---

(١) معجم البلدان : خَزالى موضع ، والأخزل : الذي في وسط ظهره كسر ، الوشاح :أديم يرصّع بالجوهر، صفر الوشاح : كناية عن دقة خصرها ، الدرع : القميص ، كناية عن سعة الأرداف ، البهكنة : الممتلئة ، العشرق : نوع من الشجر له حب إذا يبست يسمع لها صوت . الديوان ١٧٤ .

(*) واسمه ربيعة بن سفيان من بني سعد بن مالك بن ضبيعة ، أحد عشاق العرب المشهورين ، الشعر والشعراء ١٢٢ .

(٢) معجم البلدان : الوريعة : وهو حزم لبني فقيم بن دارم ، والحزم : ما غلظ من الأرض ، والنُّجعة : طلب الكلأ ومساقط الغيث ياقوت : معرّب ، ياقوتة : مفرد يواقيت ، الشذر : قطع من الذهب ، وصغار اللؤلؤ ، صاغ ، يصوغ صوغا وصياغة : سبك ، الجزع : الخرز اليماني ، الدر : جمع درة وهي اللؤلؤة ، وظفار باليمن في موضعين : قرب صنعاء وقرب صُحار ، ينسب إليها الجزع الظفاري واللبّان ، قيل فيها : من دخل ظَفار حمّر ، دخل رجل من العرب على ملك حمير ، قال له : ثب ، فوثب فتكسر، ثب : اقعد بلغة حمير ، فقال الملك : ليس عندنا عربيت ، يريد العربية ، فوقف على الهاء بالتاء ، وهي لغة حمير بالوقف .

(٣) يتخد المسك من نوع من الغزلان تعيش في التبت ١١/٢ ، والصين ٣/ ٤٤٠ وينسب العنبر الى الشّحر ٣٢٧/٣ ، فيقال العنبر الشحري .

وتُضحي فتيتُ المِسك فوق فراشها نؤوم الضُّحى لم تَنْتَطِقْ عن تفضّل [1]

وقد ذكر امرؤ القيس أنواعا أخرى من العطور والبخور ، وقد يخلط المسك بغيره من أنواع الطيب ، فقال :

سما بك شوقٌ بعد ما كان أقصرا وحلّتْ سُليمى بطنَ قوٍّ فعرعـرا
وريحَ سناً ، في حُقّةٍ حِمْيريّةٍ تُخَصُّ بمفروك من المسك أذفـرا
وباناً وألْوِيّاً من الهند ذاكيـاً ورَنْداً ولُبْنَى والكِباءَ المقتَّرا [2]

اجتماع الجنسين :

كان الرجال والنساء يجتمعون في طوافهم بالأصنام ، وفي مواسم الحج ، وفي الأسواق زمن الجاهلية ، فيلتقي الجنسان ، ويتحدث الرجل إليها ، فتميله ويستميلها ، بالكلام وبالصوت الجذّاب ، كما تجتذب النظرة والحركة والجمال ، فتغنّى الشعراء بعذوبة حديثها ، وتعلّقوا بالمرأة ، قال طرفة :

أرّق العينَ خيالٌ لم يَقرّ طاف ، والركبُ بصحراءَ يسُرْ
لا تلُمْني إنّها من نسوةٍ رقّدِ الصّيف ، مقاليتٍ ، نُزرْ

---

(١) معجم البلدان : اللّوى ، هو منقطع الرمل ، وموضع بعينه ، وأكثرت الشعراء من ذكره ، وخلطت بين اللوى والرمل فعزّ الفصل بينهما ، وهو واد من أودية بني سليم ، ويوم اللوى وقعة لبني ثعلبة على بني يربوع . والدّخول : اسم واد من العُليّة باليمامة ، بين إمّرة وأسود العين ، وحومل ، وتوضع والمقراة : مواضع بين إمّرة وأسود العين لغني وأسد أدنى حمى ضريّة ، وأسْود العين : جبل بنجد يشرف على طريق البصرة إلى مكة ، ودارة مأسل : نخل وماء لعقيل ، تضوّع : انتشرت رائحته ، الريّا : الرائحة الطيبة ، لم تنتطق : لاتشدّ وسطها بنطاق ، والتفضل : لبس الفضلة ، للعمل أو النوم .

(٢) معجم البلدان : عرعر ، موضع بنجد ، وواد قرب عرفة لهذيل ، وقو : بين فيد والنباج ، وحمير : حمير بن الغوث الأدنى باليمن بموضع حمير غربي صنعاء ، وإليه ينسب أكثر اللغة الحميريّة ، والسّنا : نبات طيّب الرائحة ، المفروك : المسك الذي فُتقت نافجته ، الأذفر : القوي الرائحة ، الحقّة : منحوتة من العاج ، البان : شجر له ثمر طيب الدهن ، الألوي : عود يتبخر به ، الرند : شجر طيب الرائحة ، اللُبنى : عطر طيّب الرائحة ، الكِباء : مفرد كُبيٌ ، وهو عود البخور ، المقتّر : المدخّن الساطع الرائحة ، الديوان ٢٣٠ ، ٣٣٣ .

فجعوني ، يوم زمّوا عِيْرَهُمْ ... برخيم الصوت ، ملثوم ، عطرْ [1]

وقال عدي بن زيد :

هيّج الدّاءَ فيّ فؤادك حورٌ ... ناعمات بجانب المِلطاط [2]

وأثرُ حديثِها في النفوس قوي ، قال لبيد :

كأنّ الشّمول خالطتْ في كلامها ... جَنياً من الرُّمّانِ لَدْناً وذابلا

لذيذا ومنقوفاً بصافي مخيلة ... من الناصع المختوم من خمر بابلا

فأجمادَ ذي رَقْدٍ فأكناف ثادق ... فصارةَ تُوفِي فوقها فالأعابلا [3]

وقال امرؤ القيس :

فعنّ لنا سربٌ كأنّ نعاجَه ... عذارى دُوَارٍ في ملاءٍ مُذيّلِ

أصاحِ ترى برقاً أريك وميضَه ... كلمح اليدين في حَبِيٍّ مُكلّلِ

كأنّ ثبيراً في عرانين وَبْلِهِ ... كبيرُ أناسٍ في بِجادٍ مزمّلِ [4]

ومن طبيعة المرأة أن تأخذ زينتها في هذه المواطن فيراها الفتيان فيعلقون بها ، قال قيس بن الخطيم :

وعهدي بها أيام نحن على مِنى ... وأحسن بها عذراء ذات ذوائب

صبحنا بها الآجام حول مزاحم ... قوانسَ أولى بيضها كالكواكب [5]

وكانت هذه الأماكن أيضا مبعث حب وغزل تشخص الفتيات إليها ، فيسبين قلوب

---

(١) معجم البلدان : يُسر نقب تحت الأرض فيه ماء لبني يربوع بالدهناء ، زمّوا العير : شدوا الأزمّة للرحيل ، رخيم الصوت : اللين الرقيق .

(٢) معجم البلدان : ملطاط ، طريق على ساحل البحر ، كانَ يُقال لظاهر الكوفة اللسان ، وما ولي الفرات منه الملطاط .

(٣) معجم البلدان : بابل ، وصارة جبل بديار بني أسد قرب فيد ، ورقد جبل في بلاد بني أسد ، وثادق واد يفرغ في الرمّة أسفله لعبس ، وأعلاه لبني أسد .

(٤) معجم البلدان : ثبير ، جبل بمكة سمي برجل من هذيل مات فيه ، لما تجلى الله للجبل يوم موسى ، عليه السلام ، تشظى ثلاثة أجبل وقعت بمكة .

(٥) معجم البلدان : مزاحم ، أطم بالمدينة ، القونس : أعلى البيضة من الحديد ، الديوان .

الفتيان ، قال أبو دؤاد الإيادي[1] :

بل تأمّلْ ، وأنت أبصرُ منّـي ... قصدَ ديرَ السّوَا بعين جليّـه

لمن الظّعن بالضحى وارادت ... جدوال الماء ثم رُحنَ عشيّـه

مظهرات رقماً تُهال له العيـ ... ـنُ وعقلاً وعقمةً فارسيّـه[2]

وقال الشاعر الذي يهيج ذاكراه امرأة تشبه الغزال بجمالها :

سقى الله ديرَ اللُجِّ غيثاً ، فإنّه ... على بعده منّي ، إليّ حبيـبُ

يهيّج ذاكره غزال يحلّـه ... أغنّ سَحور المقلتين ربيـب[3]

وقال ورد بن الوَرْد الجعدي :

سل الرّيح ، إن هبت شمالاً ضعيفة ... متى عهدُها بالدير دير حبيب

متى عهدها بالنوفليّات ، حبّذا ... شواكل ذاك العيش حين يطيبُ[4]

وقال عبد المسيح بن بقيلة :

كم تجرّعتُ بدير الجَرَعة ... غُصصاً كبدي بها منُصدعَهْ

من بدورٍ فوق أغصانٍ ، على ... كثب زُرْنَ احتساباً بِيَعَهْ[5]

وتغنّى الشعراء بجمال القيان في مجالس الغناء ، قال طرفة :

نداماي بيضٌ كالنجوم وقَيْنَةٌ ... تروح علينا بين بُرْدٍ ومجسدي

---

(١) هو جارية بن الحجاج ، جاهلي قديم ، كان ثالث ثلاثة اشتهروا في وصف الخيل ، والآخرون : طفيل والنابغة الجعدي ، وقيل أن العرب لا تروي شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد ؛ لأن ألفاظهما ليست بنجدية ، توفي نحو ١٤٧ ق.هـ .

(٢) معجم البلدان : دير السّوا بالحيرة ، معناه دير العدل ، لانهم كانوا يتحالفون ، عنده فيتناصفون ، الرّقمة : ضرب مخطط من الوشي والخز ، والعَقْم : ضرب من الوشي أحمر ، والعقْل : ضرب من البرود .

(٣) معجم البلدان : دير اللج بالحيرة بناه النعمان بن المنذر أبو قابوس .

(٤) معجم البلدان : دير حبيب لا يعرف موضعه ، وفي البيت الأول إقواء ، النوفليات : شئ من صوف تختمر عليه نساء العرب ، والمراد هنا النساء ، شواكل : طرق .

(٥) معجم البلدان : دير الجَرَعَة بالحيرة ، عبد المسيح هو ابن عمرو ، بُقيلة الغساني سمي بُقيلة لخروجه على قومه في حلتين خضراوين ، كان أحد المعمّرين ، عمّر ثلاثمائة وخمسين سنة . معجم البلدان : دير المسيح .

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرتْ لنا | على رِسْلها مطروقةٌ لم تشـدَّدِ [1]

وقال الأعشى :

وكعبةُ نجرانَ حتـمٌ عليـ | ـك حتى تُناخي بأبوابهـا

نزورُ يزيدَ وعبد المسيـ | ـح وقيساً هم خيرُ أربابهـا

وشاهدنا الجلُّ والياسمـ | ـين والمسمعات بقصّابهـا [2]

وقال عبدة بن الطبيب [3] :

حلّت خويلةُ في دار مـجاورةً | أهل المدائن فيها الديكُ والفيـلُ

تُذري حواشيه جِيدا آنسـةٌ | في صوتها لسماع الشَّرْب ترتيل [4]

هذه العلاقات الخارجة على نظام الزواج الذي كان مألوفا قبل الإسلام ، كانت مقصورة على فئة خاصة من النساء وهن البغايا يقصد إليهن الفتيان ، وكنّ يوهبن ، ويستمتع بهن ، كما كانت القيان يوهبن ، قال الأعشى :

وطال السنام على جَبْلـةٍ | كخلقاءَ من هضبات الضّجـن

هو الواهب المسمعاتِ الشُّـرو | ب ، بين الحرير وبين الكَتّـن [5]

وقال النابغة يمدح النعمان :

الواهب المائةِ المكعاء ، زيّنهـا | سعدانُ تُوضحَ في أوبارها اللِّبـدِ

والراكضاتِ ذيولَ الرِّيط ، فانَقَها | بَرْدُ الهواجر ، كالغِزلان بالجـرَدِ

---

(١) الديوان ٢٣٣ ، المطروقة التي بها ضعف ، ويروي مطروفة : كأنها أصيب طرفها لفتور نظرها .

(٢) معجم البلدان : نجران ، كان يزور نجران ، ويمدح العاقب والسيد ويسمعونه الغناء الرومي ، الأغاني ٦/٦٩ ، المسمعات : المغنيات ، القصاب : الزمار ، الجُلّ : الورد ، فارسي معرب اللسان : جلل ، ودير نجران : لآل عبد المدان بن الديان ، وفي الإسلام جاء الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، العاقب والسيد وأسقف نجران للمباهلة ، الديوان ٣٧ .

(٣) هو من بني عبد شمس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، الشعر والشعراء ٤٨٦ .

(٤) هذا دليل في أن القيان كن يغنين بالعربية ، معجم البلدان : المدائن ، بالفارسية توسفون وعربوه الطيسفون وسمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن ، فتحها سعد أيام عمر ، رضي الله عنه ١٦هـ ، حواشيه : أطرافه .

(٥) معجم البلدان : ضجن ، جبل وواد في بلاد هذيل قرب مكة ، جَبْلة : ضخمة . الخلقاء : الصخرة الملساء ، المسمعات : القيان المغنيات .

ولا أرى فاعلاً ، في النّاس يشبهُ ولا أُحاشي ، من الأقوام ، من أحدِ
إلاّسليمانَ إذْ قال الإلهُ لـه : قمْ في البريّة ، فاحددها عن الفنَدِ
وخيّس الجنَّ إنّي قد أذنتُ لهم يبنونَ تدمرَ بالصُّفّاح والعمـدِ [1]

حب المرأة :

يصور الغزل مالا يصوره غيره ؛ لأنه يكشف عن داخل المحب والمحبوبة ، ويصدر من العاطفة ، ويدور حول المرأة ، فالحب والمرأة ينبوع الشعر في كل عصر ؛ لأنه يمثل عاطفة إنسانية ، فلم يقتصر على عاطفة قائله وحده ، فشغل الشعراء بالغزل منذ القدم ، وكانت المحبوبة ذات تأثير في نفس الشاعر ، قال المرقش الأصغر :

تبصّرْ خليلي هل ترى من ظعائن خَرجْنَ سراعا واقتعَدْنَ المفائمـا
تحمّلنَ من جوّ الوريعة بعدمـا تعالى النهار وانتجَعْنَ الصرائمـا
صحـا قلبُه عنها خلا أنَّ روعَه إذا ذُكرتْ دارتْ به الأرضُ قائمـا [2]

و يتذمر عنترة من بعدها وهجرانها ، وتمنّعها بقوله:

نـأتْكَ رَقَاشِ إلاّ عن لِمـامِ وأمسى حبلُها خَلَقَ الرِّمام
لقد منّتْكَ نفسُك يوم قـوٍّ أحاديث الفؤادِ المستهـام
وقفت وصحبتي بأُرَيْنِبـاتٍ على أقتاد عُوجٍ كالسِّمـام
فقلت : تبيّنوا ظُعُناً أراهـا تَحُلّ شُواحِطاً جُنْحَ الظلام [3]

(١) معجم البلدان : تدمر مدينة قديمة في بريّة الشام ، سميت بتدمر بنت حسان أذينة ، وهي من عجائب الأبنية ، زعم قوم أنها ممّا بنته الجن لسليمان ، عليه السلام ، والمكعاء : الغلاظ ، وسعدان : بنت ، توضع : موضع ، المُفتّى : المشرف ، الهواجر : جمع هاجرة وهي الحر الشديد ، الجرد : الموضع لا ينبت شيئا ، المحاشاة : الاستثناء ، البريّة : الخلق ، الفند : الخطأ في الرأي ، خيّس : ذلل .

(٢) معجم البلدان : الوريعة ، حزم لبني فُقيم بن دارم ، والمرقش : اسمه ربيعة بن سفيان ، والمفائم : ما يغطى به الهودج .

(٣) معجم البلدان : أرينبات ، موضع ، ورقاش : اسم امرأة ، نأتك : هجرتك ، عن لمام : لا يلقاها إلا حيناً بعد حين ، حبلها رمام : حبل وصالها بالٍ ، الرمام : جمع رُمّة ، وقوّ : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة ، بين فيد والنباج ، الأقتاد : جمع قتد خشب الرحل ، العوج : الأبل المعوجة الأرجل ، السمام : طائر صغير ، تشبيه لسرعتها ، الظعن : الهوادج ، وشواحط : جبل قرب المدينة ، وحصن باليمن ، التغرير : الخداع ، وقطام : اسم امرأة .

وقد كذبَتْكَ نفسُك ، فاصدُقَنْها بما منَتْك تغريراً قَطَامِ

ويشكو أيضا من البعد ، بقوله :

حلّتْ بأرض الزائرينَ فأصبحتْ عَسِراً عليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

كيف المزار وقد تربّعَ أهلها بعُنَيْزَتين وأهلُنَا بالغيلم [1]

ويقول :

وتحلُّ عبلة بالجواءِ ، وأهلها بعُنيزتين ، وأهلُنا بالديلم [2]

هذا البعد يحرق قلبه ، فتضطرب نفسه ، فيقول :

يا دار عبلة حولَ بطن ملاظ فالغيقتين إلى بطون أراظ

من حبِّ عبلة إذ رأته بدلّها أمسى يلذّع قلبَهُ بشُواظ [3]

ويتجرع تميم بن أبي بن مقبل مرارة الفراق ، حتى يوصله إلى درجة الأسى بعدما يذرف الدموع الغزار ، بقوله :

أأنتَ محيّي الرّبع أم أنت سائلُهْ بحيث أفاضت في الركاء مسايلُه

إذِ الدهر محمودُ السجيّات تُجْتنَى ثمار الهوى منه ويُؤمن غائلُه [4]

وكيف تُحيِّي الرّبعَ قد بانَ أهلُه فلم يبقَ إلا أسُّه وجنادلُه

وقد قلتُ من فرط الأسى ، إذ رأيتُه وأسبل دمعي مستهلاً أوائلُه

ألا يالقومي للديار ببَدْوة ، وأنّى مراحُ المرء والشيب شامله [5]

وييأس معن بن أوس من الوصال ، بعد أن استجابت للوشاة والشامتين ويعيش في حيرة الوجدان ، أيبقى محباً أم يتناسى ؟ أنّى له ذلك ؛ لأن من شأن الحب أن يتملك

---

(١) معجم البلدان : غيلم ، اسم موضع ، والغيلم : السلحفاة ، والمرأة الحسناء ، والزائرون : الأعداء كأنهم يزأرون ، بعدت عبلة عن مزاره ، عنيزتان : موضع ، الديوان ٤٩ .

(٢) معجم البلدان : جواء ، واد في ديار عبس ، والديلم : ماء لبني عبس ، هذا البيت غير وارد في الديوان .

(٣) معجم البلدان : ملاظ ، موضع ، وغيقة : بين مكة والمدينة في بلاد غفار ، وموضع بحرّة النار لبني ثعلبة بن ذبيان ، وأراظ : موضع حجازي .

(٤) معجم البلدان : ركاء ، واد في ديار بني العجلان ، اكثر تميم من ذكره .

(٥) معجم البلدان : بدوة ، جبل بنجد لبني العجلان .

القلوب ويأسرها ، يقول :

توهّمتُ رَبْعاً بالمُعبّر واضحاً   أبتْ قرّتاه اليوم إلاّ تراوُحا

فبانتْ نواها من نواكَ وطاوعتْ   مع الشامتين الشامتاتِ الكواشحا [1]

ويعيش عبدة بن الطبيب المعاناةَ نَفْسَها ، فهو أسيرها ، لا يفتأ يذكرها ، ويعاني من حيرة الوجدان بقوله :

وقلت لها يوما بوادي مُبايض :   ألا كلّ عانٍ غير عانيك يُعتق

وذكّرَنيها بعدما قد نسيتُها   ديارٌ علاها وابلٌ مُتبعِّقُ [2]

ويقول أيضاً :

هل حبلُ خولةَ بعد الهجر موصول   أم أنت عنها بعيدُ الدار مَشْغُول ؟

وللأحبّة أيامُ تذكّرُها   وللنّوى قبل يوم البَيْنِ تأويلُ

حلّتْ خُويلةُ في دارٍ مجاورةً   أهلَ المدائن فيها الديك والفيل [3]

ويشكو سويد بن أبي كاهل من تمنع الحبيبة ، بقوله :

لا أُلاقيها ، وقلبي عندها   غير إلمام إذا الطرف هجعْ

تُسمعُ الحدّاثَ قولا حسناً   لو أرادوا غيرَه لم يُستمعْ

كالتُّواميّةِ ، إنْ باشَرْتها   قرّتِ العينُ وطابَ المضطجعْ [4]

وتأسر قلبَ بشر بن أبي خازم ، بقوله :

سبتْهُ ولم تخشَ الذي فعلت به   منعّمةٌ من نشء أسلمَ مُعْصِرُ [5]

---

(١) معجم البلدان : معبر ، من جبال الدهناء .وانظر قول معن : معجم البلدان (بيضان) .

(٢) معجم البلدان : مبايض ، موضع كان فيه يوم للعرب ، قتل حميصةُ بن جندل فارسَ بني تميم - طريفَ بن تميم - ، ومطر بعاق : مندفع بالماء .

(٣) معجم البلدان : مدائن ، سمتها العرب ؛ لأنها سبع مدائن .

(٤) معجم البلدان : (تؤام) ، قصبة عُمان من جهة الساحل ، ينسب إليها الدر ، وصُحار قصبتها مما يلي الجبل ، موضع باليمامة لعبد القيس والأزد وبني حنيفة .

(٥) معجم البلدان : ركوبه ، موضع بين مكة والمدينة قرب جبل ورِقان سلكه عليه السلام عند هجرته .

هي الهمّ لو أن النوى أصقبتْ بها ولكنّ كراً في ركوبة أعسَرُ

وصور الشعراء آلامهم من الرحلة ، فهذا بشر ابن أبي خازم يرى قوم الحبيبة مرتحلين ، لكنه يكذب نفسه ويتساءل :

ألا بان الخليط ولم يُزاروا وقلبك في الظعائن مستعارُ

أسائل صاحبي ، ولقد أراني بصيراً بالظعائن حيث صاروا

تؤمُّ بها الحداةُ مياه نخلٍ وفيها عن أبانينَ ازورار [1]

ويحن إليها بعد الفراق ويدعو بالسقيا لها ، قال ضبعان بن عبّاد النميري :

ألا حبّذا البرقُ اليمانيّ وحبّذا جنوبٌ أتانا بالغبيط نسيمها

أتتنا بريح من خُزامى غريبة تمتّع بيتاً فاستقلّ عميمها

بدور براقِ الخيل ، أو بطن راكس سقاها بجود بعد عُقر غيومها

هي المسك أو أشهى من المسك نشوةً إذا هي شمّت لو ينال شميمها [2]

ويرحل بعضهم لتكون الرحلة مسلاة ، قال لبيد :

وكنت إذا الهموم تحضّرَتْني وصدّتْ خُلّةٌ بعد الوصال

صرمت حبالها وصددتُ عنها بناجيةٍ تجلُّ عن الكلالِ

كأخْنسَ ناشطٍ جادتْ عليه ببرقة واحف إحدى الليالي [3]

وإذا كانت رحلة الشاعر للحاق بالمحبوبة ، فإن ذكريات المحبوبة تبقى في ذاكرة المحب لا ينساها ، فيذكرها إذا مالاح برق ، قال أعرابي :

سرى البرقُ من أرضِ الحجاز فشاقني وكلُّ حجازيٍّ له البرقُ شائقُ

---

(١) معجم البلدان : أبانان ، جبلان ، ونخل من منازل بني ثعلبة على مرحلتين من المدينة ، والحدو : سوق الإبل والغناء لها ، والخليط : القوم الذين أمرهم واحد .

(٢) معجم البلدان : براق الخيل ، موضع ترب راكس ، واد ، ريح الجنوب محببة ، وأما ريح الشمال فمكروهة لبرودتها ، وهي عندهم الشامية .

(٣) معجم البلدان : برقة واحف، موضع قرب، الناجية : الناقة والأخنس : ثور الوحش، ناشط : كثير التنقل، الديوان ١٠٤ ، ١٠٥ .

فواكبدي مما ألاقي من الهوى إذا حنَّ إلفٌ أو تألّق بارق [1]

ويؤرّق المحبَ خيالُها ، قال عبدة بن الطبيب :

تأوّب من هند خيالٌ مؤرّق إذا استيأستْ من ذكرها النفسُ تطرق

وأرحلُنا بالجوّ جوادة بحيث يصيد الآبداتِ العسلّقُ [2]

ويورق خيالُها عينَ سويد بن أبي كاهل ، بقوله :

أرّق العين خيال لم يدعْ من سُليمى ففؤادي منتزعْ

حلّ أهلي لا أطلبُها جانب الحِصْنِ وحلّت بالفرَعْ [3]

ويلمّ خيالها ببشر بن أبي حازم ، بقوله :

سمعتُ بدارة القَلْتين صوتا لحنتمةَ ، الفؤاد به مضُوع

ألمّ خيالها بلوى حُبَيٍّ وصحبي بين أرحُلهم هجوع [4]

ويُسعد طرفة بن العبد طيفها ، بقوله :

بتثليثَ أو نجران أو حيث يلتقي من النَّجد في قيعانِ جاس ، مسايُله

ديارُ سُليمى ، إذا تصيدُكَ بالمُنى وإذ حبلُ سَلْمى منك دانٍ تواصلُه

سما لك من سلمى خيال ودونها سوادُ كثيبٍ ، عرضُهُ فأمايلُهْ [5]

الغزل الحسي :

يفترق هذا الضرب من الحب عن سابقه من أنه تعبير عن نوع من الحب أساسه الشوق إلى الاستمتاع بالمرأة ، وأن أعلامه لا طاقة لهم بالصبر على واحدة ؛ ليقصروا عواطفهم عليها ، ويتغنوا بحبها ، بل جاء حبهم مؤقتا ، فقلّما يهتمّون بالهجر ، ولم يتحرّج أبطاله من التصريح بلذاتهم ، فيقتحم امرؤ القيس حماها متجاوزا الحرس ، بقوله :

---

(١) معجم البلدان : حجاز ، سمي لأنه فصل بين الغور والبادية .

(٢) معجم البلدان : جوادة ، جوّجوادة في ديار طئ ، والعسلّق : الذئب ، والآبدات :جمع آبدة ،وهو المقيم من الطيور والوحوش .

(٣) معجم البلدان : فرع ، موضع بين الكوفة والبصرة ، وكأنه سمي لخصبه ، والحصن : ثنية بمكة ، وموضع بين حلب والرّقة .

(٤) معجم البلدان : دارةُ القَلْتين ، وراء ثهلان في ديار نمير ، وحبي : موضع بتهامة كان لبني أسد وكنانة .

(٥) معجم البلدان : جاس ، موضع ، سواده : ما يبدو منه للعين ، أمائل : جمع أميل ، الجبل المستطيل .

أصاح ترى برقا أُريكَ وميضَــه — كلمح اليدين في حبيٍّ مكلَّلِ
كأن أبانـاً فـي أفانين وَبْلـــه — كبيرُ أناسٍ في بجاد مُزمـّـل
إذا ما الثريّا في السَماء تعرّضتْ — تعرّضَ أثناء الوشاح المفصَّـل
تجاوزتُ أحراساً إليها ومَعْشــرا — عليّ حراصاً لو يسرُّون مقتلي
فمثلك حُبلى قد طرقتُ ومرضعٍ — فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحْـولِ
وبيضة خدر لا يُرام خباؤهـا — تمتّعتُ من لهو بها غير مُعْجَلِ [1]

ويصرح أيضا بلذاته ، واستمتاعه بالشابة الناعمة اليدين والجسم ، وبيضاء الثغر، وغزيرة الشعر ، متسللا إليها غير هيّاب بالنتائج ، بقوله :

ومثلكِ بيضاء العوارض ، طَفْلَةٍ — لعوب تنسّيني إذا قمتُ سربالــي
تنورْتُها من أذْرِعاتٍ ، وأهلُها — بيثربَ ، أدنـى دارها نظرٌ عــالِ
سموتُ إليها ، بعد ما نام أهلها — سموَّ حبَابِ الماء حالاً على حــال
فقالت : سباك الله إنك فاضحي — ألستَ ترى السُّمّارَ والناس أحوالي
فقلت يمينَ اللــه أبرحُ قاعـدا — ولوا قطعوا رأسي لديكِ وأوصالـي
فلمّا تنازعنا الحديثَ وأسْمَحَتْ — هصرتُ بغُصنٍ ذي شماريخَ ميّــالِ [2]

وليست عواطفهم مشبوبةً نحو امرأة واحدة ، فهم متنقلون في لهوهم ، فتعددت الأسماء عند امرئ القيس ، فقال ، يذكر هنداً والرباب ، وفرتنى ، ولميس :

لمن الديار عرفتها بسُحـام — فعمايتين ، فهضب ذي إقدام
فصفا الأطيط فصاحتين فغاشم — تمشي النعامُ به مـع الآرام
دار لهندٍ والرّباب وفرتَنـى — ولميسَ ، قبل حوادث الأيّـام [3]

---

(١) معجم البلدان : أبان جبل أبيض شرقي الحاجر لبني فزارة وعبس ، وأبان الأسود جبل لبني فزارة خاصة ، بينه وبين الأبيض ميلان ، والوميض : اللمعان ، والحبيّ : السحاب المتراكم ، والبجاد : الكساء المخطط .

(٢) معجم البلدان : أذرعات ، وعرفات ، الفصيح في عرفات وأذرعات الصرف ؛ لأن التاء لم تخصص للتأنيث ، بل هي أيضا للجمع ، فأشبهت التاء في بيت ، ومنهم من رآها غير مصروفة لأن التنوين مقابلاً للنون التي في جمع المذكر السالم .

(٣) معجم البلدان : أطيط موضع ، وإقدام جبل ، وسُحام : واد بفلج ، وعمايتان : جبل بالعالية ، وصاحتان موضع ، وصاحة : هضاب لباهلة قرب عقيق المدينة ، الصاحات : اسم جبال بالسّراة .

وقال ذاكراً سُليمى :

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا ... وحلّت سُليمى بطن فعرعرا [1]

وقال في ليلى :

وتحسب ليلى لا تزال كعهدِنا ... بوادي الخُزامى ، أو على ذات أوعالِ [2]

وقال في حقّ سعاد :

وقد عَمُرَ الروضات حول مخطط ... إلى اللُّخّ مرأى من سعادَ ومسمعا [3]

ولا يكبحه نأيُها ، فيذكر سلمى :

أمن ذكرى سَلْمى أن نأتْكَ تنوص ... فتقتصرُ عنها خطوةً أو تبوص

تراءتْ لنا يوما بسفح عُنيزةٍ ... وقد حانَ منها رحلةٌ وقُلُوص [4]

ويخاطب ماويّةَ بقوله :

أماويّ هل لي عندكم من معرَّس ... أم الصُّرْمَ تختارين بالوصل نيئسِ

كأنّي ورحلي فوق أحْقبَ قارحٍ ... بشربّةَ أو طاوٍ بعرنانَ مُوجسِ [5]

ويدخل خدر عنيزة ، ويخاطب فاطمة ، بقوله :

ألا ربّ يومٍ لك منهنّ صالحٍ ... ولا سيّما يومٍ بدارةِ جُلجُلِ

ويومَ دخلتُ الخدرَ خدر عُنيزةٍ ... فقالت : لك الويلات إنّك مرجلي

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل ... وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي [6]

ويهدد أسماء إن هجرتْ بحبٍّ جديد ، بقوله :

---

(١) معجم البلدان : بطن ظبي ، أرض لكلب ، وعين ظبي : موضع بين الكوفة والشام .

(٢) معجم البلدان : أوعال ، جبل أو هضبة ، جمع وعل وهو كبش الجبل ، وخزام واد بنجد .

(٣) معجم البلدان : روضة مخطط واللخ : موضعان ، ومخطط موضع كان فيه يوم الغبيط لشيبان من ربيعة على يربوع من تميم .

(٤) معجم البلدان : عنيزة ، من أودية اليمامة قرب سواج ، تنوص : تتحول ، تبوص : تسبق ، القُلوص : الذهاب والبعد.

(٥) معجم البلدان : شربة ، موضع ، وعرنان : جبل بين تيماء وجبلي طئ ، ماوي : مرخم ماوية وهي إحدى صواحبه ، المعرس : النزول والإقامة ساعة من الليل ، والصرم : القطع والهجر ، الرحل : القتب ، الأحقب : حمار الوحش .

(٦) معجم البلدان : دارة جلجل منازل حجر الكندي بنجد ، وعنيزة : عشيقته وهي ابنة عمه ، وقيل : هو لقبها واسمها فاطمة .

أأسماءُ ، أمسى ودُّها قد تغيّرا ستُبدِلُ إنْ أبدَلْتِ بالودِّ آخـــرا

ألا هل أتاها والحوادثُ جمّـةٌ بأنّ امرأ القيس بن تملكَ بيقــرا [1]

ولا يبالي من قطيعة دعد ؛ لأنّ الأوانس غيرها تواعده ، بقوله :

ولقد تواعدُني الأوانس كالدُّمى بعد الهدُوِّ ، فيلتقي الوعــــدُ

صرمتْكَ ، بعد تواصل ، دعـدُ وبدا لدَعْدٍ بعض ما يبــــدو

تذر العجاجَ وراءها متنصِّباً ريعانُها ، وكأنّها السُّبْـــــدُ [2]

وتنفر خنساء من شيب رأسه ، بقوله :

قالت الخنساءُ لما جئتُهــــا شابَ بعدي رأسُ هذا واشتهـبْ

يابنة الكنديِّ أمّا تعجبــي من فتى لاقى سرورا واغتــربْ [3]

كما وتنفر جُمْل من تقدّم سنّه ، بقوله :

وتقول جُمْلٌ : قد كبرتَ ، وشفّك الـ حدثانُ ، يا ابن الخير ، بالأزلِ

ولـرُبَّ مـاجـدةِ الجـدود كـريمـةٍ واصَلْتُها بمُمَتّعِ الـوصـلِ

فظلِلْنَ فـي روضـات محـنـيـةٍ بين العضـاهِ ، وسامق البقـلِ

فـحمـدْنني وذممـنَ كـلَّ مـزنّـدٍ عبـد الخليقة ، فاحشٍ وَغْـلِ [4]

ومن الأسماء التي كرّر ذكرها الأعشى ، جُبيرة ، فقال :

لاتَ هَنّـا ذكرى جُبيـرةَ أو مَـــنْ جـاء منها بطـائفِ الأهـوال

---

(١) معجم البلدان : بيقر ، بمعنى إذا دخل العراق ، وإذا ترك البدو وسكن الحضر ، وتملك أمه .

(٢) معجم البلدان : سبد موضع قرب مكة والسبد : طائر لين الريش مثل العقاب ، يجري الماء عنه سريعا .

(٣) معجم البلدان : كندة ، مخلاف باليمن باسم القبيلة .

(٤) معجم البلدان : روضة عدد الرياض ببلاد العرب مائة وست وثلاثون روضة ، سميت روضة لاستراضة الماء فيها ، وإذا أعشبت تلك الرياض ربّعت العرب . شفك : أصابك ، الأزل : الشدة والضر ، السامق : المرتفع ، المزند : الضيق الصدر ، عبد الخليقة : اللئيم ، وغل : الذي يدخل في طعام القوم ، ولم يدعَ إليه .

حلَّ أهلي بطن الغميسِ فبــادَوْ — لى وحلّت عُلويّة بالسِّخـال [1]

وذكر ريّا أيضا فقال :

أتـصـرمُ ريّا أمْ تديمُ وصـالـهـا — بل الصرْمَ إذ زمّتْ بليل جمالَها

وما أمُّ خِشفٍ جابةُ القرنِ فاقد — على جانبَيْ تثليثَ تبغي غزالَها

بأحسنَ منها يوم قام نواعمٌ — فأنكرنَ ، لّما واجهْتَهُنّ ، حالَها [2]

وممن تغزل بهن زينب بقوله :

تصابيتَ أم بانت بعقلك زينبُ — وقد جعل الودُّ الذي كان يذهب

طلبتهم تطوي بيَ البيدَ جَسْرةٌ — شُويقنةُ النّابين وَجْناءُ ذِعلَبُ

مُضبّرةٌ حَرْفٌ كأنّ قتودَهــا — تضمّنهُ من حُمْرِ بنيانَ أحقبُ [3]

وقال أيضا يذكر رحيل سعاد :

بانت سعاد وأمسى حبلُها انقطعا — واحتلّتِ الغمرَ فالجُدّينِ فالفَرَعَا [4]

وقال أيضا داعيا سلمى إلى الاعتبار بخراب ديار ثمود:

أوصلت صُرْمَ الحبـل مــن — سَلمى لطـول جنـابهـا

أو لـن تـرَيْ حِجْراً – وأنــ — ـتِ حكيمـةٌ ، ولمـا بهـا [5]

وذكر سمية أيضا فقال :

قـالـت سُميّــة ، إذ رأتْ — برقاً يلوح على الجبـال

---

(١) معجم البلدان : غميس ، موضع مرّ به النبي صلى الله عليه وسلم ، في غزوة بدر، وبادولى ببطن فلج باليمامة .

(٢) معجم البلدان : تثليث ، موضع قرب مكة ، ويوم بين سُليم ومراد ، الخشف : ولد الظبية حين ولادته ، جأبة القرن : ظاهرة القرن .

(٣) معجم البلدان : بنيان ، وهي قرية باليمامة ، و الجسرة : الناقة الضخمة ، شويقنة : من شقأ ناب البعير : طلع حدّه ، ذعلب : سريعة ، مضبرة : مكتنزة . الأحقب فيه بياض.

(٤) معجم البلدان : فرع ، موضع بين الكوفة والبصرة ، والغمر والجدان : موضعان .

(٥) معجم البلدان : الحِجْر : من منازل ثمود في وادي القرى ، وحَجْر : مدينة في اليمامة ، جنابها : من جانب ، تجنبُ ، يدعوها إلى الاعتبار بخراب ثمود .

يا حبّذا وادي النُّجَيْـــــــ ـــر ، وحبّذا قيسُ الفِعـــــال [1]

وقال أيضا منوها بخلف قُتيلة :

مِنْ ديار بالهَضبِ هضب القليب … فاض ماءُ السرور فيضَ الغُرُوب

اخلفَتْني بـه قُتيلـةُ ميعــا … دي ، وكانت للوعد غيرَ كذُوب [2]

وقال أيضا في حب قَتْلَةَ :

ألا يــا قتـلُ قـد خلُقَ الجديـدُ … وحبُك ما يُمحُ وما يُبيــــد

أريتُ القومَ نارَكِ لم أغمّـضْ … بواقصةٍ ومشربُنـــا زَرُود

تضيّفَ رملةَ البقّار يومــاً … فباتَ بتلك يضربه الجليـــد [3]

وقال أيضا يذكر لميس :

أصَرَمْتَ حبلك من لميــــ ـــسَ اليومَ أم طال اجتبــابُهْ

يامن يرى رَيْمَانَ أمـــ ـــسى خاوياً خرباً كعابُــــهْ [4]

وقال أيضا يشكو من بعد ليلى :

أأزمعتَ من آل ليلى ابتكارا … وشطّتْ على ذي هوًى أن تزارا

وإنّ أخاكِ الذي تعلمــين … ليالِيَنا ، إذْ نحلّ الجفـــارا [5]

وقال أيضا يشكو من زوال آثار ميثاء بسبب المطر والريح الشرقيّة :

لميثاءَ دار قد تعفّتْ طلُولُهـا … عفَتْها نضيضاتُ الصَّبا ، فمسيلُها

---

(١) معجم البلدان : النجير باليمن قرب حضرموت لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس أيام أبي بكر .

(٢) معجم البلدان : هضيب القليب بنجد وعنده جرى داحس والغبراء اسما فرسين لقيس بن زهير .

(٣) معجم البلدان : واقصة منزل طريق مكة دون زبالة بمرحلتين ، وزرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية ، والبقار رملة بنجد ، خلق : بلي ، يمح : يبيد .

(٤) معجم البلدان : ريمان مخلاف باليمن ، واسم قصر ، اجتبّ : قطع .

(٥) معجم البلدان : الجفار موضع بنجد، ويوم بين بكر بن وائل وتميم بن مر ، الابتكار : الارتحال في الصباح .

فإن تمنعوا منّا المشقّر والصّفا فإنّا وجدنا الخُطّ جمّاً نخيلُها [1]

وقال أيضا يذكر هريرة شاكياً رحيلها :

ودّعْ هريرةَ إنّ الركبَ مرتحلُ وهل تطيقَ وداعاً أيها الرجلُ

فالسفح يجري فخنزيرٌ فبرقتُه حتى تدافعَ منه السّهلُ ، والجبلُ [2]

وقال أيضا بحبّ هند :

فهو مشغوف بهندٍ هائمٌ يرعوي حيناً ، وأحياناً يحنْ

وهيَ إنْ تقعدْ نقاً من عالجٍ وإذا قامتْ نيافاً كالشّطنْ [3]

إحساس الشاعر نحو المكان بعد رحيلها :

فراق الحبيبة جحيم لا يطيقه المحب ؛ لأنّ قربها منه يحييه ، ويتعذّر القرب المستمر ، ونحن نعلم أن حياتهم كانت ذات تنقل جَرْياً وراء الكلأ والماء ، فكان فراقها متوقعا كثير الحدوث . هذا الفراق يعد من المواقف الصعبة عند الشاعر لدرجة تسكب عين كل جمود ، وأنها ساعة الرحيل ترقق القلوب القاسية .

وحينما يشهد المحب الركب مرتحلاً يعلق بهودج المحبوبة ، فيصف الهوادج والنساء ويذكر الطريق التي سيسلكها الركب مصورا حزنه من الرحيل ، قال المثقب العبدي :

لمن ظعنٌ تطالع من ضُبَيْبٍ كما خرجت من الوادي لِحِينِ

مررنَ على شراف فذات رِجْلٍ ونكّبنَ الذرانحَ باليمين [4]

وقال مضرّس بن ربعي :

تبصرْ خليليّ هل ترى من ظعائن إذا مِلْنَ من قُفٍّ علونَ رمالا

---

(١) معجم البلدان : المشقر ، حصن بين نجران والبحرين ، والصفا حصن بالبحرين ، تعفت : زالت آثارها ، نضيضات : جمع نضيضة : المطر الخفيف ، الصبا : الريح الشرقية ، والخط : جزيرة من البحرين تنسب إليها الرماح .

(٢) معجم البلدان : خنزير هضبة بديار بني كلاب ، والسفح قرب اليمامة .

(٣) معجم البلدان : عالج هضبة بين فيد والقريات ، المشغوف : المولع ، هائم : من الهيام : ذهاب الحب بالعقل ، يرعوي : يكف ، يحن : يستبد به الشوق ، النقا : الكثيب من الرمل ، الشطن : الحبل ، الديوان ٢٤٦ .

(٤) معجم البلدان :الذرانح موضع بين كاظمة والبحرين .

عوائد يجعلن الصفاة وأهلها يمينا وأثماد الضبيب شمالا [1]

وقد شبهوا الحدوج بالسفن وبالنخل لضخامتها وعلوها ، ولأن السفينة تفرّق الأحباب ، كذلك المَراكب ، قال طرفة :

كأنّ حُدوجَ المالكية غُـــــدوةً خلايا سفينٍ بالنواصف مـــن دَد [2]

وقال امرؤ القيس يتابعهم بناظريه حين ارتحلوا ،وشبههم بشجر الدوم والسفن :

بعينَي ظعن الحيّ لما تحمّلــوا لدى جانب الأفلاج ، من جَنبِ تيمرا

فشبّهتهمْ في الآل ، لما تكمّشـوا حدائقَ دومٍ ، أوسفيناً مُقـيّـرا

أو المُكْرَعاتِ من نخيل ابن يامنٍ دُوينَ الصّفا اللائي يلينَ المُشقّرا [3]

وقال المرقّش الأكبر :

لمن الظعن بالضحى طافيـاتٍ شِبْهُهَا الدومُ أوخلايا سفــــينِ

جاعلاتٌ بطنَ الضُّباع شمـــالاً وبراق النّعافِ ذاتَ اليمـــــين [4]

وقال النابغة مشبّها علوّ النساء بهوادجهن الأنجاد كما تعلو السفن الماء :

كأنّ الظعن حين طفَوْنَ ظُهـراً سفينُ البحر يمّمْنَ القراحـــا [5]

قفا فتبيّنـا أعرَيتنـــاتٍ توخّى الحيُّ أم أمّوا لُباحـــا

ويشبه عبيد سير الهوادج بعوم السفين ، بقوله :

---

(1) معجم البلدان : ضُبيب ، موضع في البحرين ، القف : ما ارتفع من الأرض .

(2) معجم البلدان : دد اسم واد ، المالكية : نسبة إلى بني مالك من قبيلة كلب ، والحدوج والحدج وأحدج : جمع حدج ، من مراكب النساء ، والحدوج أيضا :الإبل برحالها ، والخلايا : جمع الخلية ، وهي السفينة ، والنواصف موضع بعُمان ، الديوان ٢٢.

(3) معجم البلدان : المشقر واد بأجأ ، وحصن لعبد القيس بالبحرين ، وتيمرة قرية بالشام ، ومن شق الحجاز ، والأفلاج : باليمامة ، الآل : السراب ، المقير : المطلي بالقار ، المكرعات : ما غرس في الماء من النخيل ، آل يامن : جماعة من هجر ، والصفا : حصن لعبد القيس ، الديوان ٣٣١ .

(4) معجم البلدان : بِراق النّعاف ، وبطن الضُّباع ٤٤٩/١ .

(5) معجم البلدان : لُباح ، موضع ، الظعن : جمع ظعينة ، المرأة اذا كانت في الهودج ، ويوجه عام النساء ، والقراح : الأرض القفراء من الماء والنبات ، وعريتنات : اسم واد ، الديوان ٣٣ .

تبيّن صاحبي أترى حُمــولاً　　يُشبه سيرُها عومَ السُّفـــــين

جعلنَ الفلجَ من ركَكٍ شمـــالاً　　ونكّبْنَ الطويَّ عن اليمـــــين [1]

ويلفت فُرش الحدوّج وأغطيتها أنظار الشعراء ، قال ربيعة بن مقروم :

وجعلنَ عتيّق أنماط خـدورا　　وأظهرنَ الكداريَّ والعُهـــونـــا

على الأحداج واستشعرنَ ريْطا　　عراقيّاً وقَسّيّاً مَصـونـــــــا [2]

وقال امرؤ القيس مشبّها ما على الهوادج من ألوان بالبُسر الأحمر والأصفر مع خضرة النخل :

علَوْنَ بأنطاكيّةٍ ، فوق عِقمةٍ　　كجِرْمَةِ نخلٍ ، أو كجنّة يثـــرب [3]

وقال زهير :

علون بأنطاكيّةٍ ، فوق عِقمةٍ　　ورادِ الحواشي ، لونُها لونُ عندمِ [4]

وحدد الشعراء موقع المكان المقترن باسم الحبيبة تحديداً دقيقاً ، ورسموه رسماً واضحاً ، وربطوا ذكريات حبهم به ؛ لأنها تمثل عهودا عزيزة عليهم ، فهي أماكن سُكنى قومهم ، ويجدون في ذكراها عزاء وتسلية .

فحدد امرؤ القيس مكانها من جهاته الأربع بقوله :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنـزلِ　　بسقط اللّوى بين الدُّخول فحوملِ

---

(١) معجم البلدان : ركك ، موضع في جبلي طئ .

(٢) معجم البلدان : القَسُّ بلد بالهند منها الثياب والمآزر الملونة ، وموضع بين الفرما والعريش ، تنسب إليه الثياب القسّية التي جاء النهي فيها ، وقال بعضهم القزّي بإبدال الزاي سينا ، وأنماط : جمع نمط ، ضرب من البسط ، وخدور وأخدار : جمع خدر ، وهو الستر ، والكداريّ : نسبة إلى القطا باللون الكُدْريّ ، ويروى الكراكي : جمع كُركي ، طائر أحمر اللون ، وعهون : جمع عهن وهو الصوف الملوّن ، واستشعر الخوف : أضمره .

(٣) معجم البلدان : أنطاكية كانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية ، علون الخدور بثياب صنعت في أنطاكية ، والعمقة ضرب من الوشي ، جرمة التخل : البسر ، أحمره وأصفره ، الديوان ٧٢ .

(٤) معجم البلدان : أنطاكية ، وفي معلقة زهير «ورادٍ حواشيها مشاكهةِ الدّم» والعندم : شجر أحمر ، وقيل مزيج دم الغزال بلحاء الأرطى .

فتُوضحَ فالمِقراة لم يعفُ رسمها   لِما نسجتها من جنوبٍ وشمألِ [1]

وعيَّنَ زهيرُ المكان بقوله :

أمن أمِّ أوفى دِمنةٌ لم تكلَّمِ   بحومانة الدَّرّاج فالمتثلَّمِ ؟ [2]

لهذا كان اسم المحبوبة والمكان مقترَنيْن في ذهن الشاعر معنوياً ، وقد كانا مقترنين حسيّاً قبل الفراق ، قال بشر بن أبي خازم :

عفتْ من سُليمى رامةٌ فكثيبها   وشطّتْ بها عنك النّوى وشُعوبُها [3]

وربطوا ذكريات حبهم بالمكان الذي كانت الحبيبة تربع به ، وبعد الفراق يَروْه قفرا وحينما يغشى الشاعر مكانها تستدعي ذاكرته صورة المكان في الماضي السعيد ولا يكاد يتعرّف المكان ، فيُذهل ، وتصيبه الحيرة والدهشة فيتساءل ، قال الأعشى :

لمن الدارُ تعفّى رسمُها   بالغُرابات فأعلى العرَمَه ؟ [4]

وقال امرؤ القيس :

لمن الديار غشيتُها بسُحَامِ   فعمايَتَيْنِ فهضبِ ذي إقدام ؟ [5]

وقال لبيد :

لمن طلل تضمّنه أثالُ   فسرحةُ فالمَرانَةُ فالخيالُ ؟ [6]

وقال زهير :

لمن طلل كالوحي عافٍ منازلهُ   عفا الرسُّ منه فالرُّسيس فعاقلُه؟ [7]

وقال عبيد بن الأبرص :

---

(١) معجم البلدان : مقراة ، المقراة وترضح : قريتان نواحي اليمامة ، وقيل : الدخول وحومل وتوضح والمقراة ، هي مواضع بين إمَّرة وأسود العين ، والسقط : منقطع الرمل ، اللوى : رمل معوج ، الديوان ٢٦ .

(٢) معجم البلدان : حومانة الدراج .

(٣) معجم البلدان : رامة ، منزل بينه وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة ، وهي آخر بلاد تميم .

(٤) معجم البلدان : العرمة ، عارض باليمامة ، والغرابات : قرب العرمة .

(٥) معجم البلدان : سُحام واد بفلج ، عَماية جبل بالبحرين ، عمايتان موضع ، الديوان ٢٨٠ .

(٦) معجم البلدان : سَرْحة ٣/٢٠٨ موضع ، ومخلاف باليمن ، وأثال : موضع ، والمرانة والخيال : أرض لبني تميم ، الديوان ١٢٣.

(٧) معجم البلدان : رس ، الرس والرسيس : موضعا ماء لبني أسد ، وعاقل : أرض ، الديون ٦٩ .

لمن الديار بصاحةٍ فحرُوسِ . درستْ من الأقعار أيَّ دُرُوسِ ؟ [1]

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

لمن طلل بالمُنتضى غير حائل عفا بعد عهد من قطار وابل؟ [2]

وقال حسان :

لمن الديار أقفرت بمَعانِ بين أعلى اليرموك فالصمّان ؟ [3]

فقفا جاسمٍ فدار خُلَيْد فأفيق فجانبَيْ ترفُلان

وقال تميم بن أبي بن مقبل :

لمن الديار عرفتها بالساحل وكأنّها ألواحُ جفن ماثل ؟ [4]

وقال بشر بن أبي خازم :

لمن دمنةٌ عاديّة لم تُؤنّسِ بسقط اللِّوى من الكثيب فعسعسِ؟ [5]

وقال المرقش الأكبر متسائلا عن المكان الذي غيّرته الأمطار :

هل تعرف الدار بجنبَيْ خَيَم غيّرها بعدكِ صَوْبُ الدِّيم ؟ [6]

وهذا أبو دؤاد الإيادي يشبّه المكان بالكتاب :

لمن طلل كعنوان الكتاب ببطن أُواقَ أو قرن الذّهاب ؟ [7]

ويُذهل ربيعة بن مقروم بتغير المكان ، ويشبّه أثره بالكتاب :

لمن الديار كأنها لم تُحْللِ بجنوب أسنمة فقفّ العُنْصلِ

درست معالمُها ، فباقي رسمها خلَقٌ كعنوان الكتاب المُحول [8]

ولا يكاد يعرفه امرؤ القيس بقوله :

---

(١) معجم البلدان : حَروس ، موضع ، الديوان ٥١ .

(٢) معجم البلدان : المُنْتضى ، موضع .

(٣) معجم البلدان : أفيق ، من قرى حوران .

(٤) معجم البلدان : الساحل ، موضع .

(٥) معجم البلدان : عسعس ، موضع لبني عامر ، ودمنة الدار : أثرها .

(٦) معجم البلدان : خيم ، موضع .

(٧) معجم البلدان :قرْن ، اسم جبل بعرفات ، وميقات أهل اليمن ، وقرن الذهاب : موضع ، وأواق : موضع .

(٨) معجم البلدان : أسنمة ، موضع أسفل الدهناء .

لمن الديار عرفتها بسخام فعمايتَيْن فهضب ذي إقدام [1]

هذا المكان المقفر لم يبق فيه سوى بقايا تهيّج الذكرى ، يستدعي الشاعر ليعقد مقارنة بين ماضيّه السعيد وحاضره المؤلم فيلحظ المفارقة مما يجعله يتحسّر فيبكي ويُبكي أو يتباكى لحرمانه ، وشوقه ، قال امرؤ القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحومل [2]

ويقف امراؤ القيس أمام المكان مهموماً محزوناً يقول :

لمن طلل أبصرتهُ فشجاني كخطِّ زبورٍ أو عسيبٍ يمانٍ ؟ [3]

ديار لهند والرباب وفرتنى ليالينا بالنّعْفِ من بَدلانِ

فللمكان دلالته فهو يحتفظ ببصمات الحياة التي لا تزول ، وعندما يحيا الإنسان في مكان ما ، ثم يغادره يخلف ذكريات لا تنسى ، فحقّ للشاعر أن يقف ويستوقف ، يقول عمرو بن الأهتم :

قفا نبك من ذكرى حبيب وأطلالِ بذي الرُّضم فالرّمانتين فأوعالِ [4]

وينصرف عبيد بن الأبرص عن المكان وعيناه تسكبان الدمع :

لمن الديار ببُرقةِ الرَّوْحان درست لطول تقادم الأزمان

فوقفتُ فيها ناقتي لسؤالها وصرفت والعينان تبتدران [5]

بكوها لأنهم لم يعاينوا إلاّ المعالم الباقية كالرماد والنؤى ، وتحولت مسرحا للحيوان ، قال المخبّل السعدي :

وأرى لها دارا ، بأغدرة السِّيـ دان ، لم يدرس لها رسمُ

إلاّ رماداً هامداً دفعتْ عنه الرياحَ ، خوالدٌ سُحْمُ

---

(١) معجم البلدان : سخام ، موضع .

(٢) معجم البلدان : الدّخول ، وحومل ، موضعان ، و الديوان ٢٥ .

(٣) معجم البلدان : بَدلان ، موضع ، الديوان ٩١ .

(٤) معجم البلدان : الرّضم ، موضع نواحي وادي القرى .

(٥) معجم البلدان : برقة ، موضع باليمامة .

وبقيّة النُّؤى الذي رُفعــــت		أعضـاده فثـوى لــه جـــــذم [1]

ومـهـمـا يطل العـهـد بين المحبين ، فـحـبـهـا لم ينسَ ؛ لأن المكان يسـتـوقـف المحب ، فالحبيبة كانت تقيم فيه ، فديارها لم يؤثر عليها التقادم في نفسية المحب ، والمكان لم يقو ، ولم تزل معالمه ماثلةً في وجدانه ، فـيـشـتـاق بعد الفراق إلي من يحب فـيـبكي بحرارة ، ويرسم زهير صورة لدموعه ، ويشبهها بالماء الذي يسيل من الدلو العظيمة ، أو هي اللؤلؤ المنقطع من خيطه ، بقوله :

قف بالديار التي لم يعفُها القِدَمُ		بلَى وغيّرها الأرواحُ والدِّيـمُ

بل قد أراها جميعا غير مُقوِيَةٍ		سَرّاءُ فوادي الحفر فالـهِـدَمُ [2]

فلا لُكـانُ إلـى وادي الغِمـار ولا		شرقيّ سَلْمَى ولا فيدُ ولا رِهَـمُ [3]

سالت بهم قرقرى بِرْكٍ بأيمُنهم		والعالياتُ على أيسارهم خِيَـمُ

عومَ السفين ، فلما حال دونهـمُ		فِندُ القُريّاتِ فالعتكان فالكَـرَمُ [4]

كأن عيني وقد سال السليلُ بهمْ		وعَبرةٌ مَاهُـمُ ، لـو أنهـم أمَـمُ

غَرْبٌ على بكرةٍ أو لؤلؤٌ قَلِـــقٌ		في السِّلْكِ ، خان به ربّاته النُّظُمُ [5]

ولم يبقَ في المكان عند بشامة بن الغدير سوى بقايا خيمة :

لمن الديار عفـون بـالجــــزع		بالدوم بين بُحار فـالشــــرع

درستْ وقد بقيتْ على حجــج		بعد الأنيس عفَوْنهَا سبــــع

إلاّ بقـايـا خيمـة درســـــت		دارت قـواعدها على الربــع [6]

---

(١) معجم البلدان :أغدرة ، أغدرة السيدان : ماء بين البصرة والبحرين قرب البحر ، سحم : سود ، النؤى : الحفيرة حول الخيمة لمنع السيل .

(٢) معجم البلدان : سرّاء ، ماءة عند وادي سلمى أحد جبل طئ ، لم يعفها : لم يؤثر عليها التقادم ، الأرواح : جمع ريح ، الديَم : جمع ديمة ، وهي المطر .

(٣) معجم البلدان : لُكان ، ووادي الغمار وفيد ورهم : أماكن كانت تقيم بها الحبيبة .

(٤) معجم البلدان : عتكان موضع ، و كرَم : موضع ، الديوان ١١٣.

(٥) معجم البلدان : السليل ، واد، سال السليل : إذا انحدروا فيه ، والأمم : بين القريب والبعيد ، أي يبكي على من يحب .

(٦) معجم البلدان : بُحار ، موضع .

ووقف عُميرة بن جُعيل بالمكان بعد ثمانِ سنوات فلم يرَ سوى حفير الماء حول الخيمة :

ألا يادِيار الحيِّ بالبرَدَانِ — خلتْ حِججٌ بعدي لهنّ ثمانِ
فلم يبقَ منها غير نُؤيٍ مهدّمٍ — وغيرَ أوَارٍ ، كالركيِّ دِفانِ [1]

ووقف بها زهير بعد عشرين سنة ، وقد أصبحت مسرحاً للظباء ومعها صغارها :

وقفتُ بها من بعد عشرينَ حجّة — فلأياً عرفت الدار بعد توهّم
أثافيَّ سفعاً في معرّس مرجل — ونؤياً كجِذْم الحوض لم يتثلّم
ودار لها بالرقمتين كأنها — مراجيعُ وشم في نواشر معصمِ [2]
بها العين والآرام يمشين خِلفةً — وأطلاؤها ينهضنَ من كل مجثم

الأولاد :

إن الأولاد هم ثمرة الزواج ، ينعمون بعطف الأبوين بدافع الفطرة الإنسانية ، وغريزة الميل القلبي ، فتحرص المرأة على سلامة جنينها ، كما فعلت كبشة بنت عروة الرحّال ، يوم شعب جَبلة ، إذ كانت حاملا بعامر بن الطفيل ، فصاحت : ويلكم يا بني عامر ، ارفعوني ، والله إن في بطني لعزّ بني عامراً ، وقيل أنها ولدت عامراً حين فرغ الناس من القتال . [3]

إن عاطفة الأمومة لا تدانيها أي عاطفة ، فهي تشفق على الحيوان وتذرف الدموع ، فكيف على أولادها ، قال الأسود بن عبد المطلب :

أتبكي أنْ يضلّ لها بعيرٌ — ويمنعها من النوم السهود ؟

---

(١) معجم البلدان : البرَدان ماء لبني نصر بن معارية بالحجاز ولبني جشم ، ونؤي : جنع النُؤى والنأي ، الحفيرة حول الخيمة لتدفع عنه الماء ، وأوار : جمع أورة ، الحفرة التي يجتمع فيها الماء .

(٢) معجم البلدان : الرقمتان روضتان ناحية الصمان ، تثنية الرقمة : وهو مجتمع الماء في الوادي ، النواشر : جمع ناشر وهو عرق في باطن الذراع ، المعصم : موضع السوار في البد ، والعين : جمع عيناء بقر الوحش ، الأرام : جمع ريم ، الظبي الأبيض الخالص ، اللأي : التعب والمشقة ، التوهم : التمعن .

(٣) معجم البلدان : وقبان ، جبل ، كان فيه يوم جبلة لعامر وحلفائهم من عبس ، على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد ، قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة .

فلا تبكي على بكر ، ولكـــن   على بدر تقاصرتِ الجُدُود [1]

وفي حالة الشقاق والنزاع بين الزوجين ، يريد الزوج أن يأخذ الولد فتأبى الأم ، ويترافعان إلى الملك ، وتدلي المرأة بأقوالها : هذا ابني حملته تسعا ، ووضعته رفعا ، وأرضعته شبعا ، ولم أنل منه نفعا ، حتى إذا تمت أوصاله ، واستوفى فصاله ، أراد بعلي أن يأخذه كرها ، و يتركني ولهى [2]. ولما يئست من الإنصاف عبّرت عمّا في داخلها من مشاعر وعواطف فقالت :

أتينا أخا طَسم ليحكّم بيننا   فـأظـهـر حكمـاً في هزيلة ظـالمـا [3]
لعمري لقد حكمت لا متورِّعا   ولا كنْتَ فيما يلزمُ الحكم حاكمـا

وتقدّم الأم أغلى ما تملك في سبيل حرية ابنها ، كما فعلت أم بسطام بعد يوم الغبيط ، إذ أتت الخصم على جملها وبثلاثمائة بعير، ليفدي ابنُها بسطام نفسَه ، وكان أغلى فداء عندهم ، قال الشاعر :

رجعن بهانئ وأصبنَ بِشراً   وبسطـامٌ يعضُّ بـه القيــود [4]

وإذا ابتليت بفقده ، فيجثم الحزن في قلبها لا يفارقه ما رددت أنفاسها . وقد يتنفس هذا الحزن في دموع ، وإن كانت شاعرة تنفس في قصيد ، وتتمنى لو كانت الفداء له ، قالت إمرأة قد فقدت صغيرين :

فلله جاراي اللذان أراهمـا   قريبين ، منّي والمزارُ بعيـدُ
مقيمَيْنِ بالبيداء لا يبرحانها   ولا يسألان الركبَ أين تريـدُ
أمرُّ فأستقري القبورَ فلا أرى   سوى رمسِ أحجارٍ عليه لبودُ

---

(١) معجم البلدان : بدر ، أصيب للأسود بن عبد المطلب ثلاثة من ولده في بدر وكان يحب البكاء ، لكنّه يخاف أن يُشمت به ، سمع نائحة بالليل ، فلما علم أنها تبكي على بعير قال الشعر .

(٢) معجم البلدان : يمامة .

(٣) معجم البلدان : يمامة ، الزوجان المتنازعان جديسيّان هما قابس وهزيلة .

(٤) معجم البلدان : الغبيط ، أرض لبني يربوع ، فيها يوم لشيبان من ربيعة على يربوع من تميم .أسر عتيبةُ بن الحارث اليربوعي بسطامَ بن قيس الشيباني ، بعد غزو بسطام إياهم .

كواتِمَ أسرار تضَمّنَّ أعظماً ... بَلِينَ رفاتاً ، حبّهنّ جديـــدُ [1]

وقالت أمّ تأبّط شراً تبكيه :

نعم الفتى غادرتمُ برخمانْ ... من ثابت بن جابر بن سفيانْ

يجدّلُ القرنَ ويروي الندمانْ ... ذو مأْقطٍ يحمي وراء الإخوانْ [2]

وقالت أيضاً :

قتيل ما قتيلُ بني قُـــريم ... إذا ضنّتْ جمادي بالقـــطار

فتى فَهْمٍ جميعاً غـــادروه ... مُقيماً بالحُريضة من نُمـــار [3]

ويحمد أبو خراش الهذلي ألهه لنجاة ولده من الهلاك ، بقوله :

حمدت آلهي بعد عروة إذ نجا ... خراشٌ وبعضِ الشرّ أهونُ من بعض [4]

وإذا فجع أحدهم بفقد ولده فيرثيه رثاءً حاراً ، كما قال زهير بن أبي سلمى عندما فقد ابنه:

فأصبح محبـوراً يُنظَّر حولَـه ... بغبطتـه لـو أنّ ذلك دائـــم

رأيت من الأيام ما ليس عنده ... فقلـتُ : تعلّمْ إنما أنت حالـمُ

لعلّكَ يوما أن تُراعَ بفاجـعٍ ... كما راعني يوم النُّتاءةِ سالـمُ [5]

---

(١) معجم البلدان : البيداء ، اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة ، قيل : كان قوم يغزون البيت فنزلوا البيداء ، وأبيدوا بذلك المكان ، وكل أرض لا شيء بها فهي بيداء . وأصل الرمس : الستر والتغطية ، وكل ما هيل عليه التراب فقد رُمِس ، ويقال للقبر : رمس ، ولبد بالمكان لبوداً : أقام به ولزق .

(٢) معجم البلدان : رَخْمان ٣٨/٣ ، موضع في ديار هذيل عنده قتل تأبط ، ورخمان من الرخم : اسم طائر .

(٣) معجم البلدان : الحُريضة ، موضع في بلاد هذيل فيه قتل تأبط ، ونُمارَ جبل في بلاد هذيل ، والمأقط ، الموضع الذي يقتتلون فيه ، والمضيق في الحرب .

(٤) معجم البلدان : قوس ، بلد بالسراة قُتل به عروة أخو أبي خراش ، ديوان الهذليين ١٦/٢ ,٦٦٣ .

(٥) معجم البلدان : نتاءة : نخيل لبني عطارد ، والنتاءة : يوم لغطفان على عامر ، المحبور : المنعم ، الديوان ١٢٣ .

حب الأبناء للأم :

حفظ العرب لأمهاتهم صنيعهن ، وأدركوا حقوقهن عليهم فأدّوها ؛ لأنهن أشد حاجة إلى العطف من الآباء ولِلُصوقِهِنَّ بالطفل منذ بداية نشأته . فحفظ صنيعها وحماها من المهانة في كبرها ، كما فعل عمرو بن كلثوم تجاه أمه ليلى بنت كُليب [1]، حيث قتل عمرو بن هند عندما حاول أن يستذل أمّه ، وقال :

بأيِّ مشيئةٍ عمروَ بن هنـدٍ [2] … نكون لقيْلكم فيها قطينــا

تهدِّدُنـا وتـوعدنا ، رُوَيْـداً … متى كُنا لأمك مَقْتَوينــا [3]

وافتخروا بأمهاتهم ، كما فعل عمرو ذو الكلب الهذلي :

فلست لحاصنٍ إن لم تَرَوْني … ببطـنِ ضريحةٍ ذات النِّجـال

وأمـي قينةٌ إن لم تـرَوْني … بعورشَ وسط عرعرها الطوال [4]

ويفدّون بالأم ، إشعارا بأنها أعزّ إنسان عليهم ، قال عبدالله بن جذل الطعان :

---

(١) ليلى بنت مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب أعزّ العرب ، وزوجها كلثوم بن مالك أفرس العرب وابنها عمرو سيّد قومه ، الأغاني ٥٦/١١ ، والمهلهل خال امرئ القيس وجدّ عمرو بن كلثوم .

(٢) عمرو بن هند ملك الحيرة في الجاهلية ، نسب إلى أمه هند عمة امرئ القيس الشاعر تمييزاً له عن أخيه عمرو الأصغر ، ابن أمامة ، فهو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود ، يلقب بالمحرّق الثاني ، وهو صاحب صحيفة المتلمس ، وقاتِل طرفة وفي أيّامه ولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، توفي نحو ٤٥ ق .هـ .

(٣) معجم البلدان : خزاز جبل بطخفة بين مكة والبصرة ، ويوم من أعظم أيام العرب ، لمعدّ على مذحج ، والقطين : الخدم ، القيل : الملك دون الملك الأعظم ، ورواية «وأوعِدْنا» والقتو : هو الخدمة ، الديوان ٨٨ .

(٤) معجم البلدان : عَوْرش يوم من أيامهم ، وضَرِيحه ٤٥٦/٣ : موضع ، والنجال : النزّ من الماء ، التقيّن : التزّين ، مقيّنة : سمّيت لأنها تزيّن النساء شبهت بالأمة لأنها تصلح البيت وتزيّنه ، والقيْنة : الأمة المغنّية والجارية ، والقين : العبد ، والعرعر : ضرب من الشجر يعمل منه القطران ، وعمرو ذو الكلب هو ابن العجلان الكاهلي الهذلي ، سمّي بذلك لأنه كان معه كلب لا يفارقه ، وأختاه عمرة بنت العجلان وجنوب ، الأغاني ٣٥١/٣٢ .

فدًى لهم نفسي وأمّي فدًى لهم ... ببُرزة إذ يخبطنّهم بالسنابـــك [1]

وقال حذيفة بن أنس الهذلي مفدّيا بأمه وخالته :

فدًى لبني لحَيان أمي وخالتي ... بما ماصعوا بالجزع ركبَ بني كعب [2]

وأد البنات :

أعزّ بعضهم البنات ، وكثيرٌ منهم لم يئد ، بدليل حب الرجال والشعراء للمرأة وفخارهم بها ، وحب البنات لآبائهن ، قال أبو الصلت والد أميّة :

إنا لنحنُ نسوقُ العيرَ آونـةً ... فيها شُعُثٍ يزجينَ ولدانا

وما وأدْنَا حذارَ الهزل من ولدٍ ... بنسوةٍ وقد وأدتْ أحياءُ عدنانا [3]

وكان بعضهم يعيب عادة الوأد ، وأنقذوا بنات كثيرات ، منهم صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ، وافتخر الفرزدق ، بقوله :

وجدّي الذي منع الوائداتِ ... وأحيا الوئيدَ فلم يـــوأدِ [4]

إن الحكم في أن البنات كن بغيضات إلى الآباء جميعا فيه بعض الحيف ؛ لأن الشواهد الشعرية تدلل على حب الآباء للبنات ، ويتجلى حب الأب لابنته في خشيته عليها من الحزن بعد موته ، فينصح لبيد بنتيه ألا تخمشا الوجه ولا تحلقا الشعر :

تمنّى ابنتايَ أن يعيشَ أبوهُما ... وهل أنا إلاّ من ربيعةَ أو مُضرْ

ونائحتان تندبان بعاقـلٍ ... أخاثقةٍ لا عينَ منه ولا أثَــرْ

فقوما وقولا بالذي قد علِمْتُمَا ... ولا تَخْمِشا وجهاً ولا تحلقا شعرْ [5]

وكانت البنت تُكرم لأجل أبيها ، فقد أطلق النعمان بن وائل الكلبي سبياً من

---

(١) معجم البلدان : برزة ، موضع به وقعة لبني فراس من كنانة على بني سُليم ، والسنابك : الحوافر .

(٢) معجم البلدان : دوران ، موضع فيه ردّت بنو لحيان غزاتها لحيان من بني كعب الخزاعي .

(٣) معجم البلدان : وج ، كانت الطائف تسمى وجًا ، حتى حوّط الحضرمي عليها فسميت بالطائف .

(٤) اللسان – وأد – ، كان جد الفرزدق عظيم القدر في الجاهلية ، وكان أبوه غالب يكنى أبا الأخطل ، وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس ، ومكث الفرزدق زمانا لا يولد له فعيّرته امرأته النّوار ، فولد له لبطة وسبطة ، وخبطة وركضة وزمعة ، ليس لواحد من ولده عقب إلا النساء ، الشعر والشعراء ٣١١ .

(٥) معجم البلدان : عاقل ، في بلاد يربوع ، وقيل واد بنجد ، وقيل جبل كان يسكنه الحارث جدّ امرئ القيس .

غطفان في غارة له ، من بين السبي عقرب بنت النابغة لما عرفها جهّزها وخلاّها ، فقال النابغة يمدحه :

أشاقكَ من سُعداكَ مغنى المعاهد ... ببُرقة نُعمـيٌ فذات الأساود
لعمري ، لنعم الحيّ صبّح سربَنا ... وأبياتنا ، يوما ، بذات المراود
يقودهم النعمان منه بمحصف ... وكيد يغمّ الخارجيّ ، مناجد
فآب بأبكار وعون عقائل ... أوانسَ يَحْميها امرؤٌ غير زاهد [1]

ويمدح الأعشى الأبَ ، فيسارع الناس يخطبون بناته رغم فقر الأب ، فقال الأعشى :

فما أنت إنْ دامتْ عليك بخالد ... كما لم يُخلّد قبلُ ساسا ومَوْرَقُ
ولا الملك النعمانُ يوم لقيتَهُ ... بإمّته يُعطي القُطُوط ويأفقُ
فذاك ، وما أنجى من الموت ربَّه ... بساباطَ ، حتى مات وهو محزرقُ
إذا حاجة ولّتكَ لا تستطيعها ... فخذ طرفاً من غيرها حين تسبقُ
ففي الذمّ عن آل المحلّق جفنةٌ ... كجابية الشيخ العراقي تفهقُ
كذلكَ فافْعلْ ما حييتَ إليهمُ ... وأقدمْ إذا ما أعيُنُ الناسِ تَبْرَقُ [2]

وقال أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، محاوراً ابنته عُميرة :

أعميرَ إنّ أباكِ شيّبَ رأسَه ... كرُّ الليالي واختلاف الأعصر [3]

وآثر بعضهم أن يزوج ابنته من الرجل الكَفيّ ، فزوّج رجل ابنته من الشاعر تميم ابن أبي بن مقبل العجلاني بعد أن سمع شعره :

---

(١) معجم البلدان : نعمي واد بتهامة ، والأساود : الأفاعي ، صبحهم : أغار عليهم صباحا ، ذات المراود : موضع ، المحصف : الفرس السريع ، الخارجي : الشجاع ، المناجد : المبارز ، العون : المتوسطات الأعمار ، العقائل : جمع عقيلة المصونة ، الأوانس : جمع آنسة ، اللواتي طابت نفوسهن .

(٢) معجم البلدان : مورق ، موضع ، وأما الأعشى فيقصد مورق : ملك الروم ، وساسا : ملك الفرس ، وساباط : موضع بالمدائن ، سمي باسم ساباط بن باطا ، وهو أخو النخيرجان بن باطا الذي لقي العرب في جمع من أهل المدائن ، والساباط ، سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ ، الجمع سوابيط وساباطات كان فيه حجّام حجم أمّه حتى قتلها ، قيل فيه : أفرغ من حجّام ساباط ، وبساباط حبس أبرويز النعمانَ بن المنذر ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة .

(٣) معجم البلدان : أبرين ، لغة في يبرين ، قرية كثيرة العيون والنخل بالبحرين ، والأعصر : جمع عصْر .

إنّي أقيّد بالمأثور راحلتي ... ولا أبالي ولو كنّا على سفر

يا جارتيّ ، على ثاج سبيلكما ... سيرا شديداً ، ألمّا تعلما خبري [1]

وزوّجَ الحارث الغساني ابنته حليمة من شاب بعد ان أبلى بلاء حسنا في عين أباغ ، وهو اليوم الذي قتل فيه الحارث بن أبي شمر الغساني المنذرَ بن ماء السماء [2] ملك العرب بالحيرة .

وفي يوم شعب جبلة قال سنان بن أبي حارثة المرّي لمالك بن حمار الفزاري ، يا مالك : كرّ واحمنا ، ولك خولة ابنتي أزوجكها . [3]

كان من حرص الأب على ابنته أن كان يشترط على زوجها الإقامة مجاوراً لأهل الزوجة ، حتى قَبِلَ رجل من طيء شرطَ أهلها أن لا يحوِّلها مكانهم ؛ حتى أجدبوا فاستأذن أهلَها بالرحيل إلى الخصب وأطعمها الرطب فقالت :

نزلنا إلى ميل الذُرى قطُفِ الخُطى ... سقاهنّ ربُّ العرش من سبل القَطْر

لكن يشدّها الشوق والحنين إلى ديار أهلها ، فقالت :

ألا لا أحبُّ السدرَ إلا تكلّفاً ... ولالا أحبّ النخلَ لما بدا ليَا

ولكنني أهوى أراضيَ مُطعم ... سقاهنّ ربّ العرش مُزناً عواليا [4]

وقد بادلت الابنة أباها حبًا بحب ، فتحاول أن تثنيَهُ عن القتال حرصا منها على حياته ، قال سلامة بن جندل :

تقول ابنتي إن انطلاقك واحداً ... إلى الروع يوماً تاركي لا أباليا [5]

وقال أبو خراش الهذلي مبيّناً حرص ابنته عليه :

---

(١) معجم البلدان : ثاج عين وقرية بالبحرين ، يهمز ويسّهل ، مرّ الشاعر بثاج على امرأتين فاستقاهما ، فلما رأتاه أعورَ أبتا ، فلما سمع أبوهما شعره ، قال له خذ بيد أيتهما شئت ، فاختار إحداهما فزوّجه منها ، وأعطاه نصف إبله .

(٢) معجم البلدان : حليمة .

(٣) معجم البلدان : وقبان ، في يوم شعب جبلة لعامر بن قيس وحلفائهم من عبس على تميم من ذبيان وأسد ، وجبلة : جبل طويل .

(٤) معجم البلدان : مُطعم ، واد في اليمامة ، السدر والنخل : محلة أهل الزوج منابت السدر والنخل .

(٥) الشعر والشعراء ١٦٦ .

تقول ابنتي لما رأتني عشية : سلمتَ وما أنْ كِدتَ بالأمر تسلَمُ[1]

وترهّبت هند بنت النعمان ولبست المسوح وفاء لأبيها حينما حبسه كسرى فبنَتْ ديراً وأقامت به إلى أن ماتت ودفنت فيه ، فقالت :

فبينا نسوسُ الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سُوقة نتنصّفُ
فتبّاً لدنيا لا يدومُ نعيمُهــا تقلّبُ تارات بنا وتصرّفُ[2]

وإذا ما فُجعت البنتُ في أبيها ، حزنت وبكت حتى يحرقها البكاء ، قالت ابنة فروة بن مسعود ترثي أباها ، وكان قتل بعين أباغ :

بعين أباغ قاسَمْنَا المنايا فكان قسيمُها خيرَ قسيم
وقالوا : سيّداً منكم قَتَلْنا كذلك الرمحِ يكلّفُ بالكريم[3]

وقالت ابنة مالك بن بدر ترثي أباها :

ولله عينا من رأى مثل مالكٍ عقيرةَ قومٍ ، إنْ جرَى فرسَان
فليتهما لم يشربا قطّ شربةً وليتهما لم يُرسلا لرهَان
إذا سجعت بالرقمتين حمامة أو الرسَّ ، تبكي فارسَ الكَتفانِ[4]

وقالت ميّة بنت عتيبة وهي أم البنين ترثي أباها ، وقد قتلته بنو أسد يوم خو :

على مثل ابن ميّة فانعياه يشقّ نواعمُ الشعرِ الجُيوبا
وكان أبي عتيبة شمّرياً ولا تلقاه يدّخر النصيبا

---

(١) معجم البلدان : صار ، شعب من نعمان قرب مكة .

(٢) معجم البلدان : دير هند الصغرى بالحيرة ، وهند هي ابنة النعمان بن المنذر المعروفة بالحُرقة ، والصغرى لتمييزها عن هند بنت الحارث امرأة حُجْر ، والمسوح : ما يلبس من نسيج الشعر تقشفا .

(٣) معجم البلدان : أُباغ ، منازل إياد بن نزار ، وأباغ رجل من العمالقة نسب إليه ، ويوم عين أباغ للحارث الأعرج ملك العرب بالشام على المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة ، قُتل فيه فروة وقيس ابنا مسعود بن عامر .

(٤) معجم البلدان : الرّس ٣/٤٣ قرية باليمامة يقال لها فلج ، وديار لطائفة من ثمود ، رسّوه ، دسوه والرس موضع بنجد أرادته ابنة مالك بن بدر ترثي أباها الذي رماه جندب أحد بني رواحة إبان حروب داحس والغبراء بين عبس وذبيان .

ضروبا باليدين إذا اشمعلّتْ عوان الحرب لا روْعا هيوبـــا (١)

وقالت عمرة بنت دريد بن الصمة ترثي والدها ، مُعربةً عن إحسانه إلى بني سُليم في الجاهلية :

لعمرك ما خشيت على دريد ببطن سُمَيرةٍ جيش العنـاقِ
جزى عنّا الآله بني سُليـم وعقَّتْهم بما فعلوا عقـــاقِ
وأسقانا إذا عدنا إليهـــم دماءَ خيارهم يوم التلاقـــي
فـربّ عظيمـةٍ دافعتَ عنهم وقدْ بَلَغَتْ نفوسهم التراقـي
وربّ كريمةٍ أعتَقْتَ منهـم وأخرى قد فككتَ من الوثـاق
فكان جزاؤنا منهم عقوقـا وهماً ماع منه خِفُّ سـاق (٢)

وتكاد لا تفرق البنت بين أبيها وأخيها في التأثر على فقدهما ، فتبكي أخاها بحرارة ، قالت أخت حاجز الأزدي :

أحـيٌّ حـاجز أم ليس حيّـا فيسلك بين خندف والبهيـــم
ويشرب شربة من ماء ترْج فيصدر مشية السبع الكليـــم (٣)

وقالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثيه :

أبلـغ بنــي كاهـل عنّي مغلغـــة والقوم من دونهم سعيا ومركوبُ
والقـوم من دونهم أينٌ ومسغبـةٌ وذات ريدٍ بها رِضْعٌ وأسلـــوبُ
أبلـغ هـذيلاً وأبلغْ من يبلّغهـــا عنّي حديثا وبعض القول تكذيبُ
بأنّ ذا الكلب عمراً خيرهم حسباً ببطن شريان يعوي حوله الذيبُ (٤)

---

(١) معجم البلدان : لَعْبـاء سبخة ناحية البحرين وجبل لغطفان في أكناف الحجاز ، وخوٌ : واد لبني أسد قُتل فيه عُتيبة بن الحارث بن شهاب ، اشمعلّت : انتشرت ، وحرب عوان : كان قبلها حرب .

(٢) معجم البلدان : سُميرة واد قرب حنين قتل فيه دريد بن الصمة ، قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمّال بن عوف بن امرئ القيس السُلمي ، ويقال له ابن الدُغنة وهي أمه .

(٣) معجم البلدان : تَرْج ، جبل بالحجاز كثير الأسد ، وقيل بين مكة واليمن .

(٤) معجم البلدان : شِرْيان ، مغلغة : ضربة مرجعة ، الأين : الإعياء والتعب ، ومسغبة : جوع تعب ، الرِّيد : الأمر الذي تريده وتزاوله ، رضع : جمع رضيع وراضع ، ويقال للسطر من النخيل : أسلوب ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب .

وهذه امرأة من كندة ترثي قومها جميعا فتكت بهم بنو زِمّان بحُبْسان :

سقى مستهلّ الغيث أجداث فتيـة بحُبْسان ، ولُيْنا نحورَهم الدُّما
صلُّوا معمعانَ الحرب،حتى تخرّموا مقاحيم إذ هاب الكُماة التقحّما [1]

وتأثر بمَنْ تأثّرْنَ بنات يهود المدينة بالإحساس نحو الأهل ، فقالت سارة القُرظية ترثي قتلى قومها الذين قتلهم أبو جُبيلة الغساني حينما استنجده مالك بن العجلان بن زيد الخزرجي ، لجَوْرِ الفطيون ملك يهود المدينة ، فقالت :

بـأهلي رِمّة لـم تغـنِ شيئـا بـذي حُرُضٍ تعفّيها الرياح
كهول من قُريظة أتلفتهم سيوف الخزرجيّة والـرّمـاحُ [2]
ولو أذنوا بأمرهم لَحالَتْ هنـاك دونَهم حَـرْبٌ رداحُ

تعدد الزوجات :

كان التعدد وما زال نظاما طبيعيا ، تلجئ إليه الضرورات ، فلاعجب إذا شاع هذا النظام في الجاهلية ، فقد جاءالإسلام وعند أحدهم غير أربع ، في حين اقتصر بعض العرب على زوجة واحدة ، واشترط بعض الآباء وبعض النساء مع الرجل ألا يتزوج بأخرى ، فرفضت ماوية بنت عفزر ، أن تتزوج حاتماً بعد أن اختارته على خاطبيها إلا على شرط أن يسرّح زوجته فأبى ، فلما ماتت تزوجته ، وولدت له عديا [3].

---

(١) معجم البلدان : حُبْسان ، ماء طريق الحاج قرب الكوفة : صلوا : دخلوا ، ومعمعان الحرب : صوت المقاتلة ، واستعار نارها ، تخرموا : ذهبوا ، ماتوا ، والتقحّم : التقدم .

(٢) معجم البلدان : مدينة يثرب ، سميت بيثرب بن مهلائيل ينتهي نسبه إلى نوح عليه السلام ، ولما نزلها عليه السلام سمّاها طيبة ، وطابة كراهية التثريب ، كان أهلها يؤدون الخراج إلى اليهود حتى قتلهم أبو جبيلة ، فصارت الغلبة للأوس والخزرج ، والرِّمّة : مفرد رمم ورمام ، العظام البالية ، والكهل : الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب ، وقيل هو من أربع وثلاثين إلى إحدى وخمسين .

(٣) الأغاني ١٦/٩٩ ، ١٧/٣٧٩ .

والتعاطف لا يسود بني العلات [1]– أبناء رجل واحد من أمهات شتى ؛ لأن الأخوة لأم أعظم تحاباً من الأخوة لأب ،ومردّ ذلك أنّ الأم الواحدة تقرب ما بين بنيها،أمّا الضرائر [2] فيباعِدْنَ بينهم ببَثّ عوامل الفرقة والتحاسد والتنازع لا سيّما على الميراث .

وهذه المواقف مألوفة من الضرائر في كل زمان ومكان ، فالمرأة هي المرأة في غيرتها ، وتذكّرنا غيرتها بموقف سُمية زوج شداد من ابنه عنترة إذ كانت تضارّه ، فيستمع شداد لاتهاماتها ، وراح يضرب ابنه ، فوصف عنترة ذلك فقال :

تجلّلتني ، إذا أهوى العصا قِبَلي	كأنّها صنمٌ يعتاد معكـــــوفُ
المال مالكم والعبدُ عبدكم	فهل عذابُك عنّي اليوم مصروفُ
كأنها يوم صدّتْ ماتكلّمني	ظبيٌ بعُسفانَ ساجي الطرف مطروفُ [3]

مما يجعل الضرائر أن يَكُنَّ على أشد التنافس على مصالحهن ومصالح أهلهن ، فحينما قالت أميمة بنت عُميلة امرأة العوام بن خويلد في بئر أحراد :

نحن حفرنا البحر أمُّ أحراد	ليستْ كبذَّر النزور الجمّاد [4]

أجابتها ضرتها صفيّة بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام ، على الفور :

نحن حفرنا بـــــذّر	نسقي الحجيج الأكبــــــر
من مقبل ومدبـــــر	وأمّ أحراد شــــــرّ [5]

الطلاق :

ليس من الطبيعي أن يطّرد حسن العشرة في النساء جميعا ، وأن يكنّ كلهنّ على طراز من الخلق السويّ ، وإنما أن يتفاوتنَ في ذلك ، فيكون بعضهن نابيات العشرة ، فتشغب المرأة وتتمرد ، حينها تتعرض الحياة الزوجية لهزات تصدّع بنيانها ، فكانَ من الحكمة أن تبيح الشريعة السماوية الطلاق في حدود وقيود . فمارس العرب الطلاق

---

(١) اللسان – علل .

(٢) اللسان – علل – سميت الضرة عَلّة ؛ لأنها تُعلّ بعد صاحبتها ، والعلّ : الذي يزور النساء ويلهو بهن .

(٣) معجم البلدان :عُسْفان ، موضع على مرحلتين من مكة ، الساجي : الساكن ، المطروف : المصاب طرفه . الديوان ٣٥ .

(٤) معجم البلدان : أحراد ، بئر بمكة حفرتها بنو عبد الدار .

(٥) معجم البلدان : بذّر ، بئر حفرها هاشم بن عبد مناف .

كغيرهم من الأمم[1]، يلجأون إليه إذا لم يدم صفو الحياة بين الزوجين لسبب من الأسباب، وكان من أهم بواعثه ، الكبر في السن والفقر .

فهذه زوج عَبيد بن الأبرص تريد مفارقته لزعمها أنه كبير السن ، وقليل المال فيقول :

ليس رسمٌ من الدّفين ببالي ... فلوى ذروة فجنبَيْ ذِيالِ

زعمتْ أنني كبِرْتُ وأنّي ... قلَّ مالي وضنَّ عنّي المَوالي

تلك عِرْسي تروم قِدْماً زِيالي ... ألبَيْنٍ تريدُ أمْ لدلالِ [2]

ويخاطبها أيضا في موطن آخر بعد أن لمح منها سوء الخلق ، لكبر سِنّه ، فيعرض عليها الفراق ، يقول :

تغيرت الديارُ بذي الدّفين ... فأودية اللِّوى فرمال لين

فخرجَيْ ذروة فلوى ذَيال ... يُعفّى أيَه سلفُ السنين

ألا عتبتْ عليَّ اليوم عِرسي ... وقد هبّتْ بليلٍ تشتكيني

فقالت لي :كبرتَ ، فقلت :حقّاً ... لقد أخلفتُ حيناً بعد حين

تريني أية الإعراض منها ... وفظّتْ في المقالة بعد لين

فقلت لها : رويدَكِ بعض عَتْبي ... فإنّي لا أرى أن تزهديني

وعِيشي بالذي يُغنيكِ ، حتى ... إذا ما شئتِ أن تنأي فبيني [3]

ولقد يفارق الرجل زوجته ؛ لأنّه لا يأنس إليها ، ولا يجد فيها الصفات التي يريد ، كما فعل الأعشى :

أيا جارتي بيني فإنّك طالقة[4] ... كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه

---

(١) أحمد خاكي : المرأة في العصور ص ٨٥ .

(٢) معجم البلدان : الدّفين ، موضع ، والعرس : الزوج ، الزيال : المفارقة ، وضن : بخل ، الموالي : الأنصار .

(٣) معجم البلدان : ذِيال ، موضع ، وفظّت : أبدت سوء الخلق .

(٤) معجم البلدان : طالقة ، من أعمال إشبيلية بالأندلس ، وهي صفة تختص بالمؤنث ، طالق وطالقة .

وبيني فإنَّ البَيْنَ خيرٌ من العَصا وأن لا تري لي فوق رأسك بارِقه [1]

واختارت دختنوس بنت لقيط بن زرارة الطلاق ؛ لأن زوجها عمرو كان شيخا أبرصَ ، وسمعها تُؤفف ، فخيّرها بين الفراق وبيته ، فرضيت بفراقه ، فطلقها[2] .

وتنفر الزوجة من زوجها إذا لم يتمكن أن يزود بيته بالطعام ، لذا يوعدها للحصول على الميرة ؛ ليهدأ حالها ،فقال ذروة بن جحفة العبدي الكلابي مخاطبا زوجته :

رجال يطلبون ثميلتَهم سأوردهم هُبالةَ أو هُبالا

لعلّي أن أميركِ من عثيرٍ ومن أصحابه ثُمَلاً ثقالا [3]

وإذا كانَ عنّيناً فركَتْه ، قالت امرأة من بني عبس في رجل من بني أسد :

فمن يُهدِلي من ماء بقعاءَ شربةً فإنّ له من ماء لينةَ أربعا

لقد زادني وجْدا ببقعاء أنني وجدتُ مطايانا بلينةَ ظُلَّعا

فمن مبلغٌ تِربيّ بالرمل أنني بكيت ، فلم أترك لعينيّ مدمعا [4]

وإذا أحبّت غيره لا تتواطأ على الغدر ، مرّ سامة بن لؤي برجل من الأزد ، فأحبته امرأة الأزدي ، فضربها زوجها ، وألقى سمًّا في لبن ليقتله ، لكنها غمزته أن لا يفعل ، ونهشت سامةَ حية فمات ، فقالت امرأة الأزدي ترثيه :

عين بكّي لسامة بن لؤيٍّ حملتْ حتفه إليه الناقه

لا أرى مثل سامة بن لؤي عقلتْ ساق سامة العلاقه [1]

ولقد يتخلص الرجل من زوجته إذا لحظ منها سلوكاً ينفّره ، كما فعل سابور بن

---

(١) معجم البلدان : مكة ، نزل القرآن الكريم بحسن اختيار أهلها ، كانوا يتزوجون بالصداق و الشهود ويطلقون ، الديوان ١٤٩ .

(٢) الميداني ١/١٨٠ ، والأصفهاني : الأغاني ١٠/٣٨ .

(٣) معجم البلدان : هُبالة ، من مياه بني نمير ، والثميلة : نصف الغرارة ، مكيال للحبوب .

(٤) معجم البلدان : بَقعاء ، ماء لبني عبس ، ومن قرى اليمامة ، وموضع ، خرج إليه أبو بكر رضي الله عنه – لتجهيز الناس لقتال الردّة – تزوجها ونقلها إلى ماء لهم يقال له لينة ، لكنه كان عنّينا ، فاختلعت منه وتزوجها رجل من أهل بقعاء فأرضاها .

(١) معجم البلدان : جوف ٢/١٨٨ ، موضع بأرض عُمان فيه أهوت ناقة لسامة ابن لؤي إلى عرفجة فانتشلتها وفيها حيّة فرمت بها على ساق سامةَ فنهشته فمات .

أردشير بابنة الضيزن القضاعي التي تزوجها بعد أن أهدته إلى وسيلة تغلّبَ بها على والدها ، لكنها لم يرق لها خشانة فرشه ، فقال لها : ما وفيتِ لأبيك ، فكيف تفينَ لي ؟! وكان جزاؤها أن رُبطت بفرسين جموحين ثم استحضرا فقطّعاها ، فقال عدي بن زيد في ذلك :

ربيبـــةٌ لـم تـُوقَّ والـدَهـــــا لحبِّها ، إذْ أضـاعَ راقبهـــا
فكان حظ العروس ، إذا جشرَ الـ صُّبْح ، دماءً تجري سبائبُها [١]

المشاعر بعد الطلاق :

قد ينفعل الزوج ويثور ، وقد تُخدع المرأة ، فيفترقان ، لكن الرَّجُلَ قد يندمُ بعد الفراق ويتحسّر على سعادة ذهبت ، لا سيما إذا لم يُوفّق في حياة زوجية أخرى ، فقد تحسر عروة بن الورد على امرأته بعد أن لحقت بأهلها ، فقال داعياً لدارها بالسقيا :

سقى سَلْمى ، وأين محلّ سلمى إذا حلّت مُجاورةَ السريرِ
إذا حلّـتْ بـأرض بنـي علـيٍّ وأهلـي بـين إمّـرةٍ وكيـر
ذكـرتُ منازلاً مـن أمّ وهـب محـلّ الحيّ أسفل من نقير [٢]

ويذوق مصعب بن الطفيل القشيري مرارة اللوعة بعد طلاق زوجته عالية ، فلم ينسها ، فقال :

أما تُنسيكَ عاليةَ الليـالـي وإن بعدَتْ ، ولا ما تستفيدُ
إذا ما أهل أكمةَ ذُدْتُ عنهم قلوصي ، ذادهـم مـالا أذودُ [٣]

---

(١) معجم البلدان : الحَضْر ، مدينة إزاء تكريت ، وقصر بين دجلة والفرات ، كان للضيزن بن معاوية بن قضاعة الملك ، والسبيبة : الثوب الرقيق ، وجشر الصبح : طلع .

(٢) معجم البلدان : سَرير ، موضع ببلاد بني كنانه ، وبني علي : فرع من بني كنانه ، وإمَّرة : منزل في طريق مكة من البصرة ، وكير : جبل في أرض غطفان ، وذو النقير :موضع بين هجر والبصرة .

(٣) معجم البلدان : أكمة ، من قرى فَلج باليمامة لبني جعدة ، وذدت : طردت .

ثانيا : العلاقات القبلية

كان العرب في حركة مستمرة من أجل لقمة العيش ، وشربة الماء ، وتضطر القبيلة أن تتنقل من مكان إلى آخر طلبا للكلأ وتتبع مساقط المطر . فعاشوا في خطر مستمر ، في إطار مناخ قاس ، تعصف به الرياح ، أو يجتاح السيل بيوتهم . أو يُحبس المطر ، حينئذ يهددهم الجوع . فتميزت حياتهم على المنافرة وسفك الدماء ، وتعوّدوا على هذه الحياة الدامية التي لا تهدأ نارها وسيلةً رئيسة للكسب في البيئة القاسية . واصطلح على تسمية حروبهم بالأيام التي كانت تقف وراءها أسباب جلّها اقتصادية أو سياسية . وحملت الأيام أسماء المواضع التي حدثت فيها أو بقربها ، وقد حظيت باهتمام بالغ ، تناولتها كتب الأدب والتاريخ وعلم البلدان . فقد ألف أبو عبيدة (-٢١١هـ) كتاب الأيام الكبير [١] ، وتناولها المحدثون كجواد علي في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام .ومن الدراسات الفنيّة للأيام ، دراسة الأستاذ عفيف عبد الرحمن بعنوان : الشعر وأيام العرب .

وأما اختيارات ياقوت الشعرية التي أوردها في ذكر الأيام ، فقد كانت تمثل أغلب الأيام البارزة التي حدثت في أماكن مشهورة ، فيذكر اليوم من خلال حديثه عن المكان ، ويذكر الأطراف المتحاربة والنتيجة ، وأما الأيام الأقل شأنا فكان يذكرها ذكراً عابراً دون الإشارة إلى أية معلومات .

كان لدولتي الفرس والروم تعاون مع المناذرة والغساسنة في الشمال ، تتخذان منهما سدا يحميهما من هجمات القبائل العربية ، لكن ذلك لم يمنع من أن تحتك القبائل العربية مع الفرس فحدثت لقاءات حربية بين الطرفين ، وسأتحدث عن هذا بادئاً بأيام العرب مع غيرهم من خلال محور العلاقات الخارجية .

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١/٢٠٤ .

أ - العلاقات الخارجية :

فكان للعرب حروب مع الفرس ؛ فقد أغار الضيزن [1] – ملك الجزيرة – على بعض السواد ، وافتخر بذلك الجُديّ بن الدلهاث بن حلوان القضاعي [2] ، فقال :

دلَفْنا للأعادي ، من بعيد ... بجيش ذي التهابٍ كالسعير

فلاقتْ فارسٌ منّا نكالاً ... وقتّلنا هرابذ شهرزور

لقيناهم بخيلٍ من عِلاف ... وبالدُّهم الصلادمةِ الذكور [3]

وثار الفرس لأنفسهم فحاصر سابور الضيزن سنتين ، قال الأعشى :

ألم ترَ للحَضْر ، إذ أهلُه ... بنُعْمَى ، وهل خالدٌ من سلم

أقام به ساهبور الجنو ... دِ حولين ، تضرب فيه القدُمْ [4]

وقيل أن النضيرة بنت الضيزن قد خدعت أباها ، فقد أعلمت سابور بشيء يسهّل عليه دخول المدينة ، ففعل ذلك ، ودخل الحضر ، فقتل الضيزن وأباد بني العبيد ، وأفنى قضاعة الذين كانوا مع الضيزن ، فقال الجُديّ :

ألمْ يحزُنْكَ ، والأنباءُ تَنمي ... بما لاقت سراةُ بني العبيد

ومقتل ضيزن وبني أبيه ... وإخلاء القبائل من تزيد

أتاهم ، بالفيول مجلّلات ... وبالأبطال ، سابور الجنود

فهدّم من بروج الحضر صخراً ... كأنّ نقاله زبرُ الحديد [5]

---

(١) الضيزن : كل من زاحم رجلا في أمر فهو ضيزن ، والشريك في المرأة ، الياء فيه زائدة ، وقيل الضيزن بن معاوية بن حلوان ابن قضاعة ، ملكَ الجزيرة كلها إلى الشام ونزل الحضر ، يقال له الساطرون . الطبري ، أبو جعفر بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٨٧ ، جـ٢/٦٢ . والسواد : ضياع العراق سمي لسواده بالزروع والأشجار .

(٢) وتنسب الأبيات إلى عمرو بن ألة القضاعي عند الطبري ، والأغاني ١٤١/٢ .

(٣) معجم البلدان : الحضر بين الموصل والفرات ، نزله الضيزن ، والهرابذة : خدّام نارالمجوس جمع هربذ ، وشهرزور : هو سابور الأول ، وعلاف : نسبة إلى وعلاف بن حلوان القضاعي ، والصلادمة : القوية .

(٤) معجم البلدان : الحضر ، الديوان ٢٢٦ .

(٥) معجم البلدان : الحضر .

يوم الصفقة :

وهو يوم لكِسرى على تميم ، وسمي الصفقة ؛ لأنّه أصفق الباب على بني تميم في حصن المشقّر ، وقيل أنّه أول أيام الكُلاب ، حيث أنفذ باذام -عامل كسرى- على اليمن لطيمة إلى كسرى أبرويز في خُفارة هوذة بن علي الحنفي ، فخرجت عليهم بنو تميم فأخذوا اللطيمة بموضع نطاع ، ثم أوعز كسرى إلى المكعبر عَامِلِه بِهجر البحرين ، فأدخلهم حصن المشقّر وقتلهم ، ونجا أحدُهم ، فقال الأعشى يمدح هوذة :

سائلْ تميماً به أيّامَ صفقتهم ... لمّا رآهم أُسَارى كلُّهم ضرَعَا
وسْطَ المشقّر في غَيْطاءَ مظلمةٍ ... لا يستطيعون بعد الضرب منتفعا
بظلمهم بنِطاع المَلْكِ إذا غدروا ... فقد حسَوْا بَعدُ من أنفاسِها جُرَعا [1]

يوم ذي قار :

كان من حديثه ، أن كسرى لما غضب على النعمان بن المنذر بسبب عدي بن زيد وزيد ابنه ، في قصة فيها طول ، أتى النعمان طيئا ، ثم وضع أهله وسلاحه ودائع عند هانئ بن قبيصة بن مسعود الشيباني ، وتجمعت العربان كعبس وشيبان وأرادوا الخروج على كسرى ، فأتى رسول كسرى بالأمان على النعمان فوصل المدائن ، فحُبس بساباط إلى أن مات ، وبعث كسرى إلى هانئ : أن أرسل إليّ أموال عبدي ، فقال : لست مسلمها إليك ، فبعث كسرى إليه مرزبانه الهامزر ومعه إياس بن قبيصة الذي جعله موضع النعمان ملك الحيرة ، وفرّق هانئ الدروع على القبائل ، وعبّأ المقاتلين نفسياً قائلاً لهم : يا قوم مهلك مقدور خير من نجاء معرور ، المنيّة ولا الدنّية ، الطعن في الثغر أكرم من الطعن في الدبر ، جدّوا فما من الموت بدّ .. والتقَوْا بذي قار ، وكان الاستظهار في اليوم

---

(١) معجم البلدان : الصفقة ، والمشقر ، حصن بالبحرين لعبد القيس يلي حصنا آخر لهم يقال له الصفا ، واللطيمة : البضاعة من غير ما يؤكل كالطيب والمتاع ، يقابلها الميرة ، ويقال اللطيم : الذي يموت أبواه ، واليتيم : الذي يموت أبوه ، والعجي : الذي تموت أمه : ونطاع : ركية عذبة في بلاد بني تميم ، كانت به وقعة بين بني سعد بن تميم وهوذة ، أخذت بنو تميم فيها لطائم كسرى التي أجارها هوذة ، وكان بعدها يوم الصفقة ، ضرع : ذل ، والعيطاء : الربوة العالية ، حسَوْا : شربوا ، الديوان ١٣٤ ، العقد الفريد ٣/٣٥٤ ، تاريخ الطبري ٢/١٣٣ ، ابن الأثير ١/٢٧٥ ، الأغاني ١٦/٧٥ .

الأول للفرس ، وفي اليوم التالي جزعت الفرس من العطش وتبعهم العرب إلى الجبايات ، واشتدت الحرب وانهزمت الفرس قال الأغلب العجلي :

أما الجبايات فقد غشينا

بفاقرات تحت فاقرينـا

يتركن من ناهبنه رهينا [١]

وكانت وقعة ذي قار زمن مبعث النبي – صلى الله عليه وسلم - وخبّر أصحابه بها فقال : « اليوم أول يوم انتصفت فيه العربُ من العجم وبيَ نُصروا » ، وقد أشاد الشعراء بهذا النصر ، فقال الأعشى مفتخرا ببني شيبان :

فدًى لبني ذُهل بن شيبان ناقتي ... وراكبُها يوم اللّقاء ، وقلَّتِ
كفَوْا ، إذْ أتى الهامُرْزَ يخفقُ فوقَه ... كظل العُقاب إذ هوتْ فتدلّتِ
أذاقوهُمُ كأسا من الموت مرّة ... وقد بَذِخَتْ فرسانُهم وأدلَّتِ
فصبّحهم بالحِنْو ، حنوِ قُراقرٍ ... وذي قارِها منها الجنودُ ، ففُلَّتِ
على كلّ محبوك السَّراةِ كأنّه ... عقابٌ سرتْ من مرقبٍ ، إذ تدلَّتِ
فجادتْ على الهامُرْز ، وسْطَ بيوتهم ... شآبيبُ موتٍ أسبلتْ فاستهلَّتِ
هم ضربوا بالحِنْوِ حِنوِ قُراقرٍ ... مُقدِّمَةَ الهامُرْزِ حتى تولَّتِ [٢]

٢- العلاقات الداخلية :

وقد ذكر ياقوت في معجمه حوالي مائتي يوم ، ولكننا سنختار المشهور منها ، والتي تضمنت اختياراته الشعرية .

(١) معجم البلدان : الجبايات موضع قريب من ذي قار ، ويوم الجباية أيضا بين أوْد بن سعد العشيرة والأزد ، والجبابات أيضا : ماء بنجد قرب اليمامة ، ساباط كسرى : موضع بالمدائن ، حُبِس النعمان به ، وقار ، ذو قار : ماء لبكر بن وائل قرب الكوفة ، وحنو ذي قار : على ليلة منه ، والأغلب الراجز هو الأغلب بن جُشم من سعد بن عجل ، وهو مخضرم عاش تسعين سنة ، وقتل بنهاوند ، وهو أول من شبّه الرجز بالقصيد وأطاله ، الشعر والشعراء ٤٠٧ العقد الفريد ٣/٣٧٤ ، تاريخ الطبري ٢/١٤٨، الأغاني ٢/٩٧ .

(٢) معجم البلدان : الحِنْو ٢/٢١٢ ، كل منعرج فهو حنو ، وحنو ذي قار وقراقر واحد ، وقراقر : وهو يوم ذي قار الأكبر قرب الكوفة ، وواد لكلب بالسماوة نزله خالد عند قصده الشام ، وقراقر وحنو قراقر كلها حول ذي قار ، الديوان ٤٥.

أ- أيام القحطانية فيما بينهم :

١- الكُلاب الأول :

كان عمرو المقصور بن حُجْر آكل المرار قد ملك الحيرة أيام قباذ الملك ، ثم أتاه أشراف نزار شاكين حالهم ؛ فملّك حُجراً على بني أسد وغطفان ، وابنه شُرحبيل على بكر ابن وائل ، وابنه معدي كرب – غلفاء – على بني تغلب ، وملّك ابنَه سلمة على قيس .ولمّا مات أبوهم تحزّبت تلك القبائل وقُتل شرحبيل بالكلاب ، فقال امرؤ القيس :

فقد طوّفتُ في الآفاق حتى ... رضيتُ من الغنيمة بالإياب
أبعدَ الحارث المَلك ابن عمرٍو ... وبعد الخير حُجر ذي القباب
أُرَجّي من صرُوف الدهر ليناً ... ولم تغفُلْ عن الصمّ الهضاب
وأعلمُ أنني عمّا قليل ... سأنشبُ في شبا ظفُرٍ وناب
كما لاقى أبي حُجْرٍ وجَدِّي ... ولا أنسَى قتيلاً بالكُلاب [١]

٢- يوم عين أباغ :

كان للحارث الأعرج بن جبلة الغساني على المنذر بن ماء السماء ، قُتل فيه المنذر، وقُتل فروة وقيس ابنا مسعود بن عامر ، فقالت ابنة فروة ترثي أباها :

بعين أُباغ قاسَمْنا المنايا ... فكان قسيمُها خيرَ القسيم
وقالوا : سيّداً منكم قتلنا ... كذاك الرمحُ يكلَفُ بالكريم [٢]

وقال النابغة يمدح آل غسّان :

يوما حليمة كانا من قديمهمُ ... وعينُ أُبَاغٍ فكان الأمر ما ائْتَمرَا

---

(١) معجم البلدان : الكُلاب ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة فيها كان الكلاب الأول والثاني . الكلاب الأول لسلمة بن الحارث بن عمرو على أخيه شرحبيل ، الحارث جده ، وحجر أبوه ، ذي القباب : ذي الأبنية والسعة في العيش ، شبا الشيء : حدّه ، القتيل : عمه شرحبيل ، سأنشب : أي سيموت ، الديوان ٣٨٩ .

(٢) معجم البلدن أباغ ، المنذر الثالث هو بن امرئ القيس ، وماء السماء أمّه ، وهو أشهر ملوك الحيرة ، عاصر قباذ وابنه أنوشروان ، وجستنيان الروم ، والحارث أشهر ملوك غسان وهو الذي سهل لامرئ القيس الوصول إلى قيصر .

ياقومُ : إنّ ابنَ هندٍ غيرُ تارككُمْ فلا تكونوا لأدْنى وقعةٍ جُزُرا [1]

٣- يوم حليمة :

وهو للحارث الأعرج بن جبلة ، على المنذر بن المنذر ، حيث أراد المنذر أن يثأر لأبيه ، فسار حتى نزل بمرج حليمة ، ومكثت الحرب أياماً ، ثم دعا الحارث ابنته حليمة ، وأمرها أن تطيّب قومها - تحميساً لهم على القتال - ونادى : مَنْ قَتَلَ مَلِك الحيرة زَوَّجْتُهُ ابنتي . وانتصر الغساسنة ، فأشاد النابغة بصنيعهم بعد أن تحوّل إلى غسان هرباً من الملك النعمان وقد وُشي به في أمر المتجردة ، فقال يمدح عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر :

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنّ سيوفَهُمْ بهِنّ فلُولٌ مِن قراع الكتائب

تُخُيِّرْنَ من أزمانِ يومِ حليمةٍ إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كل التّجاربِ [2]

٤- يوم واقم :

كان هذا اليوم بين الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن مازن بن الأزد ، وأمهم قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة ، وقد سكنوا المدينة بعد خراب سد مأرب ، لكنهم عاشوا في شَظَفٍ من العيش بين اليهود حتى وفد مالك بن العجلان إلى أبي جبيلة [3] الغساني بالشام - في قصة بها طول - واستجاره على اليهود ، فأسرع إلى المدينة وقتل اليهود ، وبقي الأوس والخزرج على اتفاق حتى أوقعت بينهما اليهود الفتنةَ ، فحدثت أيام بين الحيين ، منها يوم واقم الذي كان قبل بُعاث ، قال خفاف ابن ندبة في رثاء حُضير الكتائب :

فلو كان حيّاً ناجياً من حِمامه لكان حضيرُ يومَ أغلق واقما

---

(١) معجم البلدان : أباغ ، يوم حليمة نسبة إلى حليمة بنت الملك الغساني الحارث بن أبي شمر ، وأباغ موضع بين الرقة والكوفة ، الجزر : جمع جزرة ، كل ما أبيح للذبح ، الديوان ٧٨ .

(٢) معجم البلدان : حليمة ، موضع كانت فيه الوقعة المشهورة باسم حليمة بنت الحارث بن أبي شمر الغساني ، والفلول : الثلوم ، جمع الفلّ ، القراع : المجالدة ، وفي قوله : لا عيب فيهم ، من باب توكيد المدح بما يشبه الذم ، دلالته الفخر والثناء ، الديوان ٢٠ .

(٣) معجم البلدان : مدينة .

أطافَ به ، إذا الليلُ جَنَّه تبوّأ منه منزلاً متناعما [1]

٥- يوم بُعاث :

كان حُضيرَ الكتائب أبو أسيد بن الحضير ، رئيس واقم ، خرج هو وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا قيس بن الأسلت ، فأشارا إليه بقتل الخزرج ، فأبى أبو قيس ، فغضب حضير وقال : ما سميتم الأوس إلاّ لأنّكم تؤسون الأمر أوسا ، وفي ذلك اليوم قال قيس بن الخطيم الأوسي :

ولما رأيت الحرب حرباً تجرّدتْ لبستُ مع البردين ثوبَ المحارب
وكنت امرأً لا أبعث الحرب ظالما فلما أبَوْا أشعَلْتُها كلَّ جانب
صبحنابها الآجام حول مُزاحم قوانسَ أولى بيضها كالكواكب
أجالدُهم يوم الحديقة حاسراً كأنّ يدي بالسيف مخراق لاعب
ويوم بُعاث أسلمتنا سيوفُنا إلى نسبٍ في جِذْمِ غسّانَ ثاقبِ [2]

٦- يوم الربيع :

من أيام الأوس والخزرج أيضا قال قيس بن الخطيم :

ونحن الفوارس يوم الربيـ ـع قد علموا كيف فرسانها
وقد علموا أنّا فَلّهم خدور البيوت وأعيانها
وبالشوط من يثرب أعبُدٌ ستهلك في الخمر أثمانها
يهون على الأوس إيلامهم إذا راح يخطر نسوانها [3]

ب- أيام القحطانيين والعدنانيين :

١- يوم طِخفة

وهو يوم لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، كان من أمره أن ردافة

---

(١) معجم البلدان : واقم ، من آطام المدينة ، سمي لحصانته .

(٢) معجم البلدان : مزاحم، أطم بالمدينة ، والحديقة : من أعراض المدينة كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج ، وبُعاث موضع نواحي المدينة ، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج ، وقونس البيضة من السلاح : أعلاه .

(٣) معجم البلدان : الربيع ، موضع نواحي المدينة ، وشوط : موضع بين أحد والمدينة .

ملوك الحيرة [1] كانت في بني يربوع ، وبسببها التقوْا مع قابوس بطخفة ، لكنه صالحهم على أن يطلقوا الأسرى نظير أموال ضمّنها لهم ، وبقيت الردافة فيهم ، فقال زيد بن عمرو بن قيس :

وكنتُ إذا ما ماتَ مَلْكٌ قرعتُه ... قرعتُ بآباءٍ أولي شرف ضخـم
بأبناءِ يربوع ، وكان أبوهُمُ ... إلى الشرف الأعلى بآبائه يَنْمي
هـمُ ملكوا أملاكَ آل محرّق ... وزادوا أبا قابوس رَغْماً على رغم
علا جدُّهم جدُّ الملوك فأطلقوا ... بطِخْفة أبناء الملوك على الحكم [2]

٢- يوم أوارة أو (القُصيبة) :

ويُحكى أنّ أسعد بن المنذر أخو عمرو بن هند مستودَعا في بني تميم فقُتل فيهم خطأ، فحلف عمرو ليقتلنّ به مائة منهم ، فأغار عليهم في بلادهم بأوراة ، فظفر بتسعة وتسعين ، وأحرقهم ، فمرّ رجل من البراجم ظنًا منه أنّ رائحة القتلى هي شواء ، فلما رآه عمرو ، قال : ممّن أنت ؟ قال من البراجم ، فقال : « إن الشقيّ وافد البراجم » وأمر به في النار ، فسمي محرّقا ، فقال الأعشى يذكر يوم القُصيبة وأوارة من خلال هجائه لشيبان بن شهاب الجحدري :

وبنو ضُبيعةَ يعلمـو ... نَ بوارِدِ الخُلُق الشَّرارَهْ
إنّا نُوازي من يوا ... زيهِمْ ونَنْكَى ذا الضَّرارَه
وتكونُ في السلف المُوا ... زي مِنقراً وبنـي زُرارَه

---

(١) معجم البلدان : طِخْفة ، والردافة : كان إذا ركب الملك ركب خلفه .

(٢) معجم البلدان : طِخْفة ، جبل ، لهم عنده يوم .

أبنـاءَ قـوم قُتِّلُـوا يـوم َ القُصَيْبَةِ مِــــنْ أُواره [1]

هــا إنَّ عجـزةَ أمّـه بالسَّفْح ، أسفلَ مِـــنْ أُواره [2]

٣- يوم السلان :

وهو يوم بين بني ضبّة وبني عامر بن صعصعة ، فيه طَعن عامرُ بن مالك ضرارَ بن عمرو الضبي وأسر حُبيش بن دُلف ، فسمّي مُلاعب الأسنّة . شهدها زهير بن جناب الكلبي ، فقال :

شهدتُ المُوقدين على خـزاز وفـي السُّلان جمعاً ذازُهــاء [3]

وقال الأفوه الأودي ، صلاءة بن عمرو من مذحج :

وبروضـةِ السّلان منها مشهدٌ والخيلُ شاحية وقد عَظُمَ الثُبَى [4]

٤- يوم خزاز أو (خزازى)

وهو يوم كان بعَقْب السُّلان ، ومختصره : اتفقت مضر وربيعة على أن يتّخذوا ملكا من اليمن من بني آكل المرار ، وبعد أحداث يوم الكلاب لم يبقَ من بني آكل المرار غير سلمة بن الحارث ، فجمع جموع اليمن وسار نحو نزار ، وبلغ ذلك نزاراً ، فاجتمع بنو عامر بن صعصعة وبنو وائل تغلب وبكر . وقيل أن كليب وائل جمع ربيعة ، وجعل على مقدمته السفاح التغلبي – سَلَمة بن خالد – وأمرَه أن يوقد ناراً على خزازى ليهتدي الجيش بناره ، وأوصاه : إن غشيك العدو فأوقد نارين ، وبلغ سلمةَ مسيرُ ربيعة فاقبل ومعه قبائل مَذْحج ، وهجموا على خزازى ليلا فرفع السفاح نارين ، وتقابل الطرفان ، واقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت جموع اليمن ، ويعدّ هذا اليوم من أعظم أيام العرب ،

---

(١) معجم البلدان : قُصيبة ، من أرض اليمامة لتيم وعدي وعكل وثور بني عبد مناة بن أدّ بن طابخة ، ويوم لعمرو بن هند على بني تميم ، وهو يوم أوارة ، وبنو ضبيعة : من فروع بكر ، الوارد : الشجاع ، نوازي : نواجه ، ونتكى : نكثر الجراح ، الضراره : العداوة ، ومنقر : من بيوت سعد بن زيد المنقري ، وزرارة : من بيوت دارم .

(٢) معجم البلدان : أوارة ، جبل في أرض تميم ، وهو يوم ظفر به عمرو بن هند ببني تميم ، الديوان ٩٧ .

(٣) معجم البلدان : سُلان ويوم السلان أيضا ، قبل هذا بين معدّ ومذحج ، وكلب يومئذ معدّيون .

(٤) معجم البلدان : روضة السلان ، جبل إزاء خزاز ، وشاحية : فاتحة أفواهها ، والثُّبَى : الفرسان .

استنضفت به معدّ من اليمن (قبائل مَذْحج) [١] ، وفيه قال السفاح التغلبي :

وليلٍ ، بِتُّ أوقد في خــــزازَى　　هَـدَيْـتُ كتـائبـاً متـحيـّراتِ

ضَلَلْنَ من السُّهاد ، وكُنَّ لــولا　　سُهادُ القوم ، أحسَبُ ، هاديات [٢]

وقال ابن الحائك الحميري ، وفي قوله ما يدلّ على أن كليباً [٣] كان رئيس معدّ ، وأن قومَه أعانوا بني نزار في محاربتهم اليمن :

كانت لنا بخزازَى وقعة عجـبٌ　　لما التقينا ، وحادي الموت يحديها

مِلْنا على وائل في وسط بلدتها　　وذو الفخار كليبُ العزّ يحميهـا

قد فوّضوه وساروا تحت رايته　　سارت إليه معدّ من أقاصيهـا

وحِمير قومنا صارت مقاولها　　ومَذْحج الغُرُّصارتْ في تعانيها [٤]

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي في دفاعه عن تغلب ببلاط عمرو بن هند ، ويفتخر:

ونحن غداةَ أُوقدَ في خـزازَى　　رفَدْنا فوق رَفْدِ الرافدينـــا

برأس من بني جُشَم بن بكـر　　نَدُقُّ به السُّهولةَ والحُزُونـــا

تهدِّدُنا وتوعِدُنا ، رويـداً :　　متى كنّا لأمّك مقتَوينـــــا ؟ [٥]

٥- يوم الكلاب الثاني :

كان بين بني سعد والرباب ، بقيادة مُقاعس من بني سعد ، وتميم من الرباب ، قُتل فيه عبدُ يغوث بن صلاءة الحارثي بعد أن أُسر ، فقال وهو مأسور :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ　　نداماي من نجران أن لا تلاقيا

---

(١) اللسان : ذحج ، مذحج : طيء ومالك بن كهلان بن سبأ ، سُميا : لأنّ أمهما أقامت عليهما بعد بعلها ، فأذحجت بمعنى أقامت .

(٢) معجم البلدان : خزاز ، وخزازى ، يوم استنصفت به نزار من اليمن .

(٣) معجم البلدان : خزاز ، وكليب : اسمه وائل بن ربيعة بن زهير بن جُشَم بن بكر جبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل .

(٤) معجم البدان : خزاز ، عنّبته : إذا حبَسْته .

(٥) معجم البلدان : خزاز ، والرأس : القوم الذين لا يحتاجون أن يعينهم أحد ، والسهولة : الأرض الليّنة ، والحَزْن : الأرض الغليظة ، والمقتوون : من القَتْو ، الخِدْمة ، وأوعدَ يوعد إيعاد : في الشر ووعد يعدُ وعداً : في الخير ، الديوان ٨٤ ، ٨٨، ٩٤ ، ٨٨.

أبا كَربٍ والأيْهمَيْنِ كليْهمـا ... وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

وتضحكُ منّي شيخة عبشميّةٌ ... كأنْ لم ترَ قبلي أسيراً يمانيا

أقول وقد شدّوا لساني بنَسْعةٍ ... معاشرَ تيم أطلقوا عن لسانيا [1]

٦- يوم فيف الريح :

وهو يوم لمذحج على عامر ، فقأ فيه مُسهر الحارثي عينَ عامر الطفيل ، فيقول عامر : " إذا فُقئت عيني فهذا ليس عارا ، إنمّا العار الذي يجبن في القتال "، وقال ذلك :

لعَمْري ، وما عمـري عليّ بهيّنٍ ... لقد شان حُرَّ الوجه طعنةُ مُسْهرِ

فبئسَ الفتى إن كنتُ أعورَ عاقراً ... جباناً فما عُذري لدى كل محضرِ

وقد علمـوا أنّي أكرُّ عليهمُ ... عشيّةَ فيفِ الريح كرَّ المُدوَّرِ [2]

جـ- أيام ربيعة فيما بينها :

حرب البسوس

وقعت هذه الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل ، ودامت أربعين سنة وتضمّنت الأيام التالية :

١- يوم التحالق :

كان لبكر على تغلب ، في موضع يقال له «قضة» وهي عقبة بعارض اليمامة ، وسمّي بالتحالق ؛ لأن بني بكر حلقوا فيه جميعاً رؤوسهم ، وبعده كانت الوقائع التي جرّها قتل كليب بن ربيعة ، حين قتله جسّاس بن مرّة فشتّتهم أخوه المهلهل ؛ فقال الأخنس بن شهاب التغلبي وكان رئيساً شاعرا :

---

(١) معجم البلدان : كُلاب ، ماء على سبع ليال من اليمامة ، سمّي لما لاقوا فيه من الشر ، عبشميّة : نسبة إلى عبد شمس ، وأبا كرب : هو أبو كرب اليماني من ملوك حمير ، واسمه أسعد بن مالك الحميري ، اللسان : كرب ، والأيهمان : السيل والبعير الهائج ، والشجاع الذي لا يُدفع ، والنسْعة : قطعة من سير والجمع : أنساع ونسوع ، ونُسْع ، العقد الفريد ٣٥٤/٢ ، ابن الأثير ٣٧٩/١ ، الأغاني ٧٢/١٥ .

(٢) معجم البلدان : فيف الريح ، موضع بأعلى نجد ، والمدوَّر : الذي يدور بالدوار وهو الصنم . الديوان ٤٥ ، العقد الفريد ٣٥٩/٣ ، ابن الأثير ٣٨٧/١ والأغاني ٢١/٥ .

ونحن أناسٌ لا حُصُون بأرضنـا مع الغيث ما نُلْفَى ومن هو عازب
ترى رائدتِ الخيل حول بيوتنـا كمِعْزَى الحجاز أعوزَتْها الزرائـب
أرى كل قوم قاربوا قيدَ فحلهم ونحـن خلعنا قيدَه فهو سـارب[1]

٢- يوم واردات :

ثم التقَوْا بالذنائب ، ثم بواردات ، فظفرت بنو تغلب ، وقُتل بُجير بن الحارث بن عُباد بن مرّة ، قال المهلهل :

أليلتنا بذي حُسُم أنيـــري إذا أنتِ انقضيتِ فلا تحـــوري
فأن يكُ بالذنائب طال ليلـي فقد أبكي من النوم القصيـــر
فإنّي قـد تركتُ بـــواردات بُجيراً في دم مثل العبيـــر
هتكتُ به بيوتَ بني عُبــاد وبعض الغَشْم أشفى للصـدور

وقال ابن مقبل :

ونحن القائدون بـــواردات ضباب الموت حتى ينجلينـــا[2]

٣- يوم عنيزة :

ثم التقَوْا بعنيزة فتكافأ الحيّان ، قال المهلهل :

فدًى لبني شقيقة يوم جاؤوا كأسد الغاب لجّتْ في زئيـــر
تركنا الخيل عاكفةً عليهـم كأنّ الخيل تدحض في غديـــر
غـداة كأنّنا وبنـي أبينـا بجنب عنيـزة رحَيَـا مـديـر[3]

---

(١) معجم البلدان : قِضة ، عقبة بعارض اليمامة ، وكل أرض منخفضة ترابها رمل فهي قضة ، والجمع : قِضون ، والعازب : لا زوج له ، ومِعزى : جمع ماعزة ، ذوات الشعر من الغنم .

(٢) معجم البلدان : واردات : جمع واردة : موضع عن يسار طريق مكة ، يمين سميراء ، وبجير : ابن أخيه إلى مهلهل ، والغشم : الغصب ، والحرب غشوم : لأنها تنال الجاني ، ذي حسم : موضع بالبادية ، تحوري : ترجعي ، الذنائب : الموضع الذي دفن فيه كليب بالنّير ٥ / ٣٣٠ والعبير : الزعفران .

(٣) معجم البلدان : عُنيزة من أودية اليمامة قرب سواج ، وقرى عنيزة بالبحرين ، منها العنزة : رمح قصير ، والعنزة : دابة تفتك بالبعير ، والشقيقة : جدة النعمان بن المنذر ، وهي بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وعاكفة : مقيمة ، تدحض : تزلق ، الرحيان : إذا أدارهما مدير أثّرت كل منهما في الأخرى .

٤- يوم الصّعاب :

يوم قُتل فيه الحارث بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان ، قال مهلهل :

شفيتُ نفسيَ وقومي من سراتهم   يوم الصّعاب ووادي حاربَى مـساس

من لم يكن قد شفى نفساً بقتلهم   منّي فذاق الذي ذاقوا من البـاس

وقتلَ خليفةُ بن مخبط كتّانَ بن دهر فارس بكر بن وائل ، فقال شاعرهم :

تركنا ابن دهر بالصّعاب كأنّما   سقَتْه السُّرَى كأسَ الكرى فهوناعس [1]

د- أيام ربيعة وتميم :

١- يوم الوقيط :

وهو اليوم الذي قتل فيه أرازُ أحدُ بني تيم الله بن ثعلبة ، الحكمَ بن خيثمة بن الحارث بن نهيك النهلشي ، فقال أبو الحارث بن نهيك الأصيلع :

ما شِئْنَ فَلْتَفْعَلِ الـواشـدا   تُ والدهر بعد فتانا حكـمْ

يجوبُ الفلاةَ ويهدي الخميسَ   ويصبحُ كالصقرِ فوقَ العلَمْ

فنفسي فداؤكَ يومَ الوقيط   إذا الرّوع أفْدَ ، وخالي وعَـمْ

وأسرَ عثجلُ بن المأموم ، والمأموم بن شيبان ، قال الشاعر :

وعثجلَ بالوقيط قد اقتسَرْنـا   ومأموم العلي أي اقتسـار [2]

٢- يوم جَدود

كان لبني مِنقر من تميم على بكر بن وائل ، فقال قيس بن عاصم المِنقري :

جزى الله يربوعا بأسوأ صنعها   إذا ذُكرت في النائبات أمورُهـا

بيوم جَدودٍ قد فضحتم أباكـمُ   وسالمتمُ ، والخيلُ تَدْمى نحورهـا

ستخطم سعدٌ والربابُ أنوفكـم   كما غاطَ في أنفِ القضيب جريرُها

(١) معجم البلدان : الصّعاب ، جبل بين اليمامة والبحرين ، ورمال بين البصرة واليمامة ، من أيام بكر وتغلب .

(٢) معجم البلدان :الوقيط المكان الصلب الذي يستنقع فيه الماء وهو يوم لبكر من ربيعة على تميم ، تجمعت فيه اللهازم ، وهم : عنزة بن أسد بن ربيعة وعجل بن لجيم ، وتيم الله وقيس ، ابنا ثعلبة من بكر بن وائل ، فأخبر ناشب بن بَشامة العنبري الأعور ، وهو أسير في قيس بن ثعلبة – تيماً بذلك ، في قصة بها طول ، والعنبر بطن من تميم . ابن الأثير ٣٨٥/١ ، العقد الفريد ٣/ ٣٣٠.

عصمنا تميماً في الحروب فأصبحت　　　يلوذ بنا ذو وفرها وفقيرِها [1]

٣- يوم العُظالى :

وهو يوم لبنّي يربوع من تميم على بكر بن ربيعة ، سمّي لاشتباكهم على الرياسة ، وهو بيوم الإياد ؛ لأنه في موضع إياد [2]، فقال ابن حوشب في فَرار بسطام بن قيس الشيباني :

فإن يك في يوم الغبيط ملامةٌ　　　فيومُ العُظالى كان أخزى وألْوَما

وفرَّ أبو الصهباء إذ حَمِسَ الوغى　　　وألقى بأبدان السلاح وسلّما [3]

إذْ كان بسطام قد أُسر يوم الغبيط ، ففدّى نفسه بأربعمائة ناقة ثم أُطلق وقد جُزّت ناصيته فقال الشاعر :

رَجعنَ بهانئ وأصبنَ بشْراً　　　وبسطامٌ يعضُّ به القيود [4]

ويسمى أيضا بيوم الأفاقة ، إذ أغار بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني على بني يربوع بالأُفاقة فأسروه وهزموا جيشه ؛ فقال العوام أخو الحارث بن همام :

قبّح الإلهُ عصابةً من وائلٍ　　　يوم الأُفاقة ، أسلموا بِسطاما [5]

ويقال ليوم العُظالى أيضا ، يوم مُليحة ، فقال عُميرة بن طارق اليربوعي فيه :

حلفتُ ، فلم تأثم يميني ، لأثأرَنْ　　　عديّاً ونعمان بن قيل وأيهما

وغلمتنا الساعين يوم مُليحة　　　وَحوْمل في الرمضاء يوماً مُجرِما [6]

---

(١) معجم البلدان : جَدود ، موضع في بلاد بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سَمْت اليمامة ، فيه الماء الذي يقال له الكلاب ، وفي اللسان : جَدد ، كانت فيه وقعة مرتين ، بذلك قد يسمى بعضهم يوم الكلاب الأول يوم جَدود ، وغاط : دخل ، والقضبب : الناقة التي لم ترض ، والجرير : الحبل ، الوفر : المال .

(٢) معجم البلدان : إياد ، موضع بالحزن لبني يربوع بين الكوفة وفيد .

(٣) معجم البلدان : العُظالى ، بسطام وهانئ بن قبيصة وآخرون تعاظلوا على الرياسة .

(٤) معجم البلدان : غبيط ، في ديار يربوع ، وهو يوم ليربوع على مجاشع .

(٥) معجم البلدان : الأُفاقة ، موضع من أرض الحزن قرب الكوفة ، فيه ماء لبني يربوع ، كان النعمان بن المنذر يَبْدو إليه في أيام الربيع .

(٦) معجم البلدان : مُليحة ، موضع في بلاد تميم .

٤- يوم قشاوة :

كان لشيبان من بكر على يربوع من تميم ، أسر فيه بسطامُ بن قيس أبا مُليل عبدالله بن الحارث ، وقُتلَ ابناه بجير وحُريب الأجيمر ، قال الشاعر :

أسرْنا مالكاً وأبا مُليـــــــل ... وحرّقنا الأجيمر بالعوالـــــي [1]

وقال متمم بن نويرة يرثي بجير بن عبدالله بن مليك السليطي :

أبلغ أبا قيس ، إذا ما لقيتَـه ... نعامــةُ أدنى دارها فظليـــمُ

بـأنّا ذوو حدٍّ وأنّ قبيلَهــم ... بني خالد ، لو تعلمين ، كريـمُ [2]

كـأنّ بجيراً لم يقلْ لي ما ترى ... من الأمر ، أو ينظر بوجه قسيـمَ

ولم شئتَ نَجاكَ الكُمَيْتُ ولم تكُنْ ... كـأنّكَ نَصْبٌ للرماح رجيـم

فيا لعبيـد خلقة إنّ خيركـم ... بجرزة ، بين الوعستين ، مقيـم

رجعتم ، لم تربعْ عليه ركابكُم ... كَأنّكُمْ لم تُفجَعوا بعظيـم [3]

هـ- أيام قيس فيما بينهما :

داحس والغبراء :

وقعت بين عبس وذبيان ، وكانت الحرب بينهما سجالا ، وانتهت بصلح ، وسميت باسم فرسي قيس بن زهير ، وتشمل هذه الحرب الأيّام البارزة التالية :

١- يوم أصاد :

سمّي باسم ماء لُطم عليه داحس فرس قيس العبسي ، كان قد أجراه مع الغبراء فرس حذيفة بن بدر الفزاري ، فكان ذلك سبب إشعال الحرب التي دامت أربعين سنة ، وآخر ذلك قُتل أولاد بدر الفزاري ، وفي ذلك اليوم ، قال بدر بن مالك بن زهير :

---

(١) معجم البلدان : قُشَاوة ، في أعالي نجد .

(٢) معجم البلدان : نعامة وظليم : موضعان بنجد . وأيام العرب ٢٠٤ .

(٣) معجم البلدان : جُرْزة ، أرض باليمامة لبني ربيعة ، والقسيم : الجميل ، الرجيم : المرجوم . والوعس : الرمل الليّن ، ابن الأثير ٣٦٤/١ .

فإنّ الرباط النُّكْدَ من آل داحسٍ أَبَيْنَ ، فما يُفْلِجْنَ يومَ رهانِ
لُطِمْنَ على ذات الإِصاد ، وجمعُكم يَرَوْنَ الأذى من ذِلَّةٍ وهوان [1]

وقال قيس بن زهيّر :

ألم يَبْلُغْكَ ، والأنباءُ تَنْمي بما لاقتْ لبونُ بني زياد
كما لاقيتُ من حَمْلِ بن بدر وإخوته ، على ذات الإصاد ؟ [2]

٢- يوم الفروق :

وهو من أيام عبس على بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، فقال عنترة يفتخر بالذود عن النساء وحمايتهن :

ونحن منَعْنا بالفَرُوق نساءنا نُطرِّفُ عنها مُشْعلاتٍ غَواشيا [3]
حلَفْنا لكم بالخيل تدمى نُحورُها نَدُومَنْ لكم حتى تهزُّوا العواليا

٣- يوم الهباءة :

حدث في بلاد غطفان ، قتل فيه قيسُ بن زهير العبسي حذيفةَ وحملَ ابني بدر الفزاريين ، فقال :

تعلّمْ أنّ خيرَ الناس ميتٌ على جَفْر الهباءةِ لا يريمُ
ولكنَّ الفتى حملَ بن بدرٍ بغَى والبغيُ مصرَعُه وخيمُ [4]

وقال أيضا :

شفيتُ النفس من حَمَل بن بدر وسيفي من حذيفةَ قد شفاني [5]

---

(١) معجم البلدان : الإصاد ، اسم ماء .

(٢) معجم البلدان : إصاد .

(٣) معجم البلدان : الفروق ، عقبة بين هجر ونجد ، كان فيه يوم ، نطرف عنها : نرد عنها ، المشعلات : التي تكون منتشرة ، والغواشي : الموجودات في محيط الحي ، والعوالي : القنا ، والرماح .
وتردي : تسرع ، حلفنا نزايلهم : أقسمنا لا نزايلهم ، وهرّ الشيء : كرهه .

(٤) معجم البلدان : هبَاءة ، موضع ببلاد غطفان .

(٥) معجم البلدان : هباءة .

٤- يوم ذي حسا :

يعدُّ أيضا من أيام داحس والغبراء ، وهو واد بأرض الشَّرَبَّة من ديار عبس وغطفان، وقد ذكره لبيد بقوله :

ويوم أجازتْ قُلَّةَ الحَزْنِ منهُمُ مواكبُ ، تعلُو ذاحُساً ، وقنابلُ
على المُرْصَرَانيّاتِ ، في كلِّ رِحلةٍ وسوقٌ عِدالٌ ليس فيهنَّ مائلُ [1]

وبقيت حروب داحس والغبراء متواصلة إلى أن تدخّل بين الطرفين الحارث ابن عوف وهرم بن سنان سعياً وراء الصلح فأشاد زهير بصنيعهما الإنساني وخصّهما بالمدح فقال :

أمِنْ أمِّ أوفى دِمنَةٌ لم تكلَّمِ بحومانةِ الدرّاجِ فالمتثلَّمِ ؟ [2]
وقفتُ بها من بعدِ عشرينَ حِجَّةٍ فلأياً عرفت الدار بعد توهُّمِ [3]
فاقسمتُ بالبيت الذي طاف حولَه رجالٌ بنَوْه من قريش وجُرْهُمِ
يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم
بداركتما عبساً وذُبيان بعدما تفانَوْا ودقُّوا بينهم عطر مَنْشِمِ

وقال أيضا في مدح هرم بن سنان المُرّي :

عهدي بهمْ يوم بابِ القريتين وقد زال الهماليجُ بالفرسان واللُّجُمِ
هو الجواد الذي يُعطيكَ نائلَه عَفْواً ويُظلمُ أحياناً فَيَظَّلِمُ
وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ [4]

وانتهت حرب داحس والغبراء بالصلح بعد أن دامت أربعين سنة .

---

(١) معجم البلدان : حُسا ، ذوحسا : واد بديار عبس وغطفان ، وقلة الحزن : قمته ، القنابل : مجموعة الناس والخيل ، والصرصرانيات : الإبل ، وسُوق : أحمال ، الديوان ١٣٤ .

(٢) معجم البلدان : حومانة الدرّاج ، موضع في نجد .

(٣) معجم البلدان : لأيٌ ، اللأي : البطء بغة ، وهو موضع قرب المدينة . هما عظيمان في سهولة الأمر وشدته ، ومنشم : امرأة بائعة عطر ، تُذكر في الشؤم ، الديوان ١٠٣ .

(٤) معجم البلدان : ذات أبواب ، قرية كانت لطسم وجديس وهي باب القريتين ، الديوان ١١٤ .

٥- يوم الرَّقم :

كان يوماً لقبائل غطفان – مرّة ، وأشجع وفزارة – على بني عامر بالرقم قرب مكة في بلاد غطفان ، وكانت لعامر بن الطفيل أول تجربة قيادية له ، فقال في يوم الرقم :

فـلأبغيَنّكُمُ قنـاً وعـوارضـاً ... ولأقبلنَّ الخيلَ لابةَ ضرغـدِ
ولأثـارنَّ بمـالكٍ وبمـالكٍ ... وأخي المرْوَاتِ الذي لم يُسْنَدِ
وأنـا ابنُ حربٍ لا أزالُ أشبُّهـا ... سَمُراً وأُوقِدُها ، إذا لم تُوقَدِ [١]

و- أيّام قيس وكنانة :

١- يوم بُرزة :

أغار مالك بن صخر بن عمرو الشريد ، وهو ذو التاج ، وكان بنو سُليم قد ملّكوه عليهم ، أغار على بني فراس ببرزة ، ورئيس بني فراس عبدالله بن جذل الطعان ، فقتله عبدالله ، وقال :

فدًى لهم نفسي ، وأمي فدى لهم ... ببُرزة ، إذ يخبطْنَهم بالسنابك [٢]

وهو يوم لبني فراس من كنانة على بني سُليم ، كان بنو فراس أنجد العرب ، الرجل منهم يعدل بعشرة .

٢- حروب الفجار : بين كنانة وقيس ، قال خِداش بن زهير :

ياشدّةَ ما شددْنا غير كاذبـة ... على سخينة لولا الليلُ والحرمُ [٣]

وقتل البَرّاضُ بن قيس بن ضمرة بن كنانة عروةَ الرحّال بن كلاب بسبب لطيمة النعمان بن المنذر ، فقال البَرّاض :

وداهية تهمّ النـاس قبلـي ... شددتُ لها بني بكر ضلوعـي
هدمتُ بها بيوتَ بني كلاب ... وأرضعتُ المواليَ بالضُّـروع

---

(١) معجم البلدان : ضرغد ، جبل ، حرّة في الرقم من بلاد غطفان ، وقناً : جبل بديار ذبيان ، وعوارض : جبل لبني أسد ، واللابة : الأرض ذات الحجارة السوداء ، لم يُسند : لم يدفن .

(٢) معجم البلدان : بُرزة ، شعبة تدفع على بئر الرويثة .

(٣) معجم البلدان : نخلة محمود ، موضع قرب مكة فيه نخيل ، كان فيه يوم لقيس عيلان على كنانة وقريش ، واقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنّ الليل عليهم فكفّوا عنهم وسخينة : حساء تعيرّ به قريش .

رفعت له يديَّ بذي ظِـلال فخرَّ يميد كالجذع الصريـــع

وقال لبيد بن ربيعة :

فأبلغ إن عرضتَ بنيَّ كلاب وعامر ، والخطوب لها موالي

وبلّغ إن عرضت ابني نمير وأخوال القتيل بني هــلال

بأن الوافد الرَّحال أمسَى مقيماً عند تيمنَ ذي ظـــلال [1]

٣- يوم شمطة :

تجمّعت قريش وكنانة بأسرها والأحابيش بشمطة من عكاظ على حول ميعادهم ، لكن الغلبة كانت لقيس على كنانة وقريش ، فقال خِداش بن زهير بن عمرو ، وهو من عامر بن صعصعة :

ألا أبلغ إن عرضتَ به هشاماً وعبدَالله أبلغْ والوليـدا

همُ خير المعاشر من قريش وأوراهم إذا خفيتْ زنـودا

بأنّا يوم شمطة قد أقمنا عمودَ المجد إنّ لـه عمـودا

جلَبْنا الخيل عابسةً إليهم سواهمَ يدَّرِعْنَ النقع قـودا [2]

٤- يوم العبلاء :

عادت هوازن وكنانة إلى الحرب ، والتقوا على الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ ، وكان اليوم لقيس على كنانة وقريش ، فقال خِداش بن زهير :

ألم يبلغك بالعبلاء أنّا ضربنا خندفاً حتى استقادُوا

نبنّي بالمنازل عزّ قيسٍ وودّوا لو تسيخُ بنا البلادُ

---

(١) معجم البلدان : ظِلال ، وحروب الفجار بين كنانة وقيس ، سميت لأنها كانت في الأشهر الحرم ، الفجار الأول ثلاثة أيام ، والثاني خمسة أيام في أربع سنين وحضر - صلى الله عليه وسلم - يوم عكاظ مع أعمامه ، كان يناولهم النبل وهو ابن خمسة عشر عاماً ، وقتل عروة بتيمن ذي ظلال بالعالية في الشهر الحرام ، واستاق البراض اللطيمة إلى خيبر .

(٢) معجم البلدان : شَمْطَة موضع كانت فيه وقائع الفجار ، قرب عكاظ ، وسمي : لأن العرب كانت تجتمع فيه فيمكظ بعضهم بعضا بالفخَار أي يدعك ، بينه وبين مكة ثلاثة ليال ، وبين الطائف ليلة ، كانت العرب تقيم بسوق عكاظ ومجنة وذي المجاز أيام الأشهر الحرم والحج ، وقود : جمع أقود ، وهي الخيل السلسة القياد ، والنقع : الغبار الساطع ، ووارى الزند : يكون في الكرم والخصال المحمودة .

وقال أيضا :

ألم يبلغكمُ أنّا جدعنا — لدى العبلاء خندف بالقياد ؟ [1]

٥- يوم الحُريرَة :

الحريرة موضع بين الأبواء ومكة قرب نخلة ، بها كانت الوقعة الرابعة من وقعات الفِجار لقيس على كنانة وقريش ، ثم تعادّوا القتلى فوجدوا قريشاً وبني كنانة قد أفضلوا على قيس عشرين رجلا ، ووضعوا الحرب ، قال خِداش :

وقد بلَوْكُمْ ، فأبلوكم بلاءهم — يوم الحُريرة ، ضرباً غير تكذيب [2]

ز- أيام قيس وتميم :

١- يوم رحرحان :

لعامر على تميم ، وكان سببه أنّ الحارث بن ظالم المرّي الذبياني قتل خالد بن جعفر بن الكلاب العامري ، فأجاره حاجب بن زرارة بن عَدس بن عبدالله بن دارم من تميم ، فخرج الأحوص بن جعفر الكلابي ثائراً بأخيه خالد فالتقوا برحرحان فهُزم بنو تميم ، قال عوف بن عطية التميمي :

هلاّ فوارسَ رحرحانَ هجَرْتَهم — عشراً تناوَحُ في سِرارة وادي [3]

يعني لقيط بن زرارة وكان قد انهزم عن أخيه ، وأُسر معبد بن زرارة يوم رحرحان الثاني فمات في أيدي بني عامر أسيرا ، فعيّرت العرب حاجباً وقومَه لذلك .

قال الحارث حين فتك بخالد :

نأتْ سلمى وأمستْ في عدوٍّ — أُحِبّ إليهم القُلُص الصِّعابا

وحَلّ النعف من قنوين أهلي — وحلّت روض بيشة فالرُّبابا

---

(١) معجم البلدان : العبلاء : صخرة بيضاء جنب عكاظ ، الأعبل والعبلاء حجارة بيض ، والقنان : جبال صغار سود ، والظراب أيضا سوداء والهضاب حمراء ، وخندف : زوجة إلياس بن مضر ، وإليها تسب أولاد إلياس جميعاً ، وتسيخ : تنخسف .

(٢) معجم البلدان : الحُريرة تصغير حرّة ، موضع قرب نخلة .

(٣) معجم البلدان : رحرحان جبل قريب من عكاظ خلف عرفات لغطفان كأن فيه يومان أشهرهما الثاني والتناوح : التقابل ، وسرارة الوادي : جوفه .

وقطّع وصلَها سيفي ، وأنّـــي　　　فجعتُ بخالد طُرّاً كلابـــــــا [1]

٢- يوم شِعب جَبلة :

وهو يوم لعامر بن صعصعة من قيس وحلفائهم من عبس على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرهم ، وهو المشهور بيوم تعطيش النوق ، برأي قيس بن زهير العبسي، قتل فيه جعدةُ بن مرادس فارس خيبر لقيطَ بن زرارة ، قال مُعقّر بن أوس البارقي:

ونحن الأيمنون بنو نميـــــر　　　يسيل بنا أمامهم الخليـــــف

تقدّم خيبراً بأقل عضْـــــبٍ　　　له ظُبَة ، لما لاقى ، قطـــــوف

وزعم بعضهم أن شريح بن الأحوص قتله واستشهد بقول ابنته دختنوس ، وجعل بنو عبس يضربونه وهو ميت ، فقالت :

ألا يا لها الويلات ، ويلة من هوى　　　بضرب بني عبسٍ لقيطاً ، وقد قضى

لـه عقّروا وجهاً عليـه مهابـــة　　　ولا تحفل الصمّ الجنادل مـن ثـوى

ومـا ثأره فيكـم ، ولكـن ثـأره　　　شريـح أرادتْـه الأسنّـة والقنـــا [2]

وكان يوم جبلة من أشدّ أيام العرب ، قبل مولده - صلى الله عليه وسلم - بسبع .

---

(١) معجم البلدان : قَنَوان ، تثنيـه قناً ، جبلان تلقاء الحاجر لبني مرّة ، وهما عُوارض وقناً ، سمّيا تنوين للتغليب ، والخبب : ضرب من سير الإبل ، والقلص والقلاص والقلائص : جمع قلوص وهي الفتيّة من الأبل ، والنعف : المكان المرتفع ، وبيشة : على خمس مراحل من مكة ، موضع كثير الأسد ، والرُباب: في ديار بني عامر منتهى سيل بيشة في نجد ، ومنازل مرّة بن غطفان بنواحي الحجاز .

(٢) معجم البلدان : جَبَلة ، موضع به الوقعة المشهورة ، وهو هضبة حمراء بنجد بين الشُريف (ماء لبني نمير) والشرف (ماء لبني كلاب) ، وجبلة : جبل طويل له شعب واسع لا يُرقى الجبل إلاّ من قِبل الشعب ، وقيس بن زهير هو سيد عبس ، كان يلقب بقيس الرأي ، ومن ذلك قوله : أربعة لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شبع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت . والخليف : الطريق بين الشعبين ، ولجته بارق وبنو النمير يوم جبلة بعد أن اقتسموا الشعوب بالقداح ، فتخلّف سهم هؤلاء ، بينما دخلت بنو عامر شعب مُسلّح، فحصنوا فيه نساءهم ، كانت من بينهن كبشةُ بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب يومئذ حاملاً بعامر بن الطفيل ، فقالت : ارفعوني يا بني عامر إن في بطني لعز بني عامر فحملوها إلى قنّة وقبان وولدت عامراً بعد القتال . العضب : السيف القاطع ، ظُبة : مفرد الظباة والظبين وهو طرف السيف ، وقطوفْ : بطيء السير . ابن الأثير ٣٥٥/١ ، العقد الفريد ٣٠٧/٣ الأغاني ٢٣/١٠ .

عشرة سنة ، قال رجل من بني عامر :

لم أرَ يوما مثل يوم جبلـــة ... لما أتتنا أسد وحنظلـــةْ
وغطفانُ والملوك أزفلـــه ... نضربهم بقضُب منتحلـــةْ [1]

وقال لبيد :

منّا حماةُ الشعب يومَ تواعدتْ ... أسد وذبيانُ الصّفا وتميــمُ
فارتَثَّ جرحاهُمْ عشيّةَ هَزْمِهِم ... حتى بمنْعرجِ المسيل مقيـمُ
قَوْمي أولئك إن سألتِ بِخِيمِهِمْ ... ولكلِّ قوم في النوائب خِيمُ
وإذا تواكلتِ المقانبُ لم يزلْ ... بالثَّغر منّا مِنْسرٌ وعظيــم [2]

وقال النابغة الجعدي :

ونحن حبسنا الحيَّ عبساً وعامـراً ... بحسّان وأبي الجون ، إذ قيل أقبلا
وقد صعدتْ عن ذي بِحار نساؤهـم ... كإصعاد نسر لا يرومـون منـزلا
عطفنا لهم عطف الضروس فصادفوا ... من الهضبة الحمراء ، عزّاً ومعقلا [3]

٣- يوم ذي نَجَب :

بعد مرور سنة من يوم جبلة خرج ناس من بني عامر بن صعصعه إلى حسان بن كبشة الكندي ، من ملوك اليمن ، ودَعوْه إلى غَزْو بني حنظلة حيّ من تميم ، فساروا في جمع وقد استعدّ بنو يربوع لهم ، ووقعت الحرب ، فقتل حُشيش بن نمران الرياحي ابن كبشة ، وانهزم أصحابه ، وأسر ثعلبةُ بن الحارث اليربوعي يزيدَ بن الصعق ، وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قرزل ، فقال سُحيم بن وثيل الرياحي :

ونحن ضربنا هامةَ ابن خويلد ... يزيد وضرَّجْنا عبيدةَ بالدَّم

---

(١) معجم البلدان : جَبَلة ، الأزفلة : الجماعة من الناس ، والقضب : السيوف النواحل التي رقّت ظُباها من الاستعمال .

(٢) معجم البلدان : شعب جبلة ، المرتث : الذي يُحمل من المعركة جريحاً وبه رمق ، والخيم : الخلق ، فارسيّ معرّب ، والمقانب : جماعة الخيل والفرسان ، والمنسر : بين ثلاثين إلى أربعين فارساً .

(٣) معجم البلدان :بِحَار كل أرض سهلة تحيطها جبال ، وذو بحار : جبلان في حرّة بني سُليم ، وماء لغني شرقي النّير ، وواد بأعلى التسرير يصيب في التسرير لعمرو بن كلاب ، الجون : نائحة من كندة كانت في الجاهلية ، والجَوْنان : معاوية وحسّان بن الجون الكنديان ، اللسان : - جون -.

بذي نُجبٍ إذ نحن دون حريمنا ... على كل جيّاش الأجاريّ مِرجم [1]

٤- يوم الصرائم :

أغارت بنو عبس على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى الصريخ بني يربوع ، فلحقوا بني عبس بذات الجرف ، فقتلوا شُريحاً وجابراً ابني وهب ، قال شميت بن زنباع بن الحارث بن ربيعة الرياحي :

وسائل بنا عبساً ، إذا ما لقيتها ... على أيّ حيّ بالصرائم دلّت

قتلنا بها صبراً شُريحاً وجابراً ... وقد نهلتْ منّا الرماح وعلّت [2]

وقال سُحيم بن وثيل :

وافى ابنُ زنباع وفروةُ عَقْدَنا ... وفيهم دماءُ الحي لما تُصَرَّم [3]

وكان يوم بالجرف لبني يربوع على عبس قتلوا شريحاً وجابراً ، وأسروا فروة وربيعة ابني الحكم بن زنباع ، قال رافع بن هُزيم :

ونحن يوم الجرف ، جئنا بالحكم ... قَسْراً وأسرى حولَه لم تقتسم [4]

ج- أيام ضبّة وغيرهم :

١- يوم النسار :

لضبة وتميم على بني عامر ، وسألت هوازن ضبة أن تشاطرهم أموالهم وسلاحهم ويخلّوا عنهم ففعلوا ، فقال ربيعة بن مقروم :

فدًى ببزاخة أهلي لهم ... إذ ملؤوا بالجموع القضيما

وإذ لقيتْ عامر بالنِّسا ... ر منهم وطِخفةَ يوما غشوما

---

(١) معجم البلدان : غَبَبٌ ، واد قرب ماوان في ديار بني محارب ، فيه وقعة لبني تميم على بني عامر من قيس ، وكبشة هي امرأة من بني عامر بن صعصعة ، وابن خويلد : هو يزيد من الصعق ، الأجاريّ : ضروب من الجري ، مرجم : شديد .

(٢) معجم البلدان : الصرائم ، موقع كان فيه وقعة بين يربوع من تميم وعبس ، ويسمى يوم بني جذيمة ، النهل : السقية الأولى ، والعلل : الثانية ، والناهل : الريّان ، والعطشان .

(٣) أيام العرب ٣٦٨ .

(٤) معجم البلدان : الجرف.

به شاطروا الحيُّ أموالَهم هوازن ذا وفرِها والعديما [1]

٢- يوم الشقيقة :

كان لضبة على شيبان ، قتل فيه عاصم بن خليفة الضبي بسطامَ بن قيس الشيباني ، وكان عبدالله بن غنمة الضبي منقطعا إلى بني شيبان لأنهم أخواله ، فلما مات بسطام خاف أن يقتل ، فقال يرثيه :

لأمّ الأرض ويلٌ ، ما أجنّتْ ؟ بحيث أضرَّ بالحسن السبيل

يقسم مالَه فينا وندعو أبا الصهباء إذا جنحَ الأصيل

أفاتَتْهُ بنو زيد بن عمرٍ ولا يوفَى ببسطام قتيل [2]

وقال شمعلة بن الأخضر بن هبيرة :

ويوم شقيقة الحسنين لاقتْ بنو شيبان آجالا قصارا [3]

شكَكْنا بالأسنّةِ وهي زورٌ صماخَيْ كبشهم حتى استدارا

زمن المقاتلة :

إن أكثر الإغارات كان والقوم على حين غفلة من أمرهم ، لما فيها من الغنائم بأقل الخسائر ، فتقاتلوا بالنهار ، والليل ، ولعل تسمية حروبهم بالأيام لسبب المقاتلة أثناء النهار ، بدليل قول خِداش بن زهير يوم نخلة :

ياشدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم [4]

حيث انتهى القتال حينما خيّم الظلام عليهم ، فكفّت قيس عيلان عن كنانة وقريش، ويبدو أن أكثر إغاراتهم كانت على حين غفلة ، غدوةً وعشيّة ، والقوم رقود ؛ لتكون

---

(١) معجم البلدان : النسار ، جبال صغار ، وماء لبني عامر بن صعصعة ، وبزاخة لضبة على إياد بن معد عدنان – ليست لهم قبائل مشهورة .

(٢) معجم البلدان : الحسن : جبل في ديار ضبة سمي لحسنه ، وقيل رملة لسعد – حي في تميم – قتل عندها بسطام ، في يوم الشقيقة ، لضبة على شيبان ، والشقيقة : فرجة في الرمال ، وهو يسمى أيضا نقا الحسن ، أجنت : سترت ، أضرَّ : دنا ، أبا الصهباء كنية بسطام ، الأصيل : وقت الأضياف .

(٣) معجم البلدان : الحسنان ، واللسان – شقق – زور : جمع أزور ، وهو الميل .

(٤) معجم البلدان : نخلة محمود ، وسخينة : في الأصل حساء يتخذ أيام الشدة .

مفاجأة فيها الغنيمة بأقل الخسائر ، فيقول المهلهل في يوم عنيزة :

غداة كأننا وبني أبينا ... بجنب عنيزة رحًيا مديـــر[1]

وقال عامر بن الطفيل أنهم هجموا على أعدائهم صباحا :

وإنّكِ لو رأيتِ ، أميمَ ، قومي ... غداةَ قُراقرٍ لنعمـتِ عَيْنَـا

وقد صبَّحْنَ يـوم عُويرضـات ... قُبيلَ الشُّرْقِ باليَمَنِ الحُصينا

وبالمَرْداتِ قد لاقَيْـنَ غُنْمـاً ... ومن أهل اليمامة ما بغَيْنَـا[2]

وقال كعب بن زهير :

صَبَحْنَا الحيُّ حيَّ بن جحاش ... بمكروثـاء داهيـــة نـــآدا[3]

وقال قيس بن الخطيم :

وصبّحكم منّا به كلُّ فارس ... كريم الثنا يحمي الذمارَ ليحمدا[4]

وقد يسيرون ليلا حتى يصلوا العدو صباحا وهم رقود ، قال ربيعة بن مقروم :

فأوردها ولون الليـل داج ... وما لغبا وفي الفجر انصـــداع[5]

فصبّح من بني جلّان صِلّاً ... عطيفتـه وأسهمُـه المتـــاع

والقتال في النهار يعززه وضوح الرؤية ؛ لأن الظلمة فيها معاناة لحجب الرؤية ، ويفوتهم المكسب ، قال خُويلد بن أسد بن عبد العزّى :

أنا الفارس المذكور يوم كليّـــة ... وفي طرف الرُّنقاء يومك مظلم

قتلت أبا جزء وأشويتُ محصناً ... وأفلتني ركضاً مع الليل جهضمُ[6]

ويكون القتال أول الليل ، قال عامر بن الطفيل :

---

(١) معجم البلدان : عُنيزة : من أودية اليمامة.

(٢) معجم البلدان : المرْدات، موضع ، وقراقر وعويرضات من أيام بني عامر ، والحُصين : رجل من بني الحارث ، وأميم ترخيم أميمة صاحبته ، الديوان ٨٥ .

(٣) معجم البلدان : مكروثا ، موضع في ديار بني جحّاش رهط الشماخ .

(٤) معجم البلدان : ردم ، بين جمع ومحارب ، سمّي ردم جمع بما ردم منهم يومئذ عليه ، والذمار : كل ما يلزمك حمايته .

(٥) معجم البلدان : نطاع في اليمامة ، به وقعة بين سعد بن تميم وهوذة الحنفي ، والعطيفة : القوس .

(٦) معجم البلدان : كليّة ، واد قرب الجحفة ، به يوم للعرب .

وقد علموا أنّي أكرّ عليهم عشيّة فيف الرّيح كرّ المدوّر[1]

وقد تسمي الحرب ليلة ، قال لبيد بن ربيعة :

فصلَقْنا فيَ مُرادٍ صلقةً وصُداءٍ ألحقتهُمْ بالشللْ

ليلةَ العُرقوب حتى غامرتْ جعفراً ، تُدْعَى ، ورهطُ بن شكَلْ[2]

وإذا اجتمعوا للحرب دخّنوا بالنهار ، وأوقدوا بالليل ، قال عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أُوقد في خزازى رفَدْنا فوق رَفْدَ الرّافدينا[3]

وقال زهير بن جناب الكلبي :

شهدتُ الموقدين على خزاز وفي السُّلان جمعاً ذا زهاء[4]

والنار يستضاء بها ، قال السفّاح التغلبي :

وليلٍ ، بِتُّ أُوقد في خزازى هديتُ كتائباً متحيِّرات[5]

الأسلحة :

كانوا في أشد الحرص على أدوات القتال ؛ لأنها وسيلتهم في حمايتهم وإغارتهم على الأعداء ، وبها يكسبون أرزاقهم ويثأرون ، فكان السلاح لا يفارق أحدهم ، وتردد في الشعر أدوات كثيرة الاستعمال ، منها :

١- السيف :

اشتهر القيون اليهود بصناعة السُّيوف في المدينة ، وقيل أنّ أول من عملها من العرب الهالك بن عمرو بن أسعد خزيمة ، فقيل لبني أسد القيون .[6]

---

(١) معجم البلدان : فيف الريح . الديوان ٤٥ .

(٢) معجم البلدان : العرقوب ، واحد العراقيب ، وعرقوب الوادي : منحنى فيه وهو يوم ، وأصل الصلقة : الصياح الشديد ، ويعني الشاعر : وقعنا بهم وقعة في مراد .

(٣) معجم البلدان : خزاز والديوان ٩٤ ، يفتخر بإعانة قومه بني نزار في محاربة اليمن .

(٤) معجم البلدان : السُّلان : يوم بين ضبّة وبني عامر ، ويوم قبله بين معد ومذحج ، وكلب يومئذ معديون .

(٥) معجم البلدان : خزاز .

(٦) اللسان : قين .

إلا إنّهم استوردوها من بلاد أخرى كالهند ، فقال عروة بن الورد :

بكل رقاق الشفرتين مهنّـدٍ وَلَدْنٍ من الخطيِّ قد طرّ أسمرا [1]

ونسبوها إلى المشارف [2] ، قال عمرو بن معدي كرب :

قوم هم ضربوا الجبابر إذ بغَوْا بالمشرفيّة من بني ساسان [3]

ونسب الهذلي السيوف إلى أريحا ، فقال :

فلَيْتُ عنه سيوفَ أرْيَحَ ، إذ باء بكفّي ولم أكدْ أجِدُ [4]

وقد أكثروا من وصف السيوف والفخار بها ، قال علقمة بن عبدة :

مظاهرُ سربالي حديدٌ عليهما عقيلاً سيوف مِخْذَمٌ ورَسوب [5]

ووصف فعلها وأثرها خبّال بن شبّة بن غيث مخزوم بن ربيعة بن مالك العبسي :

أبني جذيمة نحن أهل لوائكم وأقلّكم يوم الطّعان جبانا

كانت لنا كرمَ المواطن عادةٌ تصلُ السيوفَ إذا قصرن خُطانا

---

(١) الديوان ٥٤ ، شفرة السيف : حدّه ، مهند : منسوب إلى الهند ، وتضرب السيوف الهندية العتيقة في «كلة» الهندية ، بها قلعة فتسمى السيوف القلعية ، ينظر : معجم البلدان : القلعة ، رآها مسعر بن مهلهل الشاعر في رحلته إلى الصين ، والقلعة : قرية دون حلوان العراق ، تنسب إليها السيوف أيضا. و قناة لدنه : لينّة المهزّة ، الخطيّ المنسوب الى بلدة الخط في البحرين ، طَر : بمعنى سَنّ ، حدّد ، ومنه السنان ، الأسمر : صفة الرمح المقوّم ، الذي تؤخذ قناته من أغصان يابسة قوية عندما تقوّم تصبح سمراء . .

(٢) معجم البلدان : المشارف جمع مشرف ، قرى قرب حوران ، منها بصرى الشام ، تنسب إليها السيوف المشرفية ، وقيل هي باليمن ، وسيف البحر : شطه ، وما عليه من المدن يقال لها المشارف .

(٣) معجم البلدان : مُكران .

(٤) معجم البلدان : أريح ، لغة في أريحا عبرانية ، سميت بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح ، عليه السلام ، وفلى بالسيف : قطع وضرب.

(٥) معجم البلدان : مناة «ومناة الثالثة الأخرى » النجم ٢٠ ، كانت لهذيل وخزاعة ، هدمها علي- كرّم الله وجهه – سنة ٨هـ ، وأخذ سيفي الحارث بن أبي شمر الغساني ، كان قد أهداهما لها ، فوهبهما النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ . والمخذم : السيف القاطع ، ورسوب : ماضٍ – اللسان : خذم ، رسب .

وبهنّ أيام المشقّر والصّفا ومحلّم يبكي على قتلانا [1]

٢- الرمح :

كانت الرماح تدخل بلاد العرب من الهند ، ونسبوها إلى الخط [2] على ساحل البحرين ، حيث تقوّم فيها ، كما في قول عروة بن الورد :

بكل رُقاق الشفرتين مهنّدٍ ولَدْنٍ من الخطّيّ قد طُرَّ أسمرا [3]

واشتهرت رُدينة من العرب بتقويم الرماح ، وهي امرأة السمهري كانا يقوّمان القنا بخط هجر [4] ، قال الأعشى يفتخر بظفر تغلب على شيبان ومُشِيداً بدور الرماح السمهريّة :

ونحنُ غداة العُسْر يوم فُطيمةٍ منعنا بني شيبان شُرْبَ مُحلّمِ

جبهناهمُ بالطعن حتى توجّهوا وهُنّ صدور السمهريّ المقوّم [5]

وأجودها سهام يثرب وبلاد ، قال الأعشى :

منعتْ قياسُ الماسخيّة رأسَه بسهام يثرب ، أو سهام بلاَدِ [6]

وبرعوا في وصفها والفخار بها ، قال النابغة يذكر ردينة :

أثيثٌ نبتُهُ ، جَعْدٌ ثـــراهُ به عوذُ المطافلِ والمتالي

---

(١) معجم البلدان : محلم وعين محلّم نسبت العين إليه ، وهو محلّم بن عبدالله زوج هجر بنت المكفف من الجرامقة ، وقيل نهر بالبحرين .

(٢) معجم البلدان : الخط .

(٣) الديوان ٥٤ .

(٤) اللسان : ردن

(٥) معجم البلدان : فُطيمة ، موضع بالبحرين كانت به وقعة بين شيبان وضُبيعة وتغلب من ربيعة ، الديوان ٢١٦ .

(٦) معجم البلدان : بَلاد ، بلد قرب حجر اليمامة ، والماسخيّة : نسبة إلى صانعها ماسخة من أزد السراة ، لكثرة الشجر بالسراة ، اللسان ، مسخ ، والديوان ٦٧ .

يكشِّفْنَ الالاءَ ، مزيَّنـــاتٍ — بغابِ رُدينة السُّحمِ الطِّوالِ[1]

٣- القسي :

وهي أعواد من الخَشَب تتقوّس كالهلال ، يثبت فيها وتر من جلد الإبل تُرْمَى بها السهام ، وكانت تُراش لتكون أسرع مضياً ، قال لبيد :

حتى يعودَ من البلاء كأنّه — في الكفّ ، أفْوَقُ ناصلٌ معصوب

مُرُطُ القِذاذ فليس فيه مصنعٌ — لا الرّيش ينفعُه ، ولا التعقيب[2]

ونُسبتْ القسيّ إلى ماسخة رجل من أزْد السراة لكثرة الشجرة بالسراة ،

قال الأعشى :

منعتْ قياسُ الماسخيّة رأسَه — بسهام يترب أو سهام الـوادي[3]

٤- الدروع :

هي أردية الحديد المنسوج حلقات متصلة ، ترد الطعنات وتقي لابسَها السهام ، وتغطّي الصدر والظهر كالقميص ، قال المثقّب :

ألا من مبلغ عدوانَ عنّي — ومايُغني التوعّد من بعيدِ :

فإنّكَ لو رأيتَ رجال أَبْوَى — غداة تسربلوا حلَق الحديد[4]

نسبوها إلى سيدنا داود وسليمان ، عليهما السلام ، قال حُريث بن سلمة :

فتلك سرابيل ابن داود بيننا — عواريّ والأيّام غير قصار[5]

---

(١) معجم البلدان : ردينة ، امرأة تنسب إليها الرماح ، وقيل قرية بها رجل يثقّف الرماح ، والأثيث : الكثيف ، جعد الثرى : ترابه مليد بالماء ، المطافل : التي لها أطفال ، والعَوْذ : التي تنتج حديثا ، غاب ردينة : الرماح ، شبّه قرونها بالرماح الطويلة ، ويكشّفن : يأكلن ، الديوان ١٠٢ .

(٢) اللسان : ريش ، القذاذ : ريش السهم مفرده قذة ، التعقيب : يشد عليه العقب وهي الأوتار ، والفُوق : موضع الوتر من السهم ، والأفوق : مكسور الفوق ، الناصل : لا نصل فيه ، المعصوب بعصابة بعد الكسر ، وسهم مرط : بدون قُذذ .

(٣) معجم البلدان : يَثْرِب ، والقوس جمعه أقوس ، وأقواس وأقياس وقياس ، وقسيٌ .

(٤) معجم البلدان : أبوى : اسم قريتين تنسبان إلى طسم وجديس على طريق البصرة إلى مكة ، والسربال : القميص أو الدرع ، اللسان : سربل ، درع .

(٥) معجم البلدان : كُلَيَّة ، واد بعلاة اليمامة لبني تميم .

ونسبوها أيضاً إلى سلوق ، قال النابغة :

تقدّ السلوقي المضاعفَ نسجَه   وتُوقد بالصُّفاح نارَ الحُبَاحب [1]

وافتخروا بها ووصفوها بالطول ، قال عمرو بن كلثوم :

علينا كل سابغة دِلاص   ترى فوق النطاق لها غضونا [2]

وقال امرؤ القيس :

ومشدودة السكِّ ، موضونةً   تضاءَلُ في الطَّيِّ كالمِبْرد [3]

ونسبت إلى رجل كان يعملها ، حيث كان لعليّ - كرم الله وجهه - الحطميّة ، التي تكسّر السيوف [4] .

٥- المغفر :

أو البيضة ، والقونس ، يَقُون بها رؤوسهم من السيوف . والترس والمجنّ والدرقة بمعنى واحد ، يعمل من الجلود القوية للوقاية من وقعات السيوف ، قال عمرو بن كلثوم :

علينا البَيْض واليلبُ اليماني   وأسياف يَقُمْنَ وينحنينا [5]

وقال قيس بن الأسلت :

وأضرب القونسَ يوم الوغى   بالسيف لم يقصر به باعي [6]

صَدْقٍ حسامٍ وادقٍ حدّه   ومجنأٍ أسمرَ قرّاع

فكان للعرب أسلحة يستخدمونها في حالات الهجوم ، كالسيف والرمح والقوس والسهام ، وأسلحة دفاعية ، كالدرع والترس ، والمغفر .

---

(١) معجم البلدان : سلوق قرية باليمن والديوان ٢٠ ، تقدّ : تقطع الحُباحب : ذباب يقال له سراج الليل ، الصفائح : الحجارة وهو يشيد بالسيوف الماضية .

(٢) معجم البلدان : دلاص : كورة غربي النيل ، وغضون الدرع : مثانيه ، الدلاص : البراقة ، والديوان ٩٩ .

(٣) الديوان ٢٤٣ ، مشدودة السك : تداخل بعضها في بعض ، وضن : ثني ، إذا طويت تصير كالمبرد .

(٤) اللسان : حطم .

(٥) البيض : جمع بيضة الحديد ، واليلب : الترس تعمل في اليمن من جلود الإبل ، والديوان ٩٩ .

(٦) قيس لقب أبيه الأسلت كان قائد الأوس يوم بعاث ، أيام العرب ٨٤ والقونس : مقدم بيضة السلاح أو أعلاها ، وادق الحد : ماض في ضريبته ، المجنأ : الترس ، سمي لانحنائه ، قراع صلب سمّي لصبره على القرع .

الخيل :

لقد افتخروا بها وأعزّوها ؛ لأنّهم يستخدمونها في كرّهم وفرّهم ، قال الأخنس بن شهاب التغلبي :

ترى رائدت الخيل حول بيوتنا   كمعزى الحجاز ما أعوزَتْها الزرائب (١)

وقال الصمة بن الحارث الجشمي :

ألا أبلغ بنيّ ومن يليهم   بأنّ بيانَ ما يبغون عندي

جلَبْنا الخيل من تثليث ، إنّا   أتينا آل صارات فرَقْدِ (٢)

وقال زيد بن مهلهل الطائي :

جلبنا الخيل من أجأ وسلمى   تخبُّ نزائعاً خببَ الرِّكاب (٣)

ويجرون السباق تدريبا للكر والفر ، قال مالك بن نويرة :

قلت لهم والشنءُ منّي بادٍ :   ماغركم بسابق جواد (٤)

ومن إعزازهم لها أنّهم سمّوها ، ونسبوها كما ينسبون رجالهم ، قال مالك :

جلا عن وجوه الأقربين غبَارَه   نَصابٌ غداةَ النّقع نقع البلائق (٥)

كان العرب في طريقهم الى المعركة يركبون الإبل ، ويقودون الخيل ليريحوها ، وجلب الخيل لا يعطي دلالة الركوب ، قال عمرو بن كلثوم :

---

(١) معجم البلدان : قطنة .

(٢) معجم البلدان : صارات جبل ، وأبو دريد المشهور عمّر أربعمائة وخمسين سنة .

(٣) معجم البلدان : أجأ ، جبل سمّي باسم رجل ، وسمّي سلمى امرأة ، وهو من العماليق عشق سلمى ، كان يجتمعان عند الحاضنة العوجاء ، حتى نذر بهما أخوة سلمى وعددهم خمسة ، وزوجها فهربوا الثلاثة ، فلحقوا سلمى على الجبل وقتلوها فسمّي ، ولحقوا العوجاء على هضبة بين الجبلين فسمّيت ، ولحقوا أجأ بالجبل فقتلوه فسمّي . بين الجبلين وفدك ليلة ، وبين خيبر خمس ليال .

(٤) معجم البلدان : البثّاء ، ماء في ديار بني سعد ، نزل مالك على بني سعد فسابقهم على فرس له يقال له نصاب فسبقهم فظلموه.

(٥) معجم البلدان : البلائق ، موضع في بلاد بني سعد ، جرى سباق نصاب عليه .

ونحن الحابسون بذي أُراطى تسفُّ الجِلّةُ الخورُ الدَّرينـــا [1]

الأسرى والسبايا

وكان العرب يصطحبون النساء في الحروب ، فيستبسل الرجال حذاراً على النساء من السبي ، قال عنترة :

ونحن منعنا بالفروق نساءَنا نطرِّفُ عنها مُشعلات غواشيا [2]

ويكون السبي أشدَّ عاراً في حالات الفرار من ساحة القتال ، قالت سلمى بنت المحلّق تعيّر مالك بن كعب والطفيل :

كيف الفخَارُ وقد كانت بمعترك يوم النِّسار بنو ذبيان أربابا ؟

لم تمنعوا القوم ، إذْ شلّوا سوامَكمُ ولا النساء وكان القوم أحزابا [3]

ويفتخر الفريق الرابح بالسبايا ، قال شاعر من بني خصفة بن قيس بن عيلان في ذمِّ إياد :

إياداً ، يوم خانق ، قد وطِئْنا بخيلٍ مضمَّراتٍ قد برينا

فأُبْنا بالنِّهاب وبالسبايا وأضحَوْا في الدِّيار مجدّلينا [4]

فيفخر الشعراء بأخذ الأسرى من الرجال أيضاً ؛ لأنه دليل محسوس على النصر ، إذ يُساقون في امتهان ، ويقيّدون لمنعهم من الحركة ، قال حبيب بن خالد بن المضلّل الأسدي :

فنحن فوارس يوم الهبير ويوم الشُّعيبة نعم الطلبْ

فجئنا بأسراكم في الحبال وبالمردفات عليها العُقَبْ [5]

---

(١) معجم البلدان : أراطى : ماء على ستة أميال من الهاشمية ، شرقي الخزيمّة ، ويوم أراطى من أيام العرب والديوان ٩٦ .

(٢) معجم البلدان : الفروق ، عقبة قرب هجر ، كان فيه يوم لبني عبس على بني زيد مَناة بن تميم ، المشعلات : المنتشرة ، الغواشي : الموجودات حول الحي ، الديوان ٧٩ .

(٣) معجم البلدان : نسار ، ماء لبني عامر بن صعصعة ، سبتْ بنو أسد نساء كثيرة من ذبيان .

(٤) معجم البلدان : خانق ، بقيت إياد مع إخوتها بتهامة حتى وقعت حرب فتظاهرت مضر وربيعة ابنا نزار على إياد فالتقوا بخانق ، فخرجت إياد من تهامة .

(٥) معجم البلدان : الهَبير ، موضع بنجد ، كانت به وقعة قديمة .

وقد يُقيّد الأسير لأنّه عرضة للهرب ، قال أبو خراش الهذلي في امرأة عجوز هربت من الأسر :

وسدّتْ عليه دَوْلجاً ثَم يمّمتْ ... بني فالج بالليث أهل الحرائم

وقالت له : دَلّجْ مكانَك إنني ... سألقاكَ إنْ وافَيْتَ أهلَ المواسم [1]

وامتهان النساء يترك أثرا في النفوس ، قال ابن شُعلة الفهري :

ولله عينا من رأى من عصابة ... غوث غيٍّ بكر يوم ذات نكيف

أناخُوا إلى أبياتنا ونسائنا ... فكانوا لنا ضيفاً كشرّ مَضيف [2]

ومنهم من يتزوج السبيّة ، لكنّها لا تنسى قومها كحال سلمى مع عروة بن الورد ، فقال :

تحِنُّ إلى سَلمى بحُرٍّ بلادها ... وأنت عليها بالملا كنتَ أقدرا

وكيف ترجّيها وقد حيل دونها ... وقد جاورتْ حيًّا بتيمنَ مُنكرا [3]

تحلُّ بوادٍ من كراءٍ مضلّة ... تحاول سلمى أن أهابَ وأحصرا

وبعضهم كان يمنّ على الأسير فيطلقونه ، بعد أن يجزّوا ناصيته ويحتفظون بها ، قال شاعر من يشكر :

وفارسَ طِرفِه هبّودَ نِلْنا ... ببرقة ، بعد عزٍّ واقتدار [4]

ويفخرون بإطلاق الأسرى إذا شفع بهم وسيط ، قال أبو براء عامر بن مالك :

ألم ترني رحلتُ العيسَ ، يوما ... إلى أوس بن حارثة بن لامِ

وفي أسرى هوازن ادركتْهم ... فوارسُ طيٍّ ، بلِوى بَرامِ

---

(١) معجم البلدان : الليث ، موضع في ديار هذيل ، أسرها أبو خراش وسلّمها إلى شيخ في الحي فهربت منه ، والدولج : البيت الصغير ، الحرائم : البقر ، ذلج : أكبّ على مائه .

(٢) معجم البلدان : نكيف ، موضع ناحية بلملم بمكة ، ويوم نكيف لقريش على كنانة ، بقيادة عبدالمطلب .

(٣) معجم البلدان : كراء ، موضع ببيشة كثير الأسد ، الملا : الأرض الواسعة ، موضع ، وتيمن : أرض في شق اليمن ، الديوان ٥١.

(٤) معجم البلدان : برقة ، موضع كان فيه يوم ، أسرَ بردُ اليشكري شهابَ فارس هبّود من بني تميم ، فمنّ عليه .

تقرّبَ ما استطاع أبو بُجيـــر   وفكَّ القومَ من قبل الكلام [1]

ووهب الكلبيُ الأعشى ، وهو أسير ، لشريح بن السموءل ، فقال الأعشى يمدح شريحا :

شريحُ ، لا تتركَنّي بعد ما علقَتْ   حبالَكَ اليوم بعد القدِّ ، أظفاري

كنْ كالسموءل ، إذ طاف الهُمامُ به   في جَحْفلٍ كهزيع الليل جرّار [2]

واستعطف عبيد بن الأبرص جُحْرَ الكندي على قومة الأسديين ، أسرهم وضربهم بالعصى حتى سموا عبيد العصا ، فقال :

حِلاً ، أبيت اللعن ، حِـــ   ـلاً إنّ فيما قلتَ آمَــهْ

في كلّ واد بينَ يثـــ   ـربَ والقصور إلى اليمامه

عانٍ يُساق به وصـــو   تُ محرّق وزقاءُ هامَـه [3]

وأكبر قيمة دفعت في فداء أسير أربعمائة ناقة ، قدّمتها أمّ بسطام فداء لابنها الذي أسره عتيبة بن الحارث اليربوعي يوم الغبيط ، فقال الشاعر :

رجَعْنَ بهانئ ، وأصبنَ بِشراً   وبسطام يعضُّ به القيود

ثم جزّ ناصيته وأطلقه بعد أن عاهده ألاّ يغزو بني شهاب . [4]

الثأر :

بعد أن ينتهي القتال يترك مآسي القتلى والجرحى والأسرى فيحقد المهزوم ، ويدوم حقده ، ومن شدّة حرصهم للأخذ بالثأر ، أنّهم كانوا يهجرون النساء والطيب والشرب ؛ لأنّ التنعّم لا يليق بموتور ، فيحرّض الشعراء الموتورين على الأخذ بالثأر ،

---

(١) معجم البلدان : برام ، جبل ببلاد سليم ، أغار أوس بن حارثة بن لأم الطائي على هوازن في بلادهم فسبى ، فقصده أبو براء فأطلقهم له وكساهم .

(٢) معجم البلدان : الأبلق ، حصن السموءل ، يضرب المثل : أوفى من السموءل ، قدّم ابنة وفاء بالأمانة ، والكلبي : هو عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن جناب ، لقي الأعشى فأخذه في جملة الأسارى ؛ لأنّه هجاه ، اللسان : عبد ، والديوان ٨٨

بنو الشهر الحرام فلست منهم   ولست من الكرام بني العبيد

(٣) معجم البلدان : يثرب ، قرية باليمامة ، وقيل موضع في بلاد بني سعد ، والحل : مايكفر به اليمين ، الآمة : العيب ، والقصور : قصور الحيرة للمناذرة ، المحرق : الذين أضرم اللخميون النار فيهم ، والهامة : صوت البومة . الديوان ٩٣ .

(٤) معجم البلدان : الغبيط ، أرض لبني يربوع دون مجاشع ، وبنو شهاب هم قوم عتيبة .

قال طرفة :

أعمرو بن هند ما ترى رأي معشر ... أماتوا أبا حسان جاراً مجاورا
فإنّ مراداً قد اصابوا حريمه ... جهاراً وأضحى جمعهم لك واترا
ولا يمنعَنْك بُعدهم أن تنالهم ... وكلّفْ معداً بعدهم والأباعرا
ولا تشربنّ الخمر إن لم تَزرهُمْ ... جماهيرَ خيل يتّبعنَ جماهرا [1]

وقال قيس بن الخطيم :

فلما هبطنا قال أميرُنا : ... حرامٌ علينا الخمرُ ما لم نضارب
فسامحه منّا رجالٌ أعزّة ... فما رجعوا حتى أحلّتْ لشارب [2]

ومن فجع بفقد قرابة لا ينساه ، قال مُطير بن الأشْيَم :

تذكّرُ ذِكرى لابن عمٍّ رُزِئته ... كأنّي أراني بعده عشت أجذما [3]

ولا يقبلون الدية ؛ لأنها دلالة الضعف عندهم ، قالت كبشة أخت عمرو بن معدي كرب :

وأرسلَ عبدالله ، إذ حان يومُه ... إلى قومه : لا تعقلوا لهم دمي [4]
ولا تأخذوا إفالاً وأبكراً ... وأتركَ في قبرٍ بصعدة مظلم

وقال عمرو بن معد يكرب :

وهم قتلوا بذي قَلَعَ ثقيفاً ... فما عقلوا ولا فاؤوا بزيد [5]

وأجتنب امرؤ القيس الاغتسال والشراب حتى يدرك ثأر أبيه وعمومته ، فقال :

أبعدَ الحارث الملك بن عمرو ... وبعد الخير حُجْر ذي القباب

(١) معجم البلدان : القضيب ، واد في أرض تهامة ، ويوم بين الحارث وكندة ، قتل المكشوح المرادي عمرو بن أمامة ، ابن المنذر ، فحرّض طرفةُ عمرو بن هند (أخاه) ليأخذ بثأره ، الموتور : الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .

(٢) معجم البلدان : حرث ، موضع نواحي المدينة ، به إحدى وقائع بعاث ، وأميرهم حضير الكتائب أبو أسيد بن حضير .

(٣) معجم البلدان : أرْسَ ، موضع .

(٤) معجم البلدان : صعدة ، ماء لعمرو بن كلاب ، واللسان : عقل ، عقل له دمَ فلان : ترك القَوَد للديّة ، والقود : القصاص ، وعقله : أدّى جنايته ، والإفال : صغار الإبل .

(٥) معجم البلدان : قلَع ، موضع .

أرجّي من صروف الدهر لينا | ولم تغفُل عن الصمّ الهضاب

كما لاقى أبي حُجْرٌ وجدّي | ولا أنسى قتيلاً بالكلاب [1]

وبلغه مقتل أبيه وهو بدمّون ، فقال :

تطاول الليل عليّ دمّون | دمون إنّا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبّونْ [5]

وقال أيضا :

أتاني وأصحابي على رأس صَيْلَعٍ | حديثٌ أطارَ النومَ عنّي فأقعما

فقلت : لعجليّ بعد ما قد أتى به : | تبيّنْ وبيّنْ لي الحديثَ المجمجما

فقال : أبيتَ اللعن ، عمرو وكاهل | أباحوا حِمى حُجرٍ فأصبح مسلما [2]

وكانوا يرجئون البكاء حتى الثأر ، لكن وقع المفاجأة والعاطفة ، يأبى إلاّ أن تبكي النساء وتشق الجيوب ويحزن الرجال ، قالت ميّة بنت عتيبة ، أم البنين ، ترثي أباها :

على ابن ميّةَ فانعياه | يشق نواعم الشعر الجيوبا [3]

وقال لبيد :

ولقد بكتْ يوم النخيل وقبله | مرّان من أيّامنا وحريم [4]

وقال امرؤ القيس :

ألا يا عين بكّي لي شنينا | وبكّي لي الملوكَ الذاهبينا

---

(١) معجم البلدان : كلاب وقعة بين شرحبيل و بكر بن وائل وأخيه سلمة وقيس ، فقُتل شرحبيل ، والحارث : جدّه ، وقتل في الكلاب أبوه حجر وأخوه ، والقتيل : يعني عمه شرحبيل بن عمرو ، الديوان ٣٨٩ .

(٥) معجم البلدان : دمون ، موضع باليمن كان يشرب فيه امرؤ القيس فجاءه نعي أبيه فقال : اليوم خمر وغدا أمر ، ضيّعني صغيرا وحمّلني دمه كبيرا ، الديوان ٢٢٥ . والشعر والشعراء ٥٠ ، ومجمع الأمثال ٢/٤١٨ .

(٢) معجم البلدان : صيلع ، جبل كثير البان ، عليه وردَ خبر مقتل أبيه ، وأقعم : مات ، العجلي هو الأعور من بني عجل ، والمجمجم : غير مفهوم ، وعمرو هو بن قعين بن ثعلبة بن أسد ، الديوان ٢٢٦ .

(٣) معجم البلدان : لعباء لغطفان في الحجاز ، وقيل أرض لبني زنباع من كلاب ، وأبوها قُتل يوم خو ، قتله بنو أسد .

(٤) معجم البلدان : نُحيل ، عين قرب مكة ، ويوم من أيامهم .

ملوك من بني حجر بن عمرو   يساقون العشيّة يُقتلونا [1]

ويؤكدون بطلب الثأر ، قال عامر بن الطفيل :

ولأثأرنّ بمَالكٍ وبمالكٍ   وأخي المرُوّات الذي لم يُسند [2]

وقال أيضاً :

إنا لنعجل بالعبيط لضيفنا   قبل العيال ، ونطلب الأوتارا [3]

كان أرقم بن عبيد بن ثعلبة قد أحرق منفوحة والمحرّقة ؛ لخلاف بينه وبين أخوته ، فقام بنو سعد بن ثعلبة فأحرقوا الشطّ ثأراً لمنفوحة ، فقال الأعشى :

وأيامَ حجرٍ إذْ تحرّقَ نخلُه   ثأرْناكُمُ يوماً بتحريق أرقم

كأنّ نخيل الشطّ عند حريقه   مآتم سودٍ سِلّبتْ عند مأتم [4]

وقال ظالم بن البراء الفقيمي :

قتلنا ، يوم ذلكم ، ببشر   فكان كفاء مقتله حكيم [5]

ولا يهدأ لهم بال حتى يثأروا ، قال دريد :

قتلت بعبد الله خير لداته   ذؤاب بن أسماء بن زيد قارب

وعَبْساً قتلناهم بجوّ بلادهم   بمقتل عبدالله يوم الذنائب [6]

---

(١) معجم البلدان : دير بني مرينا ، بظاهر الحيرة ، أغار قيس بن سلمة بن الحارث عمرو بن حجر على ذي القرنين المنذر بن النعمان حتى أدخله الخورنق ، وبعد سنة ثأر بغارة عليهم بذات الشقوق وأصاب اثني عشر شابا وأفلت امرؤ القيس ، وأمر بقتلهم الرسول عند جعفر الأملاك وهو موضع دير بني مرينا ، الشنين :قطران الماء ، يريد الدموع ، الديوان ٢٨٥ .

(٢) معجم البلدان : ضرغد ، ماء لبني مرة بنجد ، وموضع لغطفان ، لم يسند : لم يدفن ، الديوان ٤٠ .

(٣) معجم البلدان : خُوي ، يوم بين تميم وبكر بن وائل ، قتل شيبان بن شهاب يزيدَ فارس تميم ، الديوان ٥٢ .

(٤) معجم البلدان : المحرّقة ، قرية البادية في اليمامة لبني زيد وقطن بن يربوع من حنيفة ، والبادية أسكنها عبيد بن ثعلبة عمومته زيد بن يربوع وهو بقي في حَجْر ، ولمّا هلك عبيد اقتسم ابناؤه حجرا ولم يسهموا الأرقم بسبب غيابه عند أخواله عنزة بن أسد بن ربيعة ، فحرّق قرية البادية ،ثم أحرق منفوحة فقام بنو سعد بن ثعلبة فأحرقوا الشطّ ثأرا ،والشط في حجر اليمامة، الديوان ٢١٦.

(٥) معجم البلدان : أراطى ، من أيام العرب .

(٦) معجم البلدان : صلعاء .

وقال مهلهل :

شفيت نفسي وقومي من سراتهم يومو الصعاب ووادي حاربىَ ماس

من لم يكن قدَ شفى نَفساً بقتلهم مني فذاق الذي ذاقوا من الباس (١)

ولم تكن القرابة لتحول دون الثأر ، قال قيس بن زهير :

تعلّمْ أن خير الناس ميتٌ على جفر الهَباءة لا يريم

ولكنّ الفتى حَمَلَ بنَ بدرٍ بغى والبغيُ مرتعه وخيم (٢)

الصلح والسلام :

بعد أن تترك الأيامُ والوقعات وبلاتها يأسَى بعض عقلائهم مما يرى نتاج الحياة الدامية ، وصلات تنقطع ، فتميل نفوسهم الى الصلح ، فتُقدّر ديّات القتلى من الفريقين، أو تسلّم القبيلة القاتل للقصاص ، كوساطة الحارث بن عوف وهرم بن سنان المرّي بين عبس وذبيان ، فقد صور زهير وبلاتها أحسن تصوير ، وأشاد بالوساطة فقال :

يميناً لنعم السيدان وجدتُما على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقّوا بينهم عطرَ منشم (٣)

كما توسط حرب بن أميّة بين قريش وكنانة وبني عامر في اليوم الثاني من حروب الفجار الأول ، فاحتمل دماء القوم ، وأرضى بني عامر (٤) بسبب الاعتداء على امرأة منهم بسوق عكاظ .

وقدم ابنه أبا سفيان رهينة لقيس عقب يوم الحريرة ، ثم تداعو إلى الصلح على أنْ يعدّوا القتلى ، فوجدوا قريشاً وكنانة قد أفضلوا على قيس عشرين رجلا ، ولما رأتْ قيس

---

(١) معجم البلدان : الصُّعاب ، جبل بين اليمامة والبحرين ، ورمال بين البصرة ، واليمامة ويوم من أيام بكر وتغلب ، قُتل فيه الحارث بن همام بن مرة بن شيبان .

(٢) معجم البلدان : جفر ، وأيام العرب ٢٦٥ .

(٣) معجم البلدان : سحيل ، هو الغزل الذي لم يبرم ، وموضع بين الكوفة والشام كان النعمان بن المنذر يحمي العشب لنجائبه ، ومنشم : امرأة عطارة من همدان كانوا إذا تطيبوا من ريحها اشتدت الحرب ، فصارت مثلا في الشر . اللسان – نشم وسحل ، صرفه للشعر الديوان ١٠٣

(٤) ينظر ابن الأثير ١/٣٥٩ ، والأغاني ١٩/٧٤ .

رهائن قريش بأيدهم عفوًا عنهم فأطلقوهم ، ووضعوا القتال .[1]

وقال الحارث بن حلزّة بشأم صلح عمرو بن هند بين بكر وتغلب :

واذكروا حلفَ ذي المَجَاز وما قـدّ ... م فيه العهودُ والكفلاء

زعموا أن كلّ من ضرب العَيْـــــ ... رَ موالٍ لنا وأنا الولاء [2]

وقال حسان يخاطب أبا سفيان في شأن أبي أزيهر الدوسي الذي قتله الوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان أبو سفيان صهره فأراد حقن الدماء وأُدِّيَ عقله ولم يُطلب بدمه . فقال :

غدا أهل حِضنَيْ ذي المجاز بسُحْرةٍ ... وجار ابن حرب بالمحصّب ما يغدو

كساك هشامُ بن الوليد ثيابَه ... فأبلِ ، وأخلفْ مثلَها جُدُدًا بعدُ [3]

ويتدخل حرب بن أمية بين المتخاصمين ، ليحلّ الوئام بدل الخصام ، وما ذلك إلا لتواجدهم في بقعة آمنة فيأمن أهلها ، فلا تجال عليها السهام ، ولم تُسْبَ قرشية قط ، ولم يعد غريبا أن يدعو حرب بن أمية الحضرميّ لينزل مكة ، مع أنه كان مفروضا عليه أن ينزل خارج الحرم ، فقال حرب :

أبـا مطر هلـمَّ إلـى صـلاحٍ ... ليكفيكَ النّدامى من قريـــــش

وتَنْزِل بلـدةً عـزّت قديمـاً ... وتأمنُ أن ينالك ربُّ جيـــــش

فتأمن وَسطهم وتعيش فيهم ... أبا مطر هُديتَ ، بخير عيـــش [4]

---

(١) معجم البلدان : الحريرة ، لقيس على كنانة وقريش ، وأيام العرب ٣٣٧ .

(٢) معجم البلدان : عَيْر ، العير ، هو الناتئ في بؤبؤ العين ويفسّر بالسيد والوتد والحمار ، وجبل بالمدينة .

وأنا الولاء : أي أصحاب ولائهم . وذو المجاز : موضع جمع به عمرو بكراً وتغلب ، وأخذ منهما الوثائق والرهون . الديوان ٢٥ ، ٤٥.

(٣) معجم البلدان : المجاز ، سوق بعرفة ناحية كبكب ، سمي لأن إجازة الحج كانت فيه ، كانتْ تقوم في الجاهلية ثمانية أيام أواخر ذي القعدة ، وحضناه : جانباه ، سُحرة : آخر الليل ، وأراد بثيابه : العار الذي لزمه بقتل صهره ، الديوان ١٥٢ .

(٤) معجم البلدان : مكة ، قيل أن مكة اسم المدينة وصلاح ، وبكة اسم البيت ، وقيل سميت بكة لازدحام الناس بها ، ومكة لأنها تذهب نخوة الجبابرة ، تمكّ : أي تهلك .

الحلف والجوار :

في هذه البيئة الدامِية كان لا بد من تَحَالُفٍ بين الأفراد والقبائل لتعزيز القوة في حماية الأرواح والأموال والأعراض .

وكانوا يوثقون الحلف تأكيدا للائتلاف القبلي بعقده على دم الذبائح التي كانت تعتر عند أصنامهم ، فيقطعون العهود والمواثيق ، كأنّ الدم رمز للعلاقة بين الحليفين إن لم يكونا من أصل واحد ، قال جعفر بن خلاّس الكلبي :

نفرتْ قلوصي من عتائر صُرِّعتْ ... حولَ السُّعَيْر يزوره ابنا يَقْدُم

وجموع يَذْكُرَ مهطعين جنابةً ... ما إن يجيز إليهم بتكلّم [1]

وأطلقوا على دم الحلف الذي تغمس فيه أيداي المتحالفين الأسحم ، قال الأعشى :

رضيعَيْ لبانِ ثَدْيِ أمٍّ ، تحالفا ... بأسحم داجٍ : عوضُ لا نتفرّق [2]

فكان من شأنهم إذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم في الدم توكيدا للتوثيق ؛ لأن أحالف من قسم اليمين ، وتحالفوا بمعنى تعاهدوا ، قال زهير :

ألاّ أبلغ الأحلاف عنّي رسالة ... وذبيان هل أقسمتم كل مُقْسم [3]

وما زالوا على ذلك إلى أن كان حلف المطيبين أو الفضول الذي شهده النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي روى عنه قوله : « شهدتُ في دار عبدالله بن جدعان حلفا لو

---

(١) معجم البلدان : سُعير لعنزة ، خرج جعفر بناقة فنفرت من عتيرة ، شاة تذبح في رجب عند الأصنام ، اللسان : عتر ، ويقدم ويذكر : ابنا عنزة ، رأى بني هؤلاء يطوفون حول السعير .

(٢) اللسان : سحم والأسحم : الدم تغمس فيه اليد عند التحالف . والديوان ١٤٨ ، والبيت في مدح المحلق ، الندى والمحلق متحالفان رضعا من ثدي واحد ، بعد المدح سارع الناس إليه يخطبون بناته .

(٣) اللسان : حلف ، ربب والديوان ١٠٤ ، الأحلاف : أسد وغطفان اللتان تحالفتا مع ذبيان على حرب عبس ، وهل بمعنى قد للتأكيد ، وقد يغمسون أيديهم بالرب لأنه أحمر ، ومنه سميت الرِّباب – من ضبّة – لأنها بمعنى العهد على الإجارة .

دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت » . [1]

ووثّقوا حلف الفضول بالماء ، إذا قدم رجل من اليمن مكةً ببضاعة فاشتراها رجل من بني سهم ولم يَعطه الثَمن ، فقال :

يـا لقصيّ لمظلـوم بضاعتـــه ... ببطن مكة نأى الدار والنفـــر

وأشعث محرم يقض حرمتـــه ... بين المقام وبين الركن والحجـــر [2]

وقد أشادوا بالأحلاف التي تحقن الدماء ، كما مدحهم زهير :

تداركتم عبسا وذبيان ، بعدما ... تفانَوْا ، ودقوا بينهم عطر منشم [3]

وينهى عن الأحلاف التي تقطع صلات الرحم ، قال أبو طالب :

جزى الله عنّا عبد شمس ونوفلا ... وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

بتفريقهم مـن بعـد وُدّ وألفـةٍ ... جماعتنا كيما ينالوا المحارمـا [4]

وكـان العـرب يتحـالفـون بالأيمان في حِجْـر الكعبـة ، مـا بـين المقـام إلى البـاب ، ويلتزمون بالدعاء والتعوّذ ما بين الحجر الأسود والباب .

وسمّي أحابيش قريش نسبة إلى جبل حُبشيّ ، حيث اجتمع بنو المصطلق وبنو الهَوْن بن خزيمة عنده وحالفوا قريشاً على أن يكونوا جميعا يدا على غيرهم [5] . وقد أعزّوا الحليف ، وافتخروا بحفظ الجوار وحمايته ، حتى أن حرب بن أمية قد دعا حليفَه

---

(١) معجم البلدان : اللسان : فضل ، وحلف ، وابن هشام ١/١٠٨ ، تحالف بنو عبد مناف وأسد وزهرة وتيم فغمسوا أيديهم في جفنة طيب ومسحوا الكعبة توكيداً فسموا المطيبين ، على أن لا يتخاذلوا ، كما تعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤهم جُمح وسهمْ ومخزوم وعديّ بن كعب حلفا آخر مؤكداً فسمّوا الأحلاف ، وحلف الفضول عقده المطيبون على التناصف والأخذ للضعيف من القوي وسمّي لأنه قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل : الفضل بن الحرث ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن فضالة .

(٢) ابن هشام ١/١١٠ باختلاف في الرواية .

(٣) اللسان : نشم والديوان ١٠٣ .

(٤) معجم البلدان : شعب أبي يوسف ، كان لعبد المطلب ، أوى إليه صلى الله عليه وسلم وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بني هاشم وكتبوا الصحيفة ، ابن هشام ١/٢٧٦ .

(٥) معجم البلدان : حُبشي جبل أسفل مكة به سميت أحابيش قريش ، والأحابيش أيضا أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في حرب بينهم وبين قريش قبل الإسلام واللسان : حبش .

يقيم عنده بجواره في مكة فقال :

أبا مطر هلمّ إلى صَلاحٍ ... ليكفيك الندامى من قريش [1]

وبلغ من شدة حفاظهم على العهود والمواثيق وحفظ الأمانة أن قدموا أرواحهم وما يملكون رخيصة لأجلها ، وخاضوا ساحات القتال ، كما فعل هانئ بن مسعود الشيباني حينما رفض تسليم سلاح النعمان بن المنذر وأهله إلى كسرى ؛ لأنها وديعة عنده ، وافتخر الأعشى بذلك :

همُ ضربوا بالحِنْو ، حنوِ قُراقرٍ ... مقدِّمةَ الهَامَرْزِ حتى تولّتِ

فصبّحهم بالحنو ، حنو قراقر ... وذي قارها منها الجنود ففُلّتِ

تناهتْ بنو الأحرار إذْ صبرتْ لهم ... فوارسُ من شيبانَ غُلْبٌ فولّتِ [2]

وقد تأثّر غير العرب بالبيئة العربية ونشأوا على حفظ الجوار والأمانة ، فيثيرهم الاعتداء ؛ لأن حماية الودائع دلالة القوة والهيمنة ، وإن قلّ عدد القبيلة ، فقال السموءل:

لنا جبل يحتلّه من نجيره ... منيعٌ ، يردُّ الطَّرفَ وهو كليلُ

هو الأبلق الذي سار ذكره ... يَعِزُّ على من رامَه ، ويطولُ [3]

ومدحه الأعشى بقوله :

---

(١) معجم البلدان : مكة ، وصلاح ، وبئر ميمون ، بأعلى مكة نسبت إلى حافرها ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرمي ، وكان ميمون حليفاً لحرب بن أمية بن عبد شمس ، واسم الحضرمي عبدالله بن عماد ، والحضرمي : نسبة إلى حضرموت ، اللسان : حضرم .

(٢) معجم البلدان : قار ، ذو قار : ماء لبكر بن وائل قرب الكوفة ، والحنو على ليلة منه ، فيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر والفرس ، والهامرز : من قادة كسرى في ذي قار ، وبنو الأحرار : الفرس ، وتناهوا : كفوا عن فعلهم المنكر ، والغُلب : جمع أغلب الفارس القوي ، الديوان ٤٥ .

(٣) معجم البلدان : الأبلق ، حصن السموءل بن عادياء اليهودي ، مشرف على تيماء ، سمي بالأبلق ؛ لأن في بنائه بياض وحمرة ، قالت العرب : أوفى من السموءل ، أودع امرؤ القيس أدراعه المائة عنده وهو متوجه إلى قيصر مستنجده على قتل أبيه ، فبلغ خبرها ملك غسان وامتنع من تسليمها ، وقبض على ابنه خارج الحصن ، وهدده بقتله ، فقال السموءل : ما كنت لأخفر ذمتي ، فضرب أمامه.

فاختار أدرعَه كيلا يُسَبُّ بهـا ولم يكن وعدهُ فيهـا بخـتّـار [1]

ويعتبرون رد الجوار من القضايا غير المحمودة في عرفهم ، قال الأعشى :

زعمتْ حنيفةُ لا نُجيرُ عليهمُ بدمائهمْ وبأنّها ستُجيـرُ

أبلغْ بني قيس ، إذا لاقيتهُمْ والحيُّ ذُهلاً بكم تعييـرُ ؟

كذبوا ، وبيتِ الله ، يُفْعلُ ذاكم حتى يوازي حَرْزَماً كنديـرُ [2]

ومن يخذل الجوار ، وحقوق الأقربين يتميز باسم لا يفارقه ، فسمّوا قبيلةً جنباً ؛ لأن أفرادها جانبوا أخاهم صداء ، وحالفوا سعد العشيرة ، وحالفت صداء بني الحارث بن كعب [3].

ثالثا : الجانب الاقتصادي

معيشة العرب :

لم يكن العرب يعيشون في الجاهلية على نمط واحد ، فقد تعددت ظروف المعيشة في حياتهم لتنوع بيئتهم ، فمن المعلوم أن طبيعة بلادهم لم تكن موحّدة التكوين ، بل فيها الأرض السهلة والغليظة ، والساحل والصحراء ، والبادية والحاضرة ؛ لهذا تعددت معيشتهم ، ففي مكة فقد عاش أهلها على التجارة ، حتى غدت مدينة تجارية كبرى ، بها البيت العتيق يعظّمونه ويحجونه من كل صوب ، ويقيمون الأعياد والأسواق في مواسمها [4] .

وكان هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب يحضر البُرّ من الشام ليطعم الجوعى ، قالت ابنته :

عمرو العُلى هشم الثريد لقومه ورجالُ مكةَ مسنتونَ عِجاف [5]

---

(١) معجم البلدان : الأبلق ، الديوان ٨٩ ، والختّار : الذي يغدر ، ومجمع الأمثال ٢/٣٧٤ .

(٢) معجم البلدان : كندر ، جبل وحرزم : من أعمال الجزيرة ، الديوان ٩٢.

(٣) معجم البلدان : جنب ، ماء لبني العدويّة باليمامة ، ومخلاف جنب ينسب إلى القبيلة وهي : منبه ، والحارث ، والعلي ، وسنحان ، وشمران ، وهفّان ، يقال لهؤلاء الستة جنب .

(٤) معجم البلدان : عكاظ ، ومجنّة ، ومجاز .

(٥) معجم البلدان : مكة ، إذ كان يسمى عمراً ، وينسب صاحب اللسان ، الشعر إلى مطرود الخزاعي ، اللسان : هشم .

ومات بغزة وهو في مقتبل عمره أثناء قيامه بذلك ، قال مطرود الخزاعي :

مات النّدى بالشّام لّما أنْ ثوى فيه بغزّةَ هاشم لا يبعُدِ [1]

وقد اشتهر أبو سفيان بن حرب بالتجارة إلى الشام أيضا ، حيث كان يمتلك قرى بالشام يجعلها لتخزين البضائع [2] .

وقد سمّوا اليمن بلاد العرب السعيدة لخصب أراضيها ، قامت بها حضارة عريقة ، ومما يدل على خصبها قول لبيد وهو يفتخر بكرم أهله :

فالضيفُ والجار الجنيبُ ، كأنّما هبطا تَبالةَ مُخْصِباً أهضامُها [3]

وازدهرت بالتجارة والصناعة والزراعة ، فوُصف أهلها حتى قيل فيهم : أنهم ما بين ناسج بُرْد ، ودابغ جلد [4]. وتميزت البرود اليمانية عن غيرها ، وإلى ذلك أشار امرؤ القيس مصوراً انتشار النباتات ، فكأنما بها تاجر فقال :

وألقى بصحراء الغبيط بعاعَه : نزُولَ اليمانيّ ذي العِيّابِ المحمَّلِ [5]

وحسبنا الأعشى بما يصور من أنماط حضارة اليمن ، حين يصف حياة القصر :

ببَعْدان أو رَيْمانَ أوراس سَلْبَةٍ شفاءٌ ، لمن يشكو السمائم ، باردُ

وبالقصر من أرياب لو بتّ ليلةً لجاءك مثلوجٌ ، من الماء جامدُ [6]

وكان الأعشى كثير الشخوص إلى اليمن سعيا وراء الاقتصاد وتحسين أحواله المعيشية ، فيقول :

وطوّفتُ للمال آفاقَهُ : عُمانَ فحِمْصَ فأوريشلم [7]

---

(١) معجم البلدان : غزة .

(٢) معجم البلدان : بِقِنَّس

(٣) معجم البلدان : تبالة ، موضع باليمن ، الجنيب : الغريب ، الديوان ١٧٨ .

(٤) معجم البلدان : يمن .

(٥) معجم البلدان : الغبيط ، اسم واد ، ومنه صحراء الغبيط ، والبعاع : الثقل ، والعياب : جمع عيبة ، الثياب ، والديوان ٥٤.

(٦) معجم البلدان : بَعْدان ، مخلاف باليمن ، وأرياب : من مخلاف قيظان . الشعر غير وارد في الديوان .

(٧) معجم البلدان : أوريشلم ، عبراني ، اسم بيت المقدس ، الديوان ٢٢٥.

ويتردد إلى اليمن بقوله :

قد سرتُ ما بين بانقيا إلى عدن | وطال في العجم تكراري وتسياري [1]

وقال أيضا يصف فنّ عمارة القصور :

في منزل شُيِّدَ بنيانه | يَزِلُّ عنه ظُفُرُ الطائر [2]

وفي قول تبّع ما يدل على خصب اليمن :

وبالرّبوة الخضراء من أرض يحصب | ثمانون سدًّا تقلّسُ الماء سائلا [3]

وبادت حضارتهم بخراب سد مأرب ، فقال الأعشى :

ففي ذاك للمؤتسي أسوة | ومأرب عفّى عليها العرمْ

فكانوا بذلكمُ حِقْبة | فمالَ بهم جارفٌ منهزمْ [4]

وقال أيضا يذكر خراب قصر ريمان :

يا من يرى رَيْمانَ أمـ | ـسى خاوياً خَرِباً كعابُهْ [5]

وكان لدولتي المناذرة والغساسنة شمال أطراف الجزيرة نصيب من التحضر ، مما جعلهما تتمتعان برغد العيش والتنعّم في المعيشة ، قال عبيد بن الأبرص :

في كل وادٍ بين يَثْـ | ـربَ والقصور إلى اليمامه [6]

ويظهر الأسود بن يعفر النهشلي سعة المعيشة لديهم بقوله :

أهلُ الخَوَرْنَقِ والسَّدير وبارق | والقصر ذي الشّرفات من سِنداد

حلّوا بأنقرةٍ يسيل عليهمُ | ماء الفرات يجيءُ من أطواد

أرض تخيّرها لطيب مقيلها | كعبُ بن مامة وابن أمّ دؤاد

---

(١) معجم البلدان : بانقيا ، نواحي العراق ، وهي النجف الآن ، دفع بها إبراهيم ، عليه السلام ، غنيمات ثمناً لها ، والغنم بالنبطية يقال لها نَقْيا ، ورواية الديوان ٨٨ « قد طُفْت » .

(٢) معجم البلدان : وسَطٌ ، نخل باليمن فيه حصن وقصر ، ورواية الديوان ١١٧ « في مِجْدَل » .

(٣) معجم البلدان : مخلاف اليحصبيين ، سكنه بنو يحصب بن دهمان ، وبيحصب ثمانون سدا .

(٤) معجم البلدان : مأرب ، والديوان ٢٢٦ .

(٥) معجم البلدان : رَيْمان ، من قصور اليمن ، الديوان ٢٩ .

(٦) معجم البلدان : يترب ، قرية باليمامة ، ويعني بالقصور : قصور الحيرة للمناذرة ، الديوان ٩٣ .

ولقد غنَوْا فيها بأفضل عيشةٍ   في ظل ملك ثابتِ الأوتاد [1]

وقال الأعشى يثني على النعمان :

ولا الملكُ النعمان يَوم لقيتَهُ   بإمّتِهِ يُعطي القُطُوطَ ويَأفِقُ

وتُجبى إليه السيلحون ودونها   صريفون في أنهارها والخورنقُ [2]

على أن لسعة العيش مظاهر لدى بيئة العرب الجاهلية ، يُعثر عليها في شعر الغزل ووصف الحلي ومراكب النساء ، كما نجده في وصف مجالس اللهو والغناء والخمر ، قال الأعشى :

أحبُّ أثافت ذات الكرو   م ، عندَ عُصارة أعنابها

وشاهدنا الورد والياسمين   نُ ، والمسمعاتُ بقصّابها [3]

ويقول الأعشى أيضا يذكر دُرْنا :

وإنّ لنا دُرْنا . فكلّ عشيّة   يُحطُّ إلينا خمرُها وخميلُها [4]

وقال أيضا مصورا مجالس اللهو :

وكأسٍ كعين الديك باكرتُ خدرَها   بفتيانِ صِدق ، والنواقيسُ تُضْرَبُ [5]

لها أرج في البيت عالٍ كأنما   ألمَّ به من تَجْرِ دارين أركبُ

---

(١) معجم البلدان : سنداد ، قرب الحيرة ، وكعب بن أمامه الإيادي : يضرب المثل بجوده ، وابن أم دؤاد : يعني أبا دؤاد الشاعر ، وبارق : ماء بالكوفة والخورنق : قصر النعمان ، والسدير أيضا .

(٢) معجم البلدان : سيلحون ، وصريفون : قريتان ، والأمّة : النعمة ، القطوط جمع قط ، وهو صك المكافأة ، ويأفق في العطاء : يفضل إعطاء فريق اكثر من آخر ، الديوان ١٤٤ .

(٣) معجم البلدان : أثافت ، بلدة باليمن ذات كروم ، كان للأعشى بها معصر خمر والمسمعات : القيان المغنيات ، والقاصب : الذي يزمّر في القصب ، وأثافت كان اسمها دُرْنا في الجاهلية ، ورواية الديوان ٣٧ « أحب أثافت وقت القطاف » . البيت الثاني غير موجود في الديوان .

(٤) معجم البلدان : درنا ، باليمامة ، لبني قيس بن ثعلبة بها قبر الأعشى في منفوحة التي هي الآن حي من أحياء الرياض ، والخميل : الطعام اللين ، والديوان ١٦٥ .

(٥) معجم البلدان : الدارين ، ربض الدارين بحلب ، ودارين : موضع بالبحرين ينسب إليه المسك ، والأرج : الرائحة ، وأركب : جمع ركب ، الجماعة المسافرة ، الديوان ٢٢ .

وقال أيضا في خمرة صريفون :

صريفيّة طيّب طعمــــــــــها لها زبد بين كـــــــــوز ودنّ [١]

وقال أيضا في مجالس اللهو :

ولقد شربتُ الخمر تـــــــر كض حولنا تُرْك وكابُــــــــلْ

كـدم الذبيــح غريبــــــــة مما يعتّــق أهـل بـــابـــــلْ [٢]

وقال أيضا يذكر شراب العنب :

وإسفنط عانة بعد الـرُّقـــا دِ شكّ الـرصاف إليها غديرا [٣]

ووراء المجتمع المكي ، وهذا النمط المعيشي كان يعيش البدو في تهامة ونجد وبوادي الشام معيشة تعتمد علي رعي الأغنام ، لا يفضلون شيئا على حياتهم البدوية في البنية المفتوحة الواسعة ، كانوا منتجعين يتتبعون مساقط المطر ، وينزلون الأماكن الخصبة ، قال لبيد :

تربّعت الأشراف ثمّ تصيّفتْ حِسَاءَ البِطاح ، وانتجَعْنَ السلائلا [٤]

وعاشوا في الصحراء الواسعة المترامية الأطراف ، فتلقّوْا المخاطر من الوحوش والسباع والقفار الجرداء. في تلك البيئة كان العرب يتربّص بعضهم بعضا واستغلوا الحياة القتالية بينهم مَصْدَرَ رزقٍ حيث اتخذوا الغزو وسيلة عيش في زمن الجدب في ظل حياة قاسية تحمّلوا الشدائد ؛ فنشأوا على الجرأة والشجاعة في وسط بيئة اتصفت بالجدب والجفاف.

واتخذوا من حرفة الصيد وسيلة تكسب في أوقات الفقر والفاقة ، على أنّ بعضهم كان يتخذها هواية يمتع بها نفسه ، قال زهير يحكي عملية الصيد :

---

(١) معجم البلدان : صريفون ، قرية قرب الحيرة ، الدنّ : إناء الخمر ، الديوان ٢٣٩.

(٢) معجم البلدان : كابل ، بلد أطراف شرقي فارس ، والترك : يقصد التركستان كانوا يسكنون شمالي فارس ، ويركض : أي يرقصون ، الديوان ١٨٦ .

(٣) معجم البلدان : عانة ، بلد بين الرقة وهيت ، يعد في أعمال الجزيرة ، نسبت إليه العرب الخمر ، والإسفنط : روميّ معرّب ، شراب من عصير العنب ، الرصاف : رصف الحجارة الديوان : ١٠٨ .

(٤) معجم البلدان : البُطاح ، منزل لبني يربوع ، (لم يذكر في الديوان) .

لمن طلل كالوحي عافٍ منازلُه	عفا الرسُّ منه فالرُّسيسُ فعاقلُهْ
فقفٌ فصاراتٌ بأكنافِ منعجٍ	فشرقيُّ سَلْمى حوضه فأجاوِلُهْ
فهضب فرَقْدٌ فالطويّ فثادق	فوادي القنان حزمه فمداخله
إذا ما غدوْنا نبتغي الصيدَ	مرّةً متى نرَهُ فإنّنا لا نخاتلُهْ
فبَيْنَا نُبغيُ الصيدَ جاء غلامُنا	يدبُّ ونُخفي شخصَهُ ويضائِلُهْ [1]

واتخذ امرؤ القيس الصيد من قبيل الهواية واللهو فقال :

خرجنا نُريغُ الوحشَ ، بين ثعالة	وبين رَحيّات ، إلى فجّ أخربِ
إذا ما ركبنا ، قال والدانُ أهلنا :	تعالَوْا ، إلى أن يأتنا الصيد ، نحطبِ [2]

ومن كان يُميّز بمهارة كان يَستغلّها في الكسب للعيال ، كان رجل من بني عقيل قد نزل اليمامة ، وبرع في صيد الذئاب ، ابتلي جماعة بذئب أكل شاءهم ، فأتوه ، وقالوا : إن قتلته فلك من كل غنم شاة ، فحبّله وأتاهم به يقوده ، لكنهم أبَوْا أن يعطوه أجره ، فأطلق الذئب ، وقال :

علّقت في الذئب حبلا ثم قلت له :	إلحق بقومك واسلم أيّها الذّيب
إن كنتَ من أهل قرانٍ فعدْ لهم	أو أهل كنزة فاذهب غير مطلوب
المُخلفين بما قالوا وما وعدوا	وكلُّ ما لفَظ الإنسانُ مكتوب [3]

ويمارس الحدث بما يناسبه من الصيد ، قال طرفة :

يالكِ من قبّرةٍ بمعمر	خلا لك الجوُّ فطيري واصفري
قد رُفع الفخّ ، فماذا تحذري ؟	ونقّري ما شئتِ أن تنقّري [4]

---

(١) معجم البلدان : قُف ، ورواية الديوان ٦٩ « فرَقْدٌ فصارات فأكناف منعج » .

(٢) معجم البلدان : أخْربُ ، موضع في أرض بني عامر بن صعصعه ، فيه كانت وقعة بني نهد وبني عامر .

(٣) معجم البلدان : كنزة ، وادٍ باليمامة كثير النخل .

(٤) معجم البلدان : معمر ، موضع به ماء ، نزله طرفة وهو لا يتجاوز السابعة ، برفقة عمّه ، نصب فخا للقنابر ، لكنه لم يصد شيئا ، ولما غادر المكان رأى القنابر تلتقط الحب ، وقيل أن هذا الشعر أول ما قاله ، وهو الرجز ، الديوان ٤٩ .

الفقر :

وبسبب التباين المعيشي ، كان لحال المعيشة سلطان أوجد مظهرين اجتماعيين هما: الغنى والفقر ، والصعلكة .

ومهما يكن من أمر فقد طغت قضية الفقر في الجزيرة العربية ، وخلق تباين الطبقات الضجر والتذمر من المقلّين ، مما دفع عروة بن الورد إلى القول :

دعيني للغنى أسعى فإنّي ... رأيتُ الناسَ شرُّهم الفقير [1]

وهذا الأعشى يطوف البلاد طلبا للمال :

وطوّفت للمال آفاقه : ... عُمان فحمص فأوريشلم [2]

وكان أهلُ اليمن ، كانوا يُعيَّرون بالتخلّف ، كقول خالد بن صفوان التميمي لرجل من أهل اليمن كان قد فخر عليه بين يدي السفاح : ليس فيهم يا أمير المؤمنين إلا دابغ جلد أو ناسج بُرْد أو سائس قرد ، غرّقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة ودلّ عليهم هدهد . تحولت حياتهم إلى شتات وحرمان ، قال المثلّم بن قرط البلوي :

ألم ترَ أن الحيّ كانوا بغبطةٍ ... بمأربَ إذْ كانوا يحلّونها معا

بليّ وبهراءٌ وخولانُ إخوةٌ ... لعمرو بن حافٍ فرع مِنْ قَدْ تفرّعا [3]

وساد نظام الحمى ، فكان سيد القبيلة إذا نزل موضعاً استعوى كلباً لخاصّة به ، مدى عُوائه فلم يرعه معه أحد ، كانوا يطلبون السقيا لها ، قال أعرابي :

سقى الله حياً بين صارةَ والحِمى ... حمى فيدٍ ، صوبَ المُدْجِنَاتِ المواطر [4]

وقال سُفيح بن زائدة من بني عمرو بن كلاب :

ونحن حمَيْنا روضَ تبراك بالقَنا ... لنرعَى به خيلاً عِتاقاً وجاملا [5]

---

(١) الديوان ٥٠ .

(٢) معجم البلدان : أوريشلم .

(٣) معجم البلدان : مأرب .

(٤) معجم البلدان : الحِمى : أصله في اللغة موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعوه ، ومن أشهرها حمى ضريّة كان حمى كليب ابن وائل وفيه قبره ، إلى أن جاء الإسلام فنهى عن الحمى « لاحمى إلاّ لله ولرسوله » .

(٥) معجم البلدان : روضة تبراك ، من بلاد عمرو بن كلاب .

ويصوّر حسان وضع البيئة ، فيقول :

ولسنا برِئم ولا حَمْتٍ ولا صوَرى | لكن بمرج من الجولان مغروسِ
يُغذَى علينا بَراووقَ ومُسمعة | إنّ الحجاز رضيعُ الجوع والبوس [1]

وجمعوا مياه الأمطار في الآبار ، فيفخرون بحفرها ؛ لأنها سبب في التوسعة على المعوزين ، قال عبد شمس بن عبد مناف :

حفرتُ خُماً ، وحفرت رمّاً | حتى ترى المجد لنا قد تمّا [2]

يلجأون إلى أكل الهبيد والحشرات والنبيج في المجاعات ، وصورت الحال ابنة هاشم :

عمرو العُلى هشَم الثريدَ لقومه | ورجال مكة مسنتون عجاف [3]

الصعلكة :

إنّ التباين الطبقي بين شريحتي المجتمع الجاهلي – قد أبرز فئةً ناهضت الأغنياء ، وضجرت من سوء أحوالها المالية والاجتماعية والنفسية ، تمثلت بما سُمّي بالصعاليك . وقد صنع الأستاذ يوسف خليف كتابا بعنوان « الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي » استوفى الموضوع غرضه ، وخلص إلى القول بأن الصعاليك هم عصابات مختلفة من ثلاث طوائف : طائفة الشُّذاذ الذين أنكرتهم قبائلهم ، مثل حاجر الأزدي ، وقيس بن الحدّادية ، وأبي الطَّمحَان القيني . وطائفة الأغربة السود نسبة إلى أمهاتهم الإماء ، لم ينسبوهم إليهم أباؤهم ، مثل تأبط شراً ، والشنفرى ، والسليك بن السلكة . ثم طائفة المتمردين على الظروف المالية المختلّة ، يمثلهم عروة بن الورد [4] ؛ فتكونت عصابات الصعاليك ، قطعت صلات القبائل ، ومالت إلى رباط الفقر والتشرد والتمرد .

---

(١) معجم البلدان : رِئم ، مفرد الآرام ، الظباء الخالصة البياض ، وهو واد لمزينة قرب المدينة .

(٢) معجم البلدان : خم ورم : بئران بمكة حفرهما عبد شمس .

(٣) معجم البلدان : مكة ، والهبيد : الحنظل ، والنبيج : خوض الوبر باللبن ثم يُجْدَح ، أي يخلط كان من أطعمة العرب في المجاعة ، ينظر : معجم البلدان ، النباج .

(٤) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

قال السُّليك :

كأنّ حوافر النّحَام ، لَمّا ... تروّح صُحبتي أُصُلاً محارُ

على قرماء ، عالية شَواهُ ... كأنّ بياضَ غرّته خِمارُ [(١)]

ويتجشّمون مخاوف الصحراء للسلب والنهب ، قال تأبط شرا :

ألا من مبلغ فتيان قومي ... بما لاقيتُ عند رحا بطان ؟

فإني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان

فشدّتْ شدةً نحوي فأهوى ... لها كفّي بمصقولٍ يماني [(٢)]

وكان الصعاليك يتمنون في انطلاقهم مصادفة بعض الأغنياء الذين يحرصون على المال بالبخل ، قال عروة بن الورد :

أقيموا بني أمّي صدورَ ركابكم ... فكلّ منايا النفس خير من الهزل

رجعت على حرسين إذْ قال مالك : ... هلكت ، وهل يلحى على بغية مثلي

لعلّ انطلاقي في البلاد وبغيتي ... وشدّي حيازيم المطيّة بالرحل

سيدفعني يوما إلى ربِّ هجمة ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخل [(٣)]

وكانوا يغزون ويغيرون للنهب والسلب ليقتربوا من طبقة الأغنياء ، فيثنون على الصعلوك النشيط ويسخرون من القاعِد للخدمة ، قال عروة :

وقلت لقوم في الكنيف تروّحوا ... عشيّة بيتنا دون ماوان رزّح

تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم ... إلى مستراح من حمام مبرّح

ومن يك ذا عيال ومقتّرا ... من المال يطرح نفسه كلّ مطرّح [(٤)]

وقال أيضا :

ولكن صعلوكاً صفيحة وجهه ... كضوء شهاب القابس المتنوّر

---

(١) معجم البلدان : قرما

(٢) معجم البلدان : رحَابطان ، والسلفين ، وصُباح : مواضع لهذيل .

(٣) معجم البلدان : حرس ، ماء بين عامر وغطفان ، الحيازيم : جمع حيزوم ، ما يشدّ به وسط المطيّة ، الديوان ٦٨ .

(٤) معجم البلدان : ماوان ، قرية في أودية العلاة من أرض اليمامة بها قوم من بني هزّان وربيعة وهم من اليمن ، الكنيف : الحظيرة من الشجر ، وماوان أيضا من منازل عبس بين أبانين والنقرة ، رزّح : مهازيل ، الديوان ٣٤ .

مطلاً على أعدائه يَزْجرونَــــه		بساحتهم زجر المنيح المشهّــــر
لحا الله صعلوكا إذا جن ليلــــه		مصافي المشاش آلفا كلّ مجـــزر
يعين نساء الحَي ما يستعنّـــــه		ويمسي طليحا كالبعير المحسّــر[1]

وقال الشنفرى :

ويوم بذات الرسّ أو بطن منجل		هنالك نبغي العاصر المتنـــوّرا
وأبغي بني صعب بحرّ ديارهـــم		وسوف ألاقيهم إنِ اللّه يسّـــرا [2]

وقال أيضا :

خرجنا من الوادي الذي بين مشعل		وبين الجبا ، هيهات أنسأت سربتي[3]

وتسمو بالصعلوك نفسه ليتنزّه عن الأغنياء بقوله :

وأستفُّ ترب الأرض كي لا يَرى له		عليّ من الطّوْل امـرؤ متطـوّل [4]

وقال أيضا :

كأن قد ، فلا يغررك منّي تمكّثـي		سلكت طريقا بين يربغ فالسّـــرد
وإنّي زعيم أن تلفّ عجاجتـــي		على ذي كساء من سلامان أو بـــرد
هم عرفوني ناشئا ذا مخيلـــة		أمشّي خلال الدار كالأسد الـــورد.[5]

وكانوا يتحدثون بصوت الجماعة ، ويتحدثون عن مغامراتهم وتربصهم بأعدائهم ، يتوعدون ويتهددون ، فيتوعّد الشنفرى بني سلامان ،وإذا تأخر عن غزوهم فليس دليلا على أنّه قد كفّ ، إنما يمهلهم ، فهو يعرفهم وهم يعرفونه ، وهو خبير بطرق الصحراء [6] ، وإذا ما قتل الشنفرى ، وقف تأبط شرا يرثيه :

على الشنفرى ساري الغمام ورائح		غزير الكلى ، أوصيّب الماء باكرُ
عليك جزاء مثل يومك بالجبا		وقد رعفت منك السيوف البواترُ

(١) الديوان ٣٣ ، ٣٥ ، المشاش : جمع مشاشة ، العظمة النسمة .

(٢) معجم البلدان : منجل ، موضع بغربي صنعاء اليمن .

(٣) معجم البلدان : جبًا ، شعبة من وادي الجيّ بين مكة والمدينة .

(٤) معجم البلدان : العقر .

(٥) معجم البلدان : السرد ، موضع في بلاد الأزد لبني سلامان ويربغ : بين عمان والبحرين .

(٦) الأغاني ١٣٤/٢١ ، بنو سلامان كانوا سببا لتصعلكه .

ويومك يوم العيكتين ، وعطفـــة عطفتَ وقد مسّ القلوبَ الحناجرُ [1]

وأشقـرُ غيـداقُ الجراء كأنّـــه عقـابٌ تدلّى بين نيقَين كاسـرُ

وكان سلاحهمَ لا يفارقهم ، لأنه الوسيلة في نجاتهم ، يرفده سرعة عَدْوِهم ، فيقصّ تأبط شرا كيف أنجاه عَدْوُهُ من عدوّه :

ليلة صاحوا وأغْرَوْا بي سراعَهم بـالعيكتـين مَعْدي ابن بـــرّاق

نجوتُ منها نجائي من بَجيلةَ إذ ألقيت ليلة خَبْتِ الرّهطِ أوراقي [2]

وبه يقطع الطريق ويسلب وينهب ويغتصب ، فقال أيضا :

بحليلة البجليّ بتّ من ليلـــة بين الإزار وكشحها ثمّ الصّـــق

فإذا تقوم بصعدةٍ في رملـــةٍ لبدَتْ برَيّـقِ ديمةٍ لم تغـــــدق [3]

ونتيجة للتشرّد والانفصال عن المجتمع الإنساني وردت في أشعار الصعاليك أحاديث عن حيوان الصحراء وما يخيّل للساري فيها من أشباح ، فيصف عروة الأسدَ وصفاً دقيقا ، فقال :

تبغّاني الأعداء إمّا إلـى دم وإمّـا عُـراضَ السّـاعـدين مصـدّرا

يظلّ الإباء ساقطاً فوق متنه له العدوة القصوى إذا القِرْنُ أصحرا

كأن خواتِ الرّعد رِزّ زئيره مـن اللاء يسكـنُ الغـريفَ بعثّـرا [4]

وهكذا نرى أن الشعر قد نطق بلسان حال الصعاليك ، فتحدثوا عن مغامراتهم وتهديدهم وعن أسلحتهم وهربهم ، وسرعة عدوهم وعن غزواتهم .

---

(١) معجم البلدان : جبا ، ونيق العقاب ٥/٢٣٣ موضع قرب الجحفة بين مكة والمدينة ، لقي به أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مهاجر بن أبي أميّة عام الفتح ، وغيداق : طويل وسريع الجري ، لم ينس الحديث عن فرسه ، وسيلة الصعلوك .

(٢) معجم البلدان : عيكتان .

(٣) معجم البلدان : صعدة .

(٤) معجم البلدان : عثّر ، والإباء : القصب ، خوات الرعد : صوته ، الديوان ٥٢ .

الفصل الثاني

الجانب الخلقي

أولاً : الكرم

عاش العرب في بادية شحيحة العطاء لقلّة الموارد في حياة الترحال والتنقل ، وأصبح أحدهم عرضة للحاجة بسبب الظروف القاسية ، فانتشرت بين وسطهم فضيلة الكرم وكبرت قيمتها في أعينهم ، ودفعهم الإحساس تجاه الآخرين فيطعمون الطعام للمحتاجين ويسقون الماء للعطشى .

ويلاقي بعضهم حتفه بسبب سعيه للضيفان ليوفر لهم القرى والماء ، فتنهش أبا خراش حية حينما خرج ليجيء بالماء لقوم نزلوا به ، فقال قبل موته :

لعمرُك ، والمنايا غالبـــاتٌ على الإنسان تطلّعُ كلّ نجـــد

لقد أهلكتْ حيّةُ بطنِ أنــف على الأصحاب ساقاً ذاتَ فَقْـدِ [1]

وينفعل أحدهم حينما علم أنّ ابنتيه قد حرمتا السائل شرب اللبن بسبب عوره ، قال تميم بن أبيّ بن مقبل العجلاني :

يا جارتيّ على ثاج سبيلكما سيراً شديداً ، ألمّا تعلما خبري

إنّي أقيّدُ بالمأثورِ راحلتــي ولا أبـالي ولوكنّا على سفــر [2]

ويأتي القِرى في سبعة مواضع : قرى العذارى ، وقرى الطير ، وقرى الوحوش ، وقرى الموتى ، وقرى الندماء ، وقرى الضيفان ، وقرى الميسر [3] ، لكنه لم يُعرف من الشعراء من عقر مطيتة للعذارى غير امرئ القيس :

---

(١) معجم البلدان : بطن أنف ، من منازل هذيل ، نزل به قوم على أبي خراش نهشته حية فمات .

(٢) معجم البلدان : ثأج ، قرية بالبحرين ، مرّ بها ابن مقبل على اثنتين فاستقاهما لبنا ، فلما رأتاه أعور أبتا ، ولما سمع أبوهما قوله ، زوّجه إحداهما ، وأعطاه نصف إبله .

(٣) أبو سويلم : الإبل في الشعر الجاهلي ، دار العلوم للطباعة والنشر : الرياض ط١ ، ١٤٠٣/١٩٨٣ ، ص١١٥ .

ويوم عقرتُ للعذارى مطيّتي فيا عجبا من كورها المتحمَّـــل [1]

ويتكرّر الحديث عن ريح الشمال ، والسحاب ، والمطر ، قال المسيّب بن علس :

وإذا تهيج الرّيح من صرّادها ثلجاً يُنيخ النِّيبَ بالجعجـــاع

أنت الوفيّ فما تُذمّ وبعضُهم تُودي بذمّته عقابُ مَـــلاّع [2]

وقال زهير في مدح حصن بن حذيفة بن بدر الذي وقف بطلا أمام عمرو ابن هند فيشبّهه بالسحاب الممطر :

لمن طلل كالوحي عافٍ منازله عفا الرسّ منه فالرسيس فعاقله

فقفٌ فصارات بأكناف منعجٍ فشرقيّ سلمى حوضه فأجاوله

وأبيض فيّاض يداه غمامةٌ على مُعتفيه ما تُغبُّ فواضله

بكرتُ عليه غدوةً فرأيته قُعُوداً لديه بالصّريم عواذله [3]

ويكونون في زمن الشتاء بأشدّ الحاجة إلى الكرم ورعاية المحتاجين ، قال طرفة :

وإنّا ، إذا ما الغيمُ أمسى كأنّه سماحيق ثَرْبٍ وهي حمراء حرجفُ

تبيتُ إماءُ الحي تَطْهى قدورنا ويأوي إلينا الأشعث المتحـرّف [4]

ويقول أيضا :

نحن في المشتاةِ ندعو الجَفَلى لا ترى الآدبَ فينا ينتقـــرْ

---

(١) معجم البلدان : دارة جلجل ، من منازل حجر الكندي بنجد ، نحر راحلته للفتيات فيهن عنيزة حينما وردن الغدير في قصة تطول لسنا بصددها ، الديوان ٢٩ ، الكور : الرّحل .

(٢) معجم البلدان : ملاع ، هضبة عقبانها أخبث العقبان ، فمن أمثالهم : أودت به عقاب ملاع ، والصرّاد : ريح باردة برش المطر ، النّيب : جمع ناب وهي الإبل الإناث المسنّة ، والجعجاع : المبرك ، يمدح القعقاع بن زرارة من زعماء تميم ، جاره منيع إذا حرمة غيره ذهبت بها عقاب الخلس ، والمفعم : الملآن ، الآذي : الموج .

(٣) معجم البلدان : قف ، من حزون نجد ، ومن أودية المدينة ، الرس والرسيس : موضعا ماء لبني أسد ، وعاقلة : أرض ، سلمى : أحد جبلي طيء ، أجاوله : ما حوله ، وأبيض : طيب القلب ، فياض : سخي ، ما تغبّ : لايتوقف عطاؤه ، الصريم : الصبح ، الديوان ٦٩ ، ٧٤ .

(٤) الديوان ٦٧ ، والسماحيق : الشحم الرقيق ، والثرب : شحم الأمعاء ، والحمراء : الريح ، والحرجف : الباردة .

بجفانٍ، تعتري نادينا مِنْ سَديفٍ، حين هاجَ الصِّنَّبِرْ [1]

ويفخرون بالمياسرة [2] في الشتاء ليطعموا الفقراء، قال طرفة أيضا:

وهم أيسارُ لقمانٍ إذا أغلتِ الشتوةُ إبداءَ الجُزُرْ

لا يُلحّونَ على غارمِهم وعلى الأيسارِ تيسيرُ العَسِرْ [3]

ويمدح الشعراء المطعمين في الشتاء، قال أبو خراش الهذلي:

ضخم الرّماد عظيم القدر جفنته حين الشتاء كحوض المنهل اللّقف [4]

ويفخرون بسعة الجفان، قال أحدهم:

ترى الأضياف ينتجعون فاقي [5]

وقال الأعشى:

فما أنت إن دامتْ عليكَ بخالدٍ كما لم يُخلّدْ قبلُ ساسا ومَوْرقَ [6]

ترى الجودَ يجري ظاهراً فوق وجهه كما زانَ متن الهندُوانّي رَونق

---

(١) معجم البلدان: الصِّنبرة: موضع بالأردن مقابل عقبة أفيق – ثلاثة أميال من طريق طبرية – كان معاوية يشتو بها، والصِّنبر: البرد الشديد، والجفان: قصاع الطعام، السديف: قطع السنام، والمشتاة: وقت الشتاء، والجفلى: الدعوة عامة دون تخصيص، ودعوة النقرى: خاصة. الديوان ٥٥.

(٢) كانوا يتقامرون بالقداح على الإبل، يقسمون الجزور عشرة أجزاء، وتجعل القداح العشرة في خريطة، وتكون القداح الرابحة: الفذّ والتوأم والرقيب والحلس والنامس والمسبل والمعلّى، والقداح الغارمة: المنيح والسفيح والوغد، ينظر ابن قتيبة: الميسر والقداح ص٤٣.

(٣) الديوان ٥٨ والأيسار: جمع يسر، وهو الضارب بأقداح الميسر، ولقمان: هو لقمان بن عاد، وأبداء: جمع بدء، وهي أعضاء الناقة المجزورة، والجزر: جمع جزور، وهي الناقة التي تشترى للذبح.

(٤) معجم البلدان: عزى، يمدح دبيّة سادن العزى.

(٥) معجم البلدان: فاق، في الأصل الجفنة المملوءة طعاما، والفاق: الصحراء.

(٦) معجم البلدان: (مورق)، موضع، وأما قول الأعشى، فمورق: ملك الروم، وساسان: ملك الفرس، وهو شاذ في القياس؛ لأن ما فاؤه حرف علّة فإن المفعل منه مكسور العين مثل: موعد، ومورد إلاّ ما شذّ مثل مورق. الديوان ١٤٣ والهندواني: السيف.

نفى الذمَّ عن آل المُحلّق جفنةٌ كجابية الشيخ العراقيّ تفهق [1]

وقال حاتم :

ليالِيَ نُمْسِيَ بين جوٍّ ومِسْطحٍ نشاوى لنا من كلِّ سائمةٍ جَزَرْ [2]

فإن كان شرٌّ فالعزاء فإنّنا على وَقَعَاتِ الدهر من قبلها صُبُرْ

هداية الضيف :

وفي ظلمات الليل تقود الضاربين في الصحراء النار التي يوقدها الكرام لإنضاج الطعام أو للاستدفاء ، وقد ذكر الشعراء نار القرى ، قال الأعشى :

لعمري ، لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوء نارٍ في يفاعٍ تُحرّقُ

تُشَبُّ لمقرورَيْنِ يصطليانها وبات على النار النّدى والمَحلّقُ [3] .

وكانوا يوقدون هذه النار على المرتفعات ، لتكون على مرأى من التائهين ، وربما أوقدوها بشجر طيّب الرّائحة ، كضرب من ضروب الترف على رأي الحوفي [4] ، قال عديّ بن زيد :

ماذا تُرجّون ، إن أودى ربيعكمُ بعد الإله ، ومن أذكى لكم نارا ؟

بتلِّ جَحْوشَ ما يدعو مُؤذّنهم لأمرِ دهرٍ ، ولا يَحْتَثُّ أنفارا [5]

(١) اللسان : فهق والديوان ١٤٣ ، مدح المحلّق بن خثم بن شداد بن ربيعة ، كان حسن الضيافة وذا بنات ، وحين مدحه سارع الناس يخطبونهن ، والجابية : حوض كبير ، وتفهق يعني الامتلاء ، وتطق النص القرآني الكريم بأدوات الكرم في بيئة العرب في سياق الحديث عن عمل الجن لسليمان ، عليه السلام ، « وجفان كالجواب وقدور راسيات » سبأ ١٣ .

(٢) معجم البلدان : مسطح ، موضع في جبلي طيء ، وجوّ : أرض لبني ثعل بالجبلين أيضا ، نشاوى : جمع نشوان وهو السكران ، والسائمة جمع سوائم ، الإبل التي ترعى ، وجزر : ما يذبح من السائمة ، وصبر : صابرون ، الديوان ٦٢ . تملك حاتما الجود بتأثير الخؤولة فأمّه عتبة بنت عفيف كانت من أسخى الناس ، ابنته سفانة أسرت فمنّ عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت وأسلم أخوها عدي ، بعد أن سمع منها صفات أبيها ، فقال لها : يا جارية هذه صفة المؤمن ، خلّوا عنها ، فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق والله يحبّ مكارم الأخلاق » . ابن هشام ١٧١/٤ .

(٣) معجم البلدان : مورق ، موضع ، وأما الأعشى فأراد وساسان : ملك الفرس ، ومورق ملك الروم .

(٤) الحوفي ، أحمد محمد : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، دار نهضة مصر للطبع : القاهرة ، ط٥ ، ص٣١٨ .

(٥) معجم البلدان : (تل جحوش) ، بلد في الجزيرة .

رُبَّ نـــارٍ بِــتُّ أرمقـهـــــا   تـقضـم الـهـنـديَّ والـغـــــارا

وقال ابن مقبل يذكر العود الذي يتبخّر منه كوقود للنار :

ولاح ببرقة الأمهار منهـــــا   لعينك ، ساطع مـن نـور نـــار

إذا ما قلت زهتْها عِصِـــيٌّ   عصيُّ الرّند ، والعُصُفُ السّواري [1]

وربما يكون الدعاة إلى الطعام بديلا من إيقاد النيران ، هذا ما كان يفعله عبدالله ابن جدعان ، قال أميّة بن أبي الصلت :

لــه داعٍ بمكـة مشمعـــلٌّ   وآخر فوق دارته ينـــــادي

إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى مِلاءٍ   لبابَ البرِّ يُلبَكُ بالشِّهـــادِ [2]

وقد يستدلون إلى المنازل في الليل بنباح الكلاب أيضا،التي صارت تأنس الناس ؛ لأنه اعتاد أن يأتي الحي غرباء ، قال حسان :

أولاد جفنةَ حول قبرِ أبيهـــمُ   قبرِ ابن ماريَةَ الكريم ، المُفضّل

يسقُونَ من ورد البريصَ عليهم   بردى يصفّق بالرحيق السّلسل

يغشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهـم   لا يسألون عن السّواد المُقْبِـلِ [3]

الفخر بالكرم :

عدّ العربي الجود مفخرة وعزّا ، فتغنّى بهذه الفضيلة ، فحاتم الطائي يفتخر بأنّه ينفق ماله في أبواب الخير ، فيفكّ الأسير ، ويطعم الطعام ، فقال :

وإنـنّي لا آلـو بمالِ صنيعـةٍ   فـأوّلُـهُ زادٌ وآخــرُه ذُخْــرُ

---

(١) معجم البلدان : (برقة الأمهار) ، موضع ، الرند : العود الذي يتبخّر منه ، والعصف : الرياح ، والبيت يدلل على استخدام الوقود الطيّب الرائحة .

(٢) معجم البلدان : (دارات) ، دارة ودار : مسكن الرجل ، مشمعل : مشمر ، ردح : واسعة ، الشّيزي : جفان من شجر خاص ، لباب : جمع لبّ ، البرّ : القمح ، يلبك : يخلط والشّهاد : جمه شهدة ، الشّهد : العسل في شمعه ، اللسان ، شهد .

(٣) معجم البلدان : (البريص) ، البريص : المقام ، لقوم يسقون ، مارية ذات القرطين : أم بني جفنة بن عمرو مزيقياء ، تهرّ : تنبح ، السّواد : الجمع من الناس ، الشعر والشعراء ١٨٨ ، الديوان ٢٩١ .

يُفكُّ به العاني ويُؤكل طيِّباً ... وما إن تعرّيه القِداحُ ولا الخَمْرُ [1]

ويفخر طرفة بأنّه يحلّ في الأمكنة المرتفعة حتى يراه الأضياف فيقريهم :

ولستُ بحلاَّلِ التِّلاعِ مخافةً ... ولكن متى يسترْفِدِ القومُ أرْفِدِ [2]

ويقصر ذو جدن الهمذاني ماله لِقِرى الأضياف ، بقوله :

وهذا المال يتفدُ كلّ يومٍ ... لنُزْلِ الضيف أو صِلةِ الحقوقِ [3]

ويتمنّى حاتم السقيا بأن تعمّ السحابة المطرة بيئة السخيّ ؛ لتكون عونا له في العطاء :

سقى الله ربُّ الناس سحّاً وديمةً ... جنوبَ السراةِ من مآبَ إلى زُغَرْ

بلادَ امرئٍ لا يعرف الذمُّ بيتَه ... له المشربُ الصّافي وليس له الكدر

فأبشرْ وقرَّ العينَ منك فإنّني ... أجيءُ كريماً لا ضعيفاً ولا حَصِرْ [4]

وقلّة المال لديه لا يمنعه من أن يكون كريما ، فقال :

ألا أُعانُ على جُودي بميسَرَةٍ ... فلا يردُّ ندى كَفّيَّ إقتاري [5]

وقال النابغة مادحاً الملك النعمان وواصفا كرمه :

بخالةَ ، أو ماءِ الذُّنَابَةِ أو سِوى ... مظنَّةِ كلبٍ ، أو مياهِ المواطِرِ

---

(١) الديوان ٤٧ ، لا آلو : لا أقصر ، ذخر الشيء : خبّأه للحاجة ، القداح جمع قدح وهو الواحد من سهام الميسر .

(٢) معجم البلدان : الغرّاف ، نهر بين واسط والبصرة ، وفعّال : من أبنية التكثير ، وفي البيت جاء للتقليل ، فلم يرد طرفة أن يحل التلاع قليلا مخافة من الرفد ، ولكن أراد أن يمتنع عن ذلك كليًا ، وحلاّل : مبالغة من الحلول ، التلعة : ما انخفض عن الجبال وتجمع أيضا على تلعات ، والرفد : الإعانة ، الديوان ٣٢ .

(٣) معجم البلدان : (غمدان) ، قصر بصنعاء .

(٤) معجم البلدان : (مآب) ، افتتحها أبو عبيده ١٣هـ صلحا ، وزغر : قرية بمشارف الشام ، قيل أن زغر بنت لوط ، عليه السلام ، نزلت بها فسمّيت باسمها وفي الحديث ، عين زغر تغور في آخر الزمان وهي من علامات القيامة ، وسحّ الماء : صبّه غزيرا ، والديمة : السّحابة المطرة ، السراة : منطقة في جزيرة العرب ، ومآب وزغر في منطقة السّراة ، المشرب الصافي : المنهل العذب ، والكدر : نقيض الصفاء ، والحصر : العييّ ، العاجز عن البيان ، الديوان ٦٢ .

(٥) الديوان ٦١ ، الميسرة : الغنى ، الإقتار : قلة المال .

له بفناء البيت سوداءُ فخمـــةٌ　　　تلقّمُ أوصالَ الجزور العراعر

بقيّة قدرٍ من قُدورٍ تُورّثَــتْ　　　لآل الجُلاح ، كابراً بعدَ كابـر

تظل الإماء يَبتدرنَ قديمَهـــا　　　كما ابتدرتْ كلبٌ مياه قُراقر [1]

وقال لبيد مادحا عشيرته التي كانت مأوى الأرامل والأيتام ومأوى الغرباء الذين يطلبون القرى :

وهـمُ ربيعٌ للمجـاور فيهـمُ　　　والمرملات إذا تطـاولَ عامُها

فالضيفُ والجار الجنيب كأنّما　　　هبطا تبالَةَ مخصباً أهضامُها [2]

وقال عديّ بن زيد مفتخرا ببني العيص بن إسحاق ، عليه السلام :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الـ　　　رُوم لم يبقَ منهمُ مذكـــور [3]

وعندما تنتهي حياة الحاني على المقلّين تبدأ المأساة وكأنّ الجود توارى معه ، قال مطرود بن كعب الخزاعي في رثاء هاشم :

مات النّدى بالشام لّما أن ثوى　　　فيه بغزّة هاشم لا يبعـــد

لا يبعَدنْ ربُّ الفنَـاء يعــوده　　　عودَ السقيم يجودُ بين العُـوَّد

---

(١) معجم البلدان : (قراقر) ، وهو قاع ينتهي إليه سيل حائل ، وأودية ما بين الجبلين لأسد وطيء ، وعن ابن الكلبي في كتاب الجمهرة ، يقول الحموي : اختصمت بنو القين بن جسر وكلب في قراقر ، فقال عبد الملك بن مروان : أليس النابغة الذي يقول : كما ابتدرت كلب مياه قراقر فقضى بها لكلب بهذا البيت ، والإماء : الجواري ، جمع أمة ، ابتدر : سبق ، الديوان ٧٩ والقديح : ما يبقى في أسفل القدر ، ويغرف بجهد ، والسوداء : القدر .

(٢) معجم البلدان : (تبالة) ، موضع ببلاد اليمن ، يضرب المثل بخصبها ، أسلم أهل تبالة وجُرش من غير حرب ، والجنيب : القريب ، والأهضام : جمع هضم وهي بطون الأودية .

(٣) معجم البلدان : (الروم) ، جيل معروف ، اختلف في أصل نسبهم ، فقال بعضهم : إنّهم من ولد روميل بن الأصفر بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، عليهما السلام ، ولد العيص ويعقوب توأمين ، خرج يعقوب من بطن أمه آخذا بعقب العيص فسمّي ، وسمّي العيص ؛ لأنّه عصى في بطن أمّه ، وولد الروم من العيص .

محقانةٌ ردمٌ لمن ينتابُه		والنّصر منه باللسان وباليد [1]

وأنشد بعضهم :

ليبكِ أبا الجرّعاء ضيفٌ مُعيَّلُ		أو امرأة تغشى الدّواجن عيهل

وقال آخر :

فنعمَ مُناخُ ضيفانٍ وتَجرٍ		ومُلقى زِفْر عيهلةٍ مِجَالِ [2]

وقال النابغة يذكر مناقب أخيه :

لا يهنئُ الناسَ ما يرعَوْنَ من كلأ		وما يسوقون من أهلٍ ومن مالِ

بعد ابن عاتكة الثاوي على أبَوى		أضحى ببلدةٍ لا عمٌّ ولا خالِ

سهل الخليقة ، مشّاءٍ بأقدُحِه		إلى ذوات الذرى ، حمّال أثقالِ [3]

السقاية والرفادة

وُجدت قريش في مكان عزيز على الله تعالى ، في بلد أمين بأكناف البيت الحرام الذي كانت تحج إليه الملوك ... وقد أكسبهم هذا المكان الطّاهر شرفا ومهابة ؛ فلم يُغزوا ولم يسبوا ، وتحجّ إليها ملوك حمير وكندة وغسّان ولخم ،فيدينون لقريش ويقتدون بهم.

وأدركت قريش عظمة المكان ؛ فقابلوا الإحسان بالفضيلة ، فلا يدعون غريبا ولا مارّاً بطريق ولا محتاجا يجتازهم إلاّ أنزلوه وأكرموا نزله وتكلّفوا به حتى يظعن ، وتولّوا شرف سقاية الحجيج وإطعامهم ، وفخروا بذلك ، قال مسافر بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف :

---

(١) معجم البلدان : (غزة) ، في أقصى الشام ناحية مصر ، كانت غزّة امرأة صور الذي بنى صور ، وإياها أراد الشاعر :

ميت بردمان وميت بسلـ		مان وميت عند غزّات

وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد الرسول ، صلّى الله عليه وسلم ، وبها قبره ولذلك يقال لها غزّة هاشم ، وبها ولد الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ، ويروى له يذكرها :

سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها		كحلت به من شدة الشوق أجفاني

(٢) معجم البلدان : (برقة عيهل) ، العيهل : السريعة من الإبل ، ومعيّل : مفتقر ، والدّواجن : جمع داجنة ، ما ألف البيت من الأنعام وغيره ، والتجر : المجتمع ، والزّفر : واحد أزفار ، وهو الحمل ، الإبل المجل : الممتلئة في الريّ ..

(٣) معجم البلدان : أبوى ، والديوان ١٠٥ .

ورثنا المجدَ من آبا ثنا فنَمى بنا صُعدا

ألم نسقِ الحجيج وننـ ـحر الدلاّفةَ الرُّفدا [1]

واحتفرت كلُّ قبيلة من قريش في شعابهم بئرا ، فاحتفرت بنو عبدالدار أمّ أحراد ، قالت أميمة بنت عميلة زوجة العوّام بن خويلد :

نحن حفرنا البحرَ أمّ أحـــرادْ

ليستْ كبذّرَ النزورِ الجمّـــاد [2]

وحفر هاشم بن عبد مناف بذّر ، فقال :

أنبطتُ بذّراً بماء قـــلاّس

جعلت ماءها بلاغا للناس [3]

وحفر أميّة بن عبد شمس ، جدّ أبي سفيان ، الجفر ، وسمّاها جفر مرّة بن كعب ، وفخر بذلك ، فقال :

أنا حفرت للحجيج الجفرا [4]

وحفر عبد شمس بن عبد مناف خمّا ورمّا ، فقال :

حفرتُ خمّا ، وحفرت رُمّـا

حتى ترى المجدَ لنا قد تمّـا [5]

وحفر هاشم أيضا سجلة ، فوهبها أسد بن هاشم لعديّ بن نوفل ، إذ لم يكن لأسد بن

---

(١) ابن هشام ١/١٢٣ ، والدلافة : الإبل التي تمشي متمهّلة لسمنتها ، والرُّفد : جمع رفود ، وهي التي تملأ الرفد ، وهو إناء يحلب فيه.

(٢) معجم البلدان : (أحراد) ، بئر بمكة قديمة ، قيل : أحراد جمع حرد : قطعة من السنام ، فسمّي لأنّه يسمّن الإبل ، والحرد : القطا الوارد للماء ؛ فسمّي لأنّها ترده فيكون به أحراد ، جمع حرد .

(٣) معجم البلدان : (بذّر) ، على وزن فعّل ، لم تستعمل العرب منه إلاّ عشرة ألفاظ وهي : بذّر ، وبقّم للخشب الذي يصبغ به ، وشلّم اسم للبيت المقدس ، وعثّر موضع باليمن ، وخضّم اسم العنبر بن عمرو بن تميم ، وخوّد موضع ، وشمّر قبيلة من طيء وناقة الشماخ ، اللسان شمر ، ونطّع موضع .

(٤) معجم البلدان : (جفر) ، اسم بئر بمكة .

(٥) معجم البلدان : (خم) ، و (رم) ، بئران بمكة .

هاشم عقب ، فقالت خالدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدّي سجلة

تروي الحجيج زُغلةً فزُغْلَهْ [1]

وحفرت بنو أسد سقيّة ، ورويت شفيّة ، فقال الحويرث بن أسد :

ماء شُفَيّةٍ كصوب المُزْن

وليس ماؤها بطَرْقٍ أجْنِ [2]

وحفرت بنو جمح السّنبلة ، قال قائلهم :

نحن حفرنا للحجيجِ سُنْبلَه

صوبَ سحابٍ ، ذو الجلال أنزلَهْ [3]

وحفر أيضا عبد شمس بن عبد مناف الطويّ ، فقالت بنته :

إنّ الطويّ إذا ذكرتم ماءها صوبُ السحاب عذوبةٌ وصفاءُ [4]

وحفرت بنو سهم الغمر ، فقال بعضهم :

نحن حفرنا الغَمْرَ للحجيج تثجّ ماء أيّما ثجيج [5]

وافتخر غير العرب بهذه المأثرة فقال كعب بن الأشرف النضيري مفتخرا :

ولنا بئرٌ رواءٌ جمّةٌ من يردْها بإناءٍ يغترف [6]

وفاقت زمزم على البئار التي سبقتها ، وانصرف النّاس إليها لمكانها من البيت العتيق ، ولفضلها على ما سواها من المياه ؛ ولأنّها بئر إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما

---

(١) معجم البلدان : (سجلة) ، السجل : الدلو إذا كان فيها ماء ، أسجلت الحوض : إذا ملأته ، وهي بئر بمكة .

(٢) معجم البلدان : (سقيّة) بئر قديمة بمكة ، وكأنه تصحيف ، والطرق : الماء المجتمع فيه كدر ، جمعه : أطراق ، وأجن : متغير الطعم واللون ، اللسان ، طرق أجن .

(٣) معجم البلدان : (سنبلة) ، وهي بئر خلف بن وهب بمكة .

(٤) معجم البلدان : (الطوي) ، البئر المطويّة بالحجارة ، وهي التي بأعلى مكة عند البيضاء .

(٥) معجم البلدان : (الغمر) ، الماء الكثير ، وثوب غمر : سابغ ، وهي بئر قديمة بمكة .

(٦) معجم البلدان : (بعرف) ، موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، كانت به أموال أهل المدينة ، وفيه بئر جشم ، وبئر جمل .

السلام ، وأقام عبد المطلب سقاية زمزم للحاج ، وفيه يقول حذيفة بن غانم :

وساقي الحجيج ثم للخير هاشم — وعبد مناف ذلك السيّد الفِهر
طوى زمزماً عند المَقام فأصبحتْ — سقايته فخراً على كلّ ذي فخر [1]

وقالت صفيّة بنت عبد المطلب :

نحن حفرنا للحجيج زمزمْ
سُقيا نبيّ الله في المحرّم
ركضة جبريل ولمّا يُفْطمْ [2]

ثانيا : البخل

يتباين الناس في الخلق ، وشيوع الكرم لا ينفي البخل عن بعضهم ، وفي الشعر الجاهلي نجد اللوم والعذل متلازمين بصورة لافتة للنظر في مجال إنفاق المال [3] ، فقال المخبّل السّعدي مخاطبا عاذلته :

وأرى لها داراً ، بأغدرة السّيـ — ـدان لم يدرسْ لها رسمُ
لم تعتذر منها مدافع ذي — ضال ولا عُقَبٌ ولا الزُّخمُ
وتقول عاذلتي ، وليس لها — بغدٍ ولا ما بعده ، علمُ
إنّ الثراء هو الخلودُ ، وإنْ — نَ المرءَ يكربُ يومَه العُدمْ
إنّي وجدِّك ما تخلدني — مِئةٌ يطير عفاؤها أُدم [4]

وقال حاتم أيضا يردّ على عاذلته التي تشير عليه بالإمساك خشية الإنفاق :

وعاذلةٍ هبّتْ بليل تلومُني — وقد غاب عَيُّوقُ الثريّا فعرّدا
تلومُ على إعطائي المالَ ضِلّةً — إذا ضنَّ بالمال البخيلُ وصرّدا

---

(١) معجم البلدان : (زمزم) ، وابن هشام ١/١٢٤ .

(٢) معجم البلدان : (زمزم) .

(٣) للتعرف على فنيّة العذل ينظر : حسني عبد الجليل يوسف : العذل في الشعر الجاهلي ، مكتبة الآداب ومطبعتها : القاهرة ، ١٩٨٩.

(٤) معجم البلدان : (الأغدرة) ، جمع غدير الماء ، والسيّدان : موضع بين البصرة والبحرين يقارب البحر وراء كاظمة .

تقول ألا أمسكْ عليكَ فإنَّني ... أرى المالَ عند المُمسكينَ مُعبَّدا [1]

على أن ذلك لا يمنع المرأة أن تحذّر من البخل ، وأن تعيب من يسئ قرى الأضياف ، قالت أم الهيثم :

دعوت عياضاً يوم صعدة دعوةً ... وعاليت صوتي : يا عياض بن طارق

فقلت له : إيّاك والبخل : إنّه ... إذا عُدّت الأخلاق شرُّ الخلائق [2]

ونزلت أمّ الضحاك الضّبابية بناس من بني نصر ولم يحسنوا ضيافتها فارتابت بالطعام فقالت مشهّرة ببخلهم :

سرتْ بيَ فتلاءُ الذّراعين حرّةٌ ... إلى ضوء نار ، بين أوقحَ والغرّ

سرتْ ما سرتْ من ليلها ثم عرّستْ ... إلى كُلفَيٍّ ، لا يضيف ولا يَقري

قعدتُ طويلاً ثم جئت بمَذْقةٍ ... كماءِ السَّلا ، بعد التبرّض والنّزر

فقلتُ أهرقَنْها يا خبيث فإنّها ... قِرى مُفلس بادي الشّرارة والغَدْر

إذا بتّ بالنصريّ ليلاً ، فقل له : ... تأمّل أوِ انظر ما قراك الذي تقري

أرأسُ حمارٍ أم فراسنُ ميتةٍ ... وكلٌّ بزعمٍ أنّ غيرك لا يدري ؟ [3]

---

(١) معجم البلدان : (عبّود) ، من عبّدت فلانا إذا ذللته ، ومنه قوله تعالى : « وتلك نعمة تمنّها عليّ أن عبّدت بني إسرائيل » الشعراء ٢٢ ، وقيل في البيت بمعنى المكرَم ، وعبّود : جبل بين المدينة والسيّالة ، وجبل بالشّام ، والعيّوق : نجم مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريّا سمّي لأنّه يعوق الدبران عن لقاء الثريا ، الضلّة : ضد الهدى ، وضنّ : بخل ، والممسكون : البخلاء ، الديوان ٢٧ .

(٢) معجم البلدان : (صعدة) ، ماء قرب مخمّر ، لبني عوف بن فهر ، والصعدة : القناة المستوية ، وصعدة مخلاف باليمن .

(٣) معجم البلدان : (أوقح) ، ماء بالشّراج لبني جذيمة بن عوف بن نصر ، وهذه رواية أبي محمد الأعرابي ، ورواية أخرى في (الجزر) ، نسبت الأبيات لأسماء بنت مطرّف بن أبان من بني أبي بكر بن كلاب ، والغرّ : موضع بينه وبين هجر يومان ، وماء لبني عقيل بنجد ، والجزر : موضع بالبادية ، والكلف : واحدتها تكلفة ، كلف الأمر : تجشّمه تكلّفا أو على مشقّة وعسرة ، واللبن المذيق : الممزوج بالماء ، والتبرّض : الأخذ بالقليل من الشي مرارا ، وفراسن : جمع فرسن ، عظم قليل اللحم ، وهو خفّ البعير ، أو الظّلف من الشاة .

وكان أقبح البخل إلى نفوسهم ما كان في الشتاء ، فيهجو الأعشى خصومه أشدّ الهجاء ؛ لأنّهم ينامون ملاء البطون في الوقت الذي لا يجد جيرانهم شيئا يأكلونه :

أتاني وعيدُ الحُوصِ مَن آل جعفرٍ   فيا عبدَ عمرٍو لو نَهيْتَ الاحاوصا

وقد ملأتْ بكرٌ ومن لفّ لفهّا   نُباكاً فأحواضَ الرَّجا فالنّواعصا

تبيتون في المشتَى مِلاءً بطونُكمْ   وجاراتُكُمْ جَوْعى يبتْنَ خمائصا [1]

أمّا مَنْ يسيء قرى الأضياف ؛ فإنه لا ينجو من كَلِم اللسان ، قال رجل يهجو بني عجل ، كان قد نزل بهم فأساؤا قراه :

لا ينزلنّ بذي الأراكة راكبٌ   حتى يقدِّم قبلَه بطعام

ظلّتْ بمخترق الرياح رِكابُنا   لا مفرطون بها ، ولا صُوّام

يا عجلُ قد زعمتْ ضيفةُ أنّكم   عُتُمُ القِرى ، وقليلةُ الآدام [2]

---

(١) معجم البلدان : (نُباك) ، موضع باليمامة ، جمع نبكة ، ما ارتفع من وجه الأرض و(النواعص) ، جمع ناعص ، والنّعص : التمايل ، والنواعص موضع ، والشاعر أسد بن ناعصة المشبّب في شعره بخنساء ، كان صعب الشعر ، قلّما يروى شعره لصعوبته ، وهو الذي قتل عبيدا بأمر النعمان ، اللسان : نعص ٧/٩٩ ، والحوص : بنو الأحوص ، قوم علقمة بن علاثة الذي يهجوه ، والأحوص : ضيّق العينين ، وعبد عمرو : هو ابن الأحوص ، واللف : الجماعة ، والخمائص : جمع خميص ، الجائع ، الديوان ١٢٢ .

(٢) معجم البلدان : (أراكة) ، موضع باليمامة لبني عجل ، صوّام : فيها إقواء ، وعتم القرى : بطيئو القرى .

ثالثا : الشجاعة

عاش العرب في بيئة مفتوحة دون أسوار أو أبواب يحملون السلاح في كل وقت ، فصار البأس والشجاعة من الأخلاق التي يتمدّحون بها ، ورأوا أنّ الإقدام خير من النجاء المعرور ، واستقبال الموت خير من استدباره ، وأنّ الحياة الجديرة بالبقاء هي حياة الشجاعة والمجد ، فاختاروا المنيّة على العار ، قال عنترة :

وفي أرض المصانع قد تركنا ... لنا بفعالنا خبراً مُشاعا
أقمنا بالذوابل سوقَ حرب ... وأظهرْنا النفوس لها متاعا
حصاني كان دلاّل المنايا ... فخاض غُبارها وشرى وباعا
وسيفي كان في البيدا طبيبا ... يُدواي رأس من يشكو الصّداعا
ولو أرسلت سيفي مع جبان ... لكان بهيبتي يلقى السّباعا (١)

وقال أيضاً :

فلتعلمنّ إذا التقتْ فرساننا ... بلوى النّجيرة ، أنّ ظنّك أحمق (٢)

فهم يتغنّون بالشجاعة ، ويفخرون بأنّ الخوف ليس من سماتهم ، قال الصمّة الأكبر وهو مالك بن معاوية بن غزية بن جشم بن بكر بن هوازن :

جلبنا الخيل من تثليث حتى ... أصبنا أهل صارات فَرَقْدِ
ولم نجبُنْ ولم نَنْكل ولكن ... فجعناهم بكلّ أشمّ جَعْدِ
ألا أبلغ بني جشم رسولاً ... فإنّ بيان ما تبغون عندي (٣)

وقد مدحوا الشجعان وشبّهوهم بالأسود لبسالتهم وقوّتهم ، قال المهلهل مادحا بني شقيق الذين ناصروه على قاتلي أخيه كليب ، بأنّهم أسود :

فدًى لبني شقيقة يوم جاؤوا ... كأسد الغاب لجّتْ في زئير

---

(١) معجم البلدان : (المصانع) ، مخلاف باليمن ، المصانع : البيوت ورواية أخرى « ولو أرسلت رمحي » الديوان ١٥٧ .

(٢) معجم البلدان : (لوى النجيرة) ، موضع ، الديوان ٣٩ .

(٣) معجم البلدان : (رقد) ، من بلاد غطفان ، و(تثليث) ، موضع قرب مكة ، ومن أيام العرب بين سليم ومراد ، وصارات ، جبل ، والصّمة أبو دريد المشهور المعمّر أربعمائة وخمسين سنة ، ونكل عن العدو : جبن ، والجعد : الشديد من الرّجال .

كأنّ رماحهم أشطان بئر بعيد بين جاليها جَرور [1]

ويقفون موقف الرجولة أمام الموت ، فلا يجبنون ولا يتوسلون ، فهذا عبيد يخرج يوم بؤس المنذر بن ماء السماء ، فقال : هلاّ كان الذبح لغيرك ؟ فقال عبيد : أتتك بحائن رجلاه ، قال له : أنشدني ، فقال : وما قول قائل مقتول ، قال المنذر : أمللتني ، قال عبيد: من عزّ بزّ ، قال المنذر : أنشدني :

" أقْفَر من أهله مَلْحُوبُ "

فقال عبيد :

أقفر من أهله عَبيد فاليوم لا يُبدي ولا يعيد

وقال المنذر : أسمعني قبل أن أذبحك ، فقال :

والله إن متُّ ما ضرّني وإن عشتُ ما عشت في واحده [2]

وكانوا يشهدون الحبيبات والزّوجات ببسالتهم في الحروب . كما مرّ في الكلام عن المرأة ، قال عامر بن الطفيل :

ولتسألنْ أسماءُ وهي حفيّة نصحاءها : أطُرِدْتُ أم لم أُطرد

يا أسْم أخت بني فزارة إنّني غازٍ وإنّ المرءَ غير مخلّد

وأنا ابن حَرْبٍ لا أزال أشبّها سَمُراً وأوقدُها ، إذا لم توقد [3]

وقال سحيم بن وثيل الرّياحي مبيّنا بسالتهم في دفاعهم عن النساء اللواتي يشهدن قتالهم :

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيدَ وضرّجنا عُبيدة بالدّم

---

(١) معجم البلدان : (عنيزة) ، من أودية اليمامة قرب سواج .

(٢) معجم البلدان : (غريان) ، مثنى الغريّ وهو المطليّ ، والغريّان بظاهر الكوفة ، في قصة لبس الحديث بصددها .
الميداني ١/ ٢١ ، ٢/ ٣٠٧ ، من عزّ بزّ : من سلب غلب .

(٣) معجم البلدان : (ضرغد) ، حرّة في بلاد غطفان ، وماء لبني مرّة بنجد ، أسماء : زوجته ، الحفيّة : المهتمة بأمره ، وأسم : تخفيف أسماء ، أشبّها: أشعلها ، والسّمر : جمع السّمرة ، شجر الطلح .

بذي نجب إذ نحن دون حريمنا ... على كل جيّاش الأجاري مِرْجم [1]

ومن تقديرهم للشجعان ، فقد اعترفوا بتفوّق الخصم واستعدّوا للقتال ، وأطلقت العرب على هذا اللون من الشعر اسم « المنصفات » فقال زيد الخيل :

نحن الفوارس يوم نعف قشاوة ... إذ ثار نقع كالعجاجة أغبَرُ

يوحون مالكهم ونوحي مالكاً ... كلٌّ يحضُّ على القتال ويذمر [2]

وقد أنصف خداش بن زهير بن ربيعة خصمه بقوله :

ألا أبلغ إن عرضت به هشاماً ... وعبدالله أبلغْ والوليدا

هُمُ خيرُ المعاشرِ من قريش ... وأوراهم إذا خفيَتْ زنودا

بأنا يوم شمطة قد أقمنا ... عمودَ المجد إنّ له عمودا

جلبنا الخيل عابسةً إليهم ... سواهِمَ يَدَّرِعْنَ النقع قودا

تركنا بين شمطة من علاء ... كأنّ خلالها مِعزًى شريدا

فلم أرَ مثلهم هُزِموا وفلّوا ... ولا كذيادنا عتقاً مَذودا [3]

وقال معاوية المرادي :

تركنا لدى العرقوب ، والخيل عكّفٌ ... أساودَ قتلى لم توسَّد خدودها [4]

رابعا : الأنفة

كانت سرعة الانفعال والتأثر أمرا طبيعيا لدى العربي ، إذ لا ضابط يمنعه ولا تشريع يردعه ؛ فنشأ على حبّ الذات وسيادة النفس ليثور الفرد منهم لأبسط الأشياء متكئا على سنده العشائري ، أو مستغلاً لأنفته وعزّة مكانته . شبْه ذلك دفع الحارث بن عمرو الغسّاني إلى الفتك ببني تميم ، بسبب حيّة نهشت ابنا صغيرا له عند ماء صنيبعات ، كان مسترضعا في بني تميم وبجوارهم بنو بكر ، فأتاهما الحارث في ابنه ،

---

(١) معجم البلدان : (نجب) ، موضع كانت فيه وقعة لبني تميم على بني عامر بن صعصعة .

(٢) معجم البلدان : قشاوة ، لبني أبي بكر في أعالي نجد ، كانت به وقعة لبني شيبان على سليط بن يربوع .

(٣) معجم البلدان : (شمطة) كانت فيه وقائع الفجار ، قرب عكاظ ، وشمطة لقيس على كنانة وقريش ، لقتل البرّاض الكناني عروة الرّحال ، وهي الواقعة الأولى من وقعات الفجار ، وقد مرّ ذكره في الأيام .

(٤) معجم البلدان : (العرقوب) ، الأساود : جمع الأسود ، العظيم من الحيّات .

فأتاه منهما قوم يعتذرون إليه ، لكنّه ردّ الاعتذار وقتلهم جميعاً .[1]

كان أسعد بن المنذر أخو عمرو بن هند مستودعا في بني تميم ، فقُتل فيهم خطأ ، فحلف عمرو بن هند ليقتلنّ به مائة منهم ، فأغار عليهم في بلادهم بأوراة ، فظفر بتسعة وتسعين[2] وقيل ثمانية وتسعين[3] ، وأمر لهم بأخدود ثم أضرم نارا وقذف بهم فيها ، فاحترقوا ؛ فسمّي محرّقا ، وأقبل راكب عند المساء من البراجم[4] فقال له عمرو: ما جاء بك ؟ قال : حبّ الطعام ، فرمى به في النار ، وقال : إنّ الشقيّ وافد البراجم[5] ، فذهبت مثلا . وأقام عمرو لا يرى أحدا ، فقيل له : لو تحللت بامرأة منهم ، فدعا بامرأة من دارم ، وقذف بها في النار ، فقال لقيط بن زرارة :[6]

يُهين سراتَكُمُ عامـــــــداً ويقتلكم مثلَ قتل الكـــلاب

فلو كنتمُ إبلا أملحـــــتْ لقد نزعت للمياه العـــذاب

هذا الخلق الطائش كانت تهيجه إشارة بسيطة ، أو ظنّ بأنّ كرامته قد مسّت ، فيكون ذلك سببا في فناء بعضهم بعضا ، قال عمرو بن النعمان البياضي يرثي قومه ، كانوا قد اقتتلوا في حديقة مغلقة ، ولم تفتح حتى قتل بعضهم بعضا ، فقال في ذلك :

أين الذين عهدتُهمُ في غبطة بين العقيق إلى بقيع الغرقد

قوم همُ سفكوا دماءَ سراتهم بعضٌ ببعض فِعلَ من لم يَرْشد

---

(١) معجم البلدان : صنيبعات جمع صنيبعة ، وهو انقباض البخل عند المسألة ، واسم ماء .

(٢) معجم البلدان : أوراة ، هو عمرو بن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس ... بن كلاب بن قحطان وأمّه هند بنت الحارث بن عمرو المقصود بن حجر آكل المرار الكندي الملك .

(٣) أيام العرب ١٠٤ .

(٤) خمسة من تميم : قيس وعمرو وغالب وكلفة وظليم ، بنو حنظلة بن مالك بن تميم .

(٥) الميداني ٩/١ ، ٣٩٤ .

(٦) أيام العرب ١٠٦ .

يا للرجال ! لعثرة من دَهرهم ... تركت منازلَهم كأنْ لم تُعْهَد [1]

هذا الخلق الذي ساد بينتهم لأكبرُ دليل على طيشهم وانفعالهم ، فالقويّ يبطش بغيره ، ويكون هوَ البادئَ بالظلم وإن لم يَمْسَه عدوان ، قال عمرو بن كلثوم :

ونحن غداةَ أوقد في خزازى ... رفَدْنا فوق رَفْد الرافدينا

ولنا الدّنيا ومن أمسى عليها ... ونبطشُ حين نبطش قادرينا

بغاةٌ ظالمين وما ظُلمنا ... ولكنّا سنبدأُ ظالمينا [2]

ولعلّ هذا الخلق مضافاً إليه عادة الأخذ بالثأر كان لهما الأثر في إبعاد بعضهم عن العدوان ؛ لأنّ الضعيف مركب ذلول ، قال زهير :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يُهدّمْ ومن لا يظلم الناس يُظلم [3]

خامسا : الحلم

الأمر الطبيعي أن تختلف طباع العرب ، ففيهم الطائش ، ومنهم الذي يتريّث ، وكان الحلم فضيلة وإن خالف عرفهم السلوكي آنذاك ، ولعلّ قول الفضل اللهبي ممثّل لحالِ الحالمين منهم ، حيث يقول :

ألا أحمي وأذكرُ إرثَ قوم ... همُ حلّوا المركّنة اليبابا

وكانوا رحمةً للناس طُرّاً ... ولم يكُ كان كائنهم عذابا

ولو وُزنتْ حلومُهُمُ برضوى ... وفَتْ منها ولو زيدت كسّابا [4]

وبلغ العرب في حلمهم وصفحهم عن المذنبين أن ضُرب المثل في حلم وعفو بعضهم ، فقيل : « أحلم من الأحنف » . وهو الأحنف بن قيس من بني تميم ، قيل له : هل رأيت أحلم منك ؟ قال : نعم ، وتعلّمت منه الحلم ، قيل : ومن هو ؟ قال قيس بن عاصم

---

(١) معجم البلدان : (بقيع الغرقد) ، أصل البقيع لغة : الموضع الذي فيه ضروب شتى من الشجر ، والغرقد : كبار العوسج ، به سمّي البقيع ، وهو مقبرة أهل المدينة .

(٢) معجم البلدان : (خزاز) ، والديوان ٩٤.

(٣) الديوان ١١٠ .

(٤) معجم البلدان : (كساب) ، جبل في ديار هذيل لبني لحيان ، وأرض يباب : خالية ، ورضوى : جبل بالمدينة ،والفضل شاعر أموي .

المنقري، حضرته يوما ، جاءوا بابن له قتيل ، وابن عم له كتيف ، فخاطب ابنه : يا بني قم إلى ابن عمك فأطلقه و إلى أخيك فادفنه ، وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة فإنّها غريبة لعلّها تسلو عنه ، ثم قال :

إني أمرؤ لا يعتري خلقي ... دنس يفنّده ولا أفْنُ

من منقر من بيت مكرمة ... والغصن ينبتُ حولَه الغصن

لا يفطِنون لعيبِ جارهم ... وهم لحسن جواره فُطْن [1]

وكان أوس بن حارثة بن لأم الطائي سيدا جوادا مقداماً ، ألبسه النعمان بن المنذر حلّة ، فحسده بعضهم ، وقالوا للحطيئة : اهجه ولك ثلاثمائة ناقة ، فقال كيف أهجو رجلا لا أرى في بيتي مالاً إلاّ منه ، ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفكّ صالحة ... من أهل لأم بظهر الغيب تأتيني

واستجاب بشر بن أبي خازم للهجاء ، فأعطوه النوق ، بعد أن أفحش وذكر أمّه سعدى والتقى أوس مع طيئ بظهر الدهناء ، وهرب بشر ، ونزل على جندب بن حصن الكلابي ، فطلبه أوس فقدم به عليه ، وقال مخاطباً أمّه : أتيتك بالشاعر الذي هجاك ، وقد آليت لاقتلنّه ، فقالت : إنّا قوم لا نرى في اصطناع المعروف من بأس ، ولا يغسل هجاءه إلاّ مدحه ، فقبل رأي أمّه ، وقال : يا بشر ؛ ما تقول أنّي فاعل بك ؟ فقال :

تداركني أوس بن سعدى بنعمةٍ ... وقد أمكنَتْهُ من يديّ العواقبُ

فدًى لابن سعدى اليوم كلُّ عشيرتي ... بني أسد أقصاهم والأقارب

وأمر بحلّ كتافة ، وحمله على فرس ، وأعطاء من ماله مائة من الإبل [2] .

وقد أغار أوس على هوازن في بلادهم فسبى ، فقصده أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة ، فأطلقهم له وكساهم ، فقال عامر :

ألم ترني رحلتُ العيسَ يوماً ... إلى أوس بن حارثة بن لام

إلى ضخم الدَّسيعة مَذحجيّ ... نماه من جديلة خيرُ نام

وفي أسرى هوازن أردكتّهم ... فوارس طيئ ، بلوى برام

---

(١) الميداني ١/١١٩ - ١٢٠ .

(٢) أيام العرب ١٣٨ ، والدهناء : واد يشتمل على سبعة جبال في بلاد بني أسد .

تقرّبَ ما استطاع أبو بجير   وفكُّ القوم من قبل الكلام
فما أوس بن حارثة بن لام   بغُمْرٍ ، في الحروب ، ولا كهام [1]

سادسا : الحرية والإباء

عاش العربي في بيئة قليلة الزرع والعطاء ، لكنّه استعاض عن ذلك بمكاسب معنوية ، حيث عاش حرّاً أبيّاً طليقاً ، لا يطيق ما يظنّ أنّه يمسّ حسبه ونسبه ، قال عمرو بن كلثوم :

بأيّ مشئية عمرو بن هند   نكون لقيلكم فيها قطينا
تهددنا وتوعدنا ، رويدا   متى كنّا لأمّك مقتوينا [2]
متى ننقل إلى قوم رحانا   يكونوا في اللقاء لها طحينا
وأنّا المانعون لما أردنا   وأنّا النازلون بحيث شينا
وأنّا التاركون إذا سخطنا   وأنّا الآخذون إذا رضينا

هذا الشعور بالحرية والإباء جعل العربي يعتز بقوّته وعدته ، قال طرفة :

إذا القوم قالوا من فتى خلتُ أنّني   عنيت فلم أكسل ولم أتلبّد
أنا الرجل الضّرْبُ الذي تعرفونه   خشاشٌ كرأس الحيّة المتوقّد
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني   منيعاً إذا بُلّتْ بقائمة يدي
وإن يلتق الحيّ الجميع تلاقني   إلى ذروة البيت الرفيع المصمّد
ولست بحلاّل التلاع مخافة   ولكن متى يسترفد القومُ أرفد [3]

وقال عمرو بن زيد الغالبي من بني سعد مفتخرا بمآثر أهله :

أبونا الذي أهدى السروج بمأرب   فآبت إلى صرواحَ يوماً نوافلُهْ

---

(١) معجم البلدان : (برام) ، جبل في بلاد سليم ناحية البقيع ، وموضع على عشرين فرسخا من المدينة ، والدسيعة : العطيّة ، ليس بغمر : غير مخاصم ومحاقد ، ولا كهام : لا يبطؤ عن النصرة والحرب .

(٢) معجم البلدان : (خزاز) ٢/١٦٦ .

(٣) معجم البلدان : (الغرائف) ، والديوان ٣٢ ، ٤٠ ، والتصميد : مبالغة الصمد وهو القصد .

لسعد بن خولان رسا الملك واستوى ثمانين حولاً ثم رجّت زلازله [1]

وقال لبيد معتزّاً بقوّتهم وعدّتهم :

فصَلِقْنا في مرادٍ صَلْقةً وصُداءٍ ألحقتْهُمْ بالثلل

ليلة العُرقوب حتى غامرتْ جعفراً تُدعى ورهطُ ابنِ شكَلْ

ومقام ضيّق فرّجتُه بمقامي ولساني وجدَلْ

لو يقوم الفيل أو فيّالُهُ زلَّ عن مثلِ مقامي وزحَلْ [2]

سابعا : الوفاء

كانت الكلمة التي ينطقها العربي عهدا عليه ، يلتزم بما يلفظه لسانه من عهود ومواعيد ، وإلاّ يعرّض نفسه للتشهير ، ويذهب خلفه مثلا ، فقال الأشجعي :

وعدتِ وكان الخُلْفُ منك سجيّةً مواعيد عُرقوب أخاه بيترب [3]

وخير الوفاء وأصدقه ما يكون في أشدّ المواقف ضيقا ، مرّ حنظلة الطائي في يوم بؤس المنذر ، فقال : سل حاجتك قبل موتك ، قال : تؤجلني سنة ، فقال : من يكفلك أن تعود ؟ فتوجّه بالطلب بالكفالة إلى شريك بن عمرو بن شراحيل الشيباني ، فقال :

يا شريك يا ابن عمرو هل من الموت محالَة

يا أخا المنذر فُكّ الـ ـيوم رهناً قد أتى لَه

يا أخا كلّ مضاف وأخا من لا أخا له

رقباك اليوم في المجـ ـد وفي حسن المقاله [4]

(١) معجم البلدان : (صرواح) ، وسعد : هوابن أبي الدمنة سعد بن خولان بن عمرو بن الحالف بن قضاعة ، وهو الذي قلّك بصرواح .

(٢) معجم البلدان : (العرقوب) ، عرقوب الوادي : منحناه ، والعرقوب من أيامهم ، واللسان : صلق ، وثلل ، ورواية « ألحقتهم بالثلل » أي الهلاك ، والصلقة الأصل : الصوت الشديد ، ويريد وقعة ، الديوان ١٤٦ .

(٣) معجم البلدان : (يترب) ، مدينة بحضرموت ، صاحب المواعيد كان بها ، وهو رجل من العماليق ، سأله أخوه ، فقال له : لك طلع النخلة ، فلمّا أتاه قال : دعها حتى تصير بلحا ، فلمّا أبلحت ، قال : دعها حتى تصير بسرا ثم رطبا ، فلمّا أتمرت قطعها ولم يعطه شيئاً فصار مثلا في الخلف .

(٤) معجم البلدان : (غربان) ١٩٩/٤ .

فقال شريك : دمي بدمه إن لم يعد إلى أجله ، فأطلقه المنذر ، ولما حان الوعد قعد المنذر يوم بؤسه منتظرا حنظلة ، فأبطأ عليهم ، فَقُدّم شريك ليقتل وإلاّ براكب قد طلع ، فإذا هو حنظلة بكفنه وحنوطه ، ومعه نادبته ، فعجب المنذر من وفائه وكان ذلك سببا في إطلاقهما معا .

كان الوفاء والحفاظ على الأمانة سائدا ، ولو جرّ ذلك إلى قتال من تسوّل له نفسه الاعتداء على هذه القيمة ، رفض هانئ بن مسعود الشيباني تسليم مال النعمان وأهله إلى كسرى ، فقال : لست مسلمها ، إنها أمانة عندي ، فكان الوفاء بالأمانة سببا في قيام أحداث ذي قار المشهورة وانتصف العرب من العجم ، فقال الأعشى مفتخرا بيوم ذي قار :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي ... وراكبها يوم اللقاء ، وقلّت
كفوا ، إذ أتى الهامُرْز يخفق فوقه ... كظلّ العقاب إذْ هوتْ فتدلّت
فجادت على الهامرز ، وسط بيوتهم ... شآبيب موت أسبلت فاستهلّت [1]

وتأثّر غير العرب بهذه الفضيلة حتى غدا أحدهم مثلا في الوفاء ، فقيل « أوفى من السموءل »[2] ، حيث أتاه الحارث بن ظالم ، وقيل الحارث بن أبي شمّر الغساني ، بشأن أدراع امرئ القيس التي أودعه إياه ، فتحصّن منه السموءل ، فقبض الحارث على ابنه ، واتخذه درعا بشريا ، ليردّ والده الأدراع ، لكن السموءل أبَى أن يسلّم الأمانة ، فذبح الحارث ابنه وهو ينظر إليه ، فقال السموءل :

وفَيْتُ بأدرع الكنديّ ، إنّي ... وإذا ما خان أقوام وفَيْتُ
وأوصى عاديا قِدْماً : بأن لا ... تُهَدِّمْ يا سموءلُ ما بنيتُ
بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وماءً كلّما شئت استقيت [3]

وأشاد الأعشى بوفائه في مدحه لشريح حين وقع أسيرا في قبضة الكلبي الذي كان الأعشى قد هجاه ، فاستغاث بشريح ليخلّصه من الأسر ، مذكّرا إيّاه بكرم أبيه السموءل ووفائه ، فقال :

---

(١) معجم البلدان : (الحنو) ، وحنو ذي قار ، ماء لبكر بن وائل ، الديوان ٤٤ .

(٢) الميداني ٢/٣٧٤ .

(٣) معجم البلدان : (الأبلق) .

شريحُ : لا تتركَنّي بعدما علِقَتْ ... حبالَك اليوم ، بعد القِدّ ، أظفاري
كن كالسموءل ، إذ طاف الهُمَامُ به ... في جحفل كهزيم الليلِ جرّار
بالأبلق الفرد ، من تَيماء ، منزلُه ... حصن حصين وجار غير غدّار
إذا سامه خُطّتَيْ خَسفٍ ، فقال له : ... قل ما تشاء ، فإنّي سامعٌ حار
فقال : ثُكْلٌ وغدر أنت بينهما ، ... فاختر فما فيهما حظ لمختار
فشكّ غير طويل ، ثم قال له : ... أقتل أسيرك إنّي مانع جاري
فاختار أدراعه كيلا يُسَبُّ بها ... ولم يكن وعدُه فيها بختّار [1]

ثامنا : العفّة

في هذه البيئة العربية التي نبتت فيها الفضائل ، اعتزّ العرب بحسن السيرة ، وكان لا بدّ للرجال والنساء من العفّة ؛ لأن مسّ الأعراض يجرّ الحروب وويلاتها كما سبق، فافتخروا بالحفاظ على حرمة الجيران ، فيغمر حاتم الجارات بمعروفه وإحسانه :

وما تشتكيني جارتي غير أنّها ... إذا غابَ بعلُها ، لا أزورها
سيبلغها خيري ، ويرجع بعلُها ... إليها ولم تقصرْ عليَّ ستُورها [2]

وقد أشاد الشعراء بعفّة المرأة ، فالأعشى يستهويه ذات الخلق الطاهر :

شاقتك من قتلة أطلالها ، ... بالشطّ فالوِتْر إلى حاجرِ
فركن مهراس إلى مارد ... فقاع منفوحة ذي الحائر
ليست بسوداء ولا عنفصٍ ... داعرةٌ تدنو إلى الداعر
عبهرةُ الخَلْق بُلاخيّة ... تَشُوبُه بالخُلُق الطاهر [3]

---

(١) معجم البلدان : (الأبلق) ، القدّ : سير من الجلد يربط به الأسير ، والجحفل : الجيش الضخم ، الهمام : قيل الحارث بن أبي شمر الغساني ، والأبلق : حصن السموءل ، والخسف : الإذلال ، حار : تخفيف حارث ، والختّار : الذي يغدر . الديوان .

(٢) الديوان ٥٢ ، يقصر : يردّ .

(٣) معجم البلدان : (المهراس) ، موضع باليمامة من منازل الأعشى ، العنفص : البذيئة ، داعرة : فاسقة ، عبهرة : ممتلئة ناصعة البياض ، بلاخيّة : طويلة ، الديوان ١١٢ .

وهي لذلك حسنة السيرة ، قال الشنفرى :

خرجنا من الوادي الذي بين مشعل ... وبين الجبا ، هيهات أنسأت سربتي
فيا جارتيَ وأنتَ غير مُليمة ... إذا ذُكرت ولا بذات تقلّت
أميمة لا يخزى نثاها حليلها ... إذا ذُكر النسوان عفّت وجلّت
فقد أعجبتني لا سقوط قناعها ... إذا ما مشت ولا بذات تلفّت (١)

وقيل أن وائل بن قاسط بن هنب ... بن جديلة بن أسد بن نزار بن معد بن عدنان ، قد مرّ بأسماء بنت دريم بن القين أم ولد وبرة بن تغلب بواد ، فهمَّ بها ، فقالت : لعلّك أسررت في نفسك منّي شيئا ؟ فقال : أجل ، فقالت : لئن لم تنته لأستصرخنّ عليك ، فقال : والله ما أرى بالوادي أحدا ! فقالت : لو دعوت سباعه لمنعتني منك ، فقال : أوَ تفهم السباع عنك ؟ قالت نعم ، ثم رفعت صوتها يا كلب يا ذئب يا فهد يا دب يا سرحان يا أسد ! فجاؤوا يقولون : ما خبرك يا أمّاه ؟ فقالت : ضيفكم هذا أحسنوا قراه ، ولم تر أن تفضح نفسها عند بنيها فذبحوا له وأطعموه ، فقال وائل : ماهذا إلاّ وادي السباع (٢) .

هذه القصة وإن كانت أقرب إلى الخيال إلاّ أنّها توحي بعفة المرأة العربية ومحافظتها على سمعتها .

تاسعا : المجون

لقد ظهر في المجتمع الغربي الجاهلي الفاجر بجانب العفيف والبخيل بجانب السخيّ ، والجاهل بجانب الحليم ؛ ممّا يشوّه جمال العفة تلك الممارسات الذميمة ، لاسيّما اقتراف الزنا وتعاطي الشراب . فمارس بعض الإماء الدعارة في بلاد العرب ، وكنّ يوهبن ، ويستمتع بهن ، كما كانت القيان يوهبن ، قال الأعشى في مدح قيس بن معد يكرب الكندي :

هو الواهبُ المسمعات الشّرو ... ب ، بين الحرير وبين الكتن (٣)

وقامت بيوت البغايا يأوي إليها الطائشون ، صوّر الشعر هذه الفئة التي كانت

---

(١) معجم البلدان : (جبا) .

(٢) معجم البلدان : (وادي السباع) ٥/٣٤٣ نواحي الكوفة .

(٣) الديوان ٢٤١ ، والمسمعات : القيان .

تتردد على بيوت من لا يتعففن ولا يتصوّنّ من الرجال ، قال الأعشى :

أنّى تـذكُّـرُ ودَّهـا وصفاءهـــا سفهاً ، وأنتَ بصَوّة الأثمـــاد
ولقـد أُرجّلُ جُمّتـي بعشيّـــة للشَّرْب قبل سنابك المُرتـــاد
والبيض قد عنسَتْ وطال جراؤها ونشأنَ فـي قـنٍّ وفـــي أذواد [1]
ولقد أُخالسهنّ مـا يَمْنَعْنَنِـي عُصُراً ، يملْنَ عليّ بالأجيـــاد

ويدخل امرؤ القيس بيوتهن آمنا ، وحريصة على طمس أثرهما شفقة عليه من الفضيحة ، فيقول :

فأتبعتُهُمْ طَرْفي ، وقد حال دونهم غوارب رملٍ ذي ألاءٍ وشِبـــرق [2]
وبيت يفوح المِسك في حجراتـِـه بعيـدٍ من الآفات غيـرَ مُــرَوّقِ
دخلتُ على بيضاء جُمٍّ عظامُهـــا تعفّي بذيل الدرع إذْ جِئْتُ مودِقي

كأن يتسلّل إليها ليلا ، فقال :

ومثلُك بيضاء العوارض طفلـةٍ لعوب تنسّيني إذا قمتُ سِربالي
تنوّرتُها مـن أذْرعـات ، وأهلُهـا بيثـرب ، أدنى دارهـا نظر عـالِ
سموتُ إليها بعد مـا نـام أهلُهـا سمـوَّ حَبَاب الماء حالاً على حـال
وقد علمت سلْمى ، وإن كان بعلها بأنّ الفتى يهذي ولـيس بفعَّـالِ [3]

لكن المجانة لم تكن مما يتغاضون عنه ؛ لأنّ العفة من المعايير التي تقيّم بها الرجال في البيئة العربية ، والمجون يناقض الفضائل التي تغنّى بها العربي ، فكان ذلك سبباً في طرد امرئ القيس حتى أتاه خبر مقتل أبيه فنفى عن عينيه النوم ، وهبّ مطالبا بثأره ، فقال :

---

(١) معجم البلدان : (بلاد) ، بلد قرب حجر اليمامة ، اشتهرت بالسهام ، الصوّة : الغليظ من الأرض ، الأثماد : جمع ثمد ، الماء القليل ، والجمّة : شعر الرأس ، الشّرب : الشاربون ، المرتاد : طالب الخمر ، القن : العبد الملوك ، الأذواد : جمع ذود ، القطيع من الإبل من ثلاثة إلى عشرة . الديوان ٦٨ .

(٢) معجم البلدان : (مطرق) ، موضع في عارض اليمامة ، وغوارب رمل : هضاب رمل ، ألاء : شجر .

(٣) معجم البلدان : (أذرعات) ، بلد في أطراف الشام ، الديوان ٦٠ .

أتاني وأصحابي على رأس صَيْلَعٍ   حديث أطارَ النوم عنّي فأقعما [1]

وانطلقت صرخته : لاسكر غداً ، فقال :

خليليَّ ما فيَ الدار مَصحًى لشارب   ولا في غدٍ إذْ كان ما كان مشربُ

وحبّ الفرع للأصل غريزة قويّة ، لقوله :

تطاول الليل علينا ذمّون

ذمّون إننا معشر يمانونْ

وإننا لأهلنا مُحِبّونْ [2]

وكان الإماء يميّزنَ بأعمال خاصة يقمن بها من خدمة وطهي ورعي الأغنام ، قال النابغة :

وللحارث الجفنيِّ ، سيِّد قومه   ليلتمسَنْ بالجيش دارَ المحارب

تحييهمُ بيضُ الوَلائد بينهم   وأكسية الأضريج فوق المشاجب [3]

وقال أيضاً :

له بفناء البيت سوداء فخمة   تُلقِّم أوصالَ الجزور العراعر

تظلّ الإماء يبتدِرْنَ قديمَها   كما ابتدرت سعدٌ مياهَ قُراقر [4]

وقال امرؤ القيس :

إذا ما ركبنا ، قال ولدانُ أهلنا :   تعالَوْا ، إلى أن يأتنا الصيد ، نحطب [5]

عاشرا : الخمر

وأمّا الخمر فقد كان شربها عرفا يتمدّح به المجتمع الجاهلي ، أولع العرب بها ، وافتخر الشعراء بتعاطيها ، ليشاركوا في الحروب غير هيّابين بالخصم ، قال حسان :

---

(١) معجم البلدان : (صيلع) ، موضع كثير البان ، ورد خبر مقتل أبيه به ، الديوان ٢٢٦ .

(٢) معجم البلدان : (ذمون) .

(٣) معجم البلدان : (حارب) ، موضع من أعمال دمشق ، من ديار قضاعة ، والحارث الجفنيّ : هو ابن أبي شمر الغساني ، والولائد : الإماء ، الإضريج : كساء من جلد ، والمشجب : لنشر الثوب ، الديوان ٢١ .

(٤) معجم البلدان : (قراقر) ، يمدح النعمان ، ابتدر : سبق ، الديوان ٧٩ .

(٥) معجم البلدان : (أخرب) ، موضع بأرض بني عامر ، لم يرد في الديوان .

كـأنّ سبيئـة مـن بيـت رأس ... يكـون مزاجَهـا عسـل ومـاء

فنشربها ، فتتركنا ملـوكـاً ... وأسْداً ما ينهنهُنا اللقـاء [1]

وحسبوا شربَهَا بحمى أولات الأمور مفخرة وباعثا للكرم ، قالت خرنق بنت هفّان بن بدر :

فكم بقُلابَ من أوصال خرْقٍ ... أخي ثقـة وجمجمـة فليـق

ندامى للملوك إذا لقوهـم ... حيَوْا وسقوا بكأسهم الرّحيـق [2]

وقال الشمردل بن شريك اليربوعي :

شربت ونادمت الملوكَ فلـم أجـد ... على الكأس ندماناً لها مثل ديكل

ترى البازلَ الكوماء فوق خِوانـه ... مفصّلة أعضاؤهـا لـم تفُصّـل [3]

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا هبّي بصحنـك فـاصبحنـا ... ولا تبقِـي خمور الأندرينـا [4]

ترى اللّحِزَ الشحيحَ إذا أُمِـرّتْ ... عليـه لمالـه فيهـا مهينـا

وقالت أمّ تأبطّ شرا :

يجدّلُ القِرْنَ ويَروي النّدْمـان ... ذو مأقِطٍ يحمي وراء الإخـوانْ [5]

وكانوا يترددونَ على الأديرة للشرب ، فقال أميّة بن أبي الصلت :

يا دير مرحنّا لنـا ليلـة ... لو شريت بالنفس لم تبخـس

نشربها صهباء مشمـولـة ... تُغني عن المصباح في الحنـدس [4]

---

(١) معجم البلدان : (بيت راس) ، بالأردن ، كانت كثيرة الكروم ، وأخرى نواحي حلب ، سبيئة : اسم الخمرة ، هذا البيت آخر ما قاله من قصيدته الهمزية في الجاهلية ، وقال بعد الإسلام : هذا شئ قلته في الجاهلية ، والله ما شربتها منذ أسلمت .

(٢) معجم البلدان : (قلاب) ، جبل بديار بني أسد ، من أيامهم المشهورة ، قالت ترثي بشر بن عمرو بن مرثد ، الرحيق : من أسماء الخمر .

(٣) معجم البلدان : أبرق ذات مأسل .

(٤) معجم البلدان : (أندرين) ، موضع قرب حلب ، واللحز : الشحيح ، الديوان ٥٥ .

(٥) معجم البلدان : (رُخمان) ، موضع في ديار هذيل عنده قتل ، والمأقط : الثقيل من الرجال .

(٤) معجم البلدان : (ديرمرحنّا) ، بمصر على شاطئ بركة « الحبش » والحندس : الظلمة .

والأعشى كان يزور أساقفة نجران ، والعاقب والسيد وهما ملكا نجران ، يقيم عندهما ما يشاء ، يسقونه الخمر ، فقال :

وكعبة نجران حتم عَليـــ ... ـك حتي تُناخي بأبوابهــــا

تزور يزيداً وعبدَ المسيح ... وقيساً همُ خيرُ أربابهــــا

وبَرْبَطُنا مُعمـلٌ دائــم ... فأي الثلاثة أزرى بهــــا ؟ (١)

واستخدموها سلعة في تجارتهم ، قال المرقّش الأصغر :

وما قهوة صهباءُ ، كالمسك ريحها ... تُعَلُّ على الناجود طَوْراً وتُقْدَح

سباها تجار من يهود تـواعـدوا ... بجيلان ، يُدنيها الى السوق مربحُ (٢)

كان الأعشى كثير السفر ، والبلدان التي كان يحلّها كانت كثيرة الكروم ، فبرع برسم صور الخمرة ، وشبه ريق المحبوبة بها ، فقال :

كأنّ جَنِيّاً مـن الزَّنْجبيـــــــــ ... ـــل خالـطَ فاها ، وأرْياً مَشـورا

وإسنفـطُ عانـة بعـد الرُّقـا ... دِ شكَّ الرصاف إليهـا غديـرا (٣)

وقال أيضا :

متى تُسقَ من أنيابها بعد هجعة ... من الليل شُرْبا حين مالت طلاتها

تَخَلْه فَلَسْطِيّاً إذا ذقـت طعمَـه ... على رَبِذات النيِّ حُمْشٍ لِثاتُهـا (٤)

---

(١) معجم البلدان : (دير نجران) ، باليمن لآل عبد المدان في بني الحارث بن كعب ومنه جاء القوم لمباهلة النبي - صلى الله عليه وسلم - العاقب والسيد وإيليا أسقف نجران ، وسمّوا بيعتهم (كعبة نجران) ، مضاهاة للكعبة ، الديوان ٣٧ .

(٢) معجم البلدان : (جيلان) ، وجيلان قوم من الفرس نزلوا طرف البحرين ، والعلّ : الشربة الثانية ،عللٌ بعد نَهَل ، والناجود : إناء الخمر ، والأقداح : للشرب ،سباها : حملها من بلد إلى بلد فهي سبيّة ، وإذا اشتريت للشرب ، فيقال : سبِئت ، ويقع السبي على النساء ، لأنهن يسبِيَن الأفئدة ، ويُمْلَكْن .

(٣) معجم البلدان : (عانة) ، الجنيّ : من جني التمر ، يقطفه ، الزنجبيل : نبات طيّب الرائحة ، الآري : العسل ، وشار العسل : جمعه ، والإسفنط : رومية معرّبة ، شراب العنب ، والرصاف : رصف الحجارة ، الديوان ١٠٨ .

(٤) معجم البلدان : (فلسطين) ، جعل النسبة « فَلَسطي » ، الطلاة : جمع الطلي وهي الأعناق ، مالت طلاتها : أي للنوم ، النيّ : الشحم ، الربذة النيّ : الخفيفة ، الحمش : اللطيفة ، الديوان ٤٢ .

وقال زهير :

كأنّ ريقتَها بعد الكرى اغتبقتْ ... من طيب الراح لمّا يَعْدُ أن عَتُقَا [1]

ويتعاطاها امرؤ القيس صَباحا عند صاحباته :

أغادي الصبوح عند هرّ وفرتنا ... وليداً ، وما أفنى شبابي غير هر [2]

وقال الأعشى مشبّهاً الخمر بالزعفران والعندم :

سُلافٍ كأنّ الزعفرانَ وعَنْدَما ... يصفّقُ في ناجودِها ثم تُقطب

لها أرَجٌ في البيت عالٍ كأنّه ... ألمَّ به بحر دارين أركب. [3]

وكان الأعشى أيضا يتّجر بها ، وله معصر للخمر ، فقال :

فقلتُ للشّرْب في درنا ، وقد ثملوا: ... شيموا ، وكيف يشيُم الشارب الثمل !

وقال أيضا :

وإنّ لنا درنا ، فكلّ عشيّة ... يُحطّ إلينا خمرُها وخميلُها [4]

وقال أيضاً :

أحبّ أثافة ذات الكرو ... م ، عند عصارة أعنابها. [5]

وقال أيضاً :

ولقد شربتُ الخمرَ تر ... كضُ حولنا تركٌ وكابُلْ

كدم الذبيح غريبة ... مما يعتّق أهل بابلْ [6]

---

(١) معجم البلدان : (لينة) ، ماء لغاضرة ، شرح الديوان ٥٢ ، الغبوق : شرب العشي .

(٢) معجم البلدان : (هكر) ، باليمن .

(٣) معجم البلدان : (دارين) ، موضع بحلب ، السلاف : الخمر ، العندم : نبت أحمر ، الناجود : إناء فخار ، تقطب : تمزج .
الأرج : الرائحة الديوان ٢٧ .

(٤) معجم البلدان : دُرنا ، من منازل الأعشى باليمامة ، بها قبره ، شام البرق : نظر إليه، والخميل : الطعام اللين، الديوان ١٧٦.

(٥) معجم البلدان : (أثافت) ، كانت تسمى « درنا » في الجاهلية .

(٦) معجم البلدان : (كابل) من ثغور طخارستان ، عاصمة أفغانستان الآن ، أهل كابل ، الترك : يعني التركستان ، يركض :
يرقص ، غريبة : نقلت من معاصرها الأولى ، الديوان ١٨٧ .

كما وصوّرها غيره ، وافتخروا بها ، قال عدي بن زيد :

نادمتُ في الدير بني عَلْقما عاطَيْتُهم مشمولةً عندما

كأنّ ريح المسك من كأسها إذا مزجناها بماء السما [1]

وقال أبو الصلت والد أميّة :

ويانعٌ من صنوف الكرم عنجدُنا منه ، ونعصره خَلاً ولذّانا

قد ادهامّتْ وأمست ماؤها غدق يمشي معاً أصلها والفرع أبّانا [2]

وقال حسان :

يسقون من ورد البريصَ عليهمُ بردى يصفّق بالرحيق السلسل [3]

وقال امرؤ القيس :

كأنّ مكاكي الجواء ، غُديّة صُبِحْنَ سُلافاً من رحيق مسلسل [4]

وأعظم دليل على ولوعهم بالخمر ، بأنهم يضحّون بكل غال في سبيلها فَيرْهَنُ أحدهم امرأته على شراب ، شرب عروة بن الورد في حيّ بني النضير حتى غلِقَتْ زوجته فرهنها ، فقال :

سقَوْني الخمر تكنّفوني عُداة الله من كَذِبٍ وزُور

أطعمتُ الآمرين بصَرْم سلمى فطاروا في بلاد اليستعور [5]

---

(١) معجم البلدان : (دير علقمة) ، نسبة إلى علقمة بن عدي بن غارة اللخمي .

(٢) معجم البلدان : (وج) ، الطائف ، سميت بوجّ بن عبدالحق من العمالقة ، العنجد : الخمر ، و الخل : ما حمض من عصير العنب ، رجل لذّ : ملتذ ، « لذة للشاربين » أي لذيذ ، ادهام الزرع : علاه السواد من الريّ وادهام : مقطع مرفوض تقصر نواته « أدهأم » وإبان كل شيئ : وقته وحينه .

(٣) معجم البلدان : (البريص) ، باب البريص بدمشق ، الرحيق : صفوة الخمر ، وسلسل : ليّنة ، الديوان ٢٩١ .

(٤) معجم البلدان : (جواء) ، نواحي اليمامة ، مكاكي : جمع المكاء ، طير ، الديوان ٥٤ .

(٥) معجم البلدان : (اليستعور) ، موضع قرب المدينة ، ورواية الديوان ٤٨ « سقوني النَّسْءَ » المسكر الذي ينسئ العقل ، وينسي الحب ، تكنّف : أحاط ، الصرم : الهجر .

وتجشّموا بها متاعب الرحلة ليأتوا بها إلى أسواقهم ، فقال أبو ذؤيب :

سُلافة راح ضمّنتها إداوةٌ	مقيّرةٌ ردف لمؤخرة الرحل
تزوّدها من أهل بُصرى وغزة	على جسرة مرفوعة الذيل والكَفْل
فوافى بها عُسفان ثم أتى بها	مجنّة تصفو في القلال ولا تغلي [1]

(١) معجم البلدان : (مجنة) ، ناقة جسْرة : ضخمة ، والكَفْل : ردف العجُز ، و (عسفان) ٤/١٢١ بين الجحفة ومكة .

الفصل الثالث

الجانب الديني

١ - الأصنام

تعددت المعبودات لدى الأمم البدائية ، وقيل أن عمرو بن لحيّ قد كان سببا بانتشار الأصنام في بلاد العرب ، ومن خبره أنه مرض فوُصف له حمّة البلقاء . فأتاها فاستحمّ بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا نستقي بها المطر ونستنصر بها على العدو ، فقدم بها مكة و نصبها حول الكعبة ، واقتدى به العرب واتخذوها للعبادة [١] . وجنحوا إلى عبادة الأوثان والحجارة ، ولم يكن حيّ من أحياء العرب إلاّ ولها صنم يعبدونها يسمونها أنثى بني فلان [٢] ، ومنه قوله تعالى « إن يدعون من دونه إلاّ إناثا » [٣] .

فكانت مناة أقدم أصنامهم التي عبدوها منذ أدخل عمرو بن لحي عبادة الأصنام ، وكانت تعظمه الأوس والخزرج ومن يحلّ المدينة ومكة ، فإذا نفروا من الحج أتوا مناة وحلقوا رؤوسهم عنده ، ولا يَروْن لحجّهم تماماً إلاّ بالذبح والهدي له ولإعظامهم له يقول عبد العزّى بن وديعة :

إنّي حلفتُ يمين صدق برّةً   بمناة عند محلّ آل الخزرج [٤]

وقد ذكرها الله تعالى في قوله « ومناة الثالثة الأخرى » [٥] ، وكانت مناة لهذيل وخزاعة ، وتعظّمها قريش وجميع العرب ، حتى بعث عليه السلام عليّاً إليها عام الفتح

---

(١) معجم البلدان : (مناة) ، و (حمّة) ، العين الحارة يستشفى بها .

(٢) والكلبي ، هشام بن محمد : الأصنام ، واللسان ، صنم .

(٣) النساء ١١٧ .

(٤) معجم البلدان : (مناة) ، كانوا يسمّون الأوس والخزرج جميعا الخزرج .

(٥) النجم ٢٠ .

فهدمها وأخذ ما كان لها ، ومما أخذه سيفا الحارث بن أبي شمّر الغسّاني : مِخذم ورسوب، ذكرهما علقمة بن عبدة فقال :

مظاهر سربالَيْ حديدَ عليهما		عقيلاً سيوفَ مخذمٍ ورَسوب [1]

اللاّت :

اتخذها أهل الطائف ، كانت صخرة مربّعة ، تعظمها قريش وسائر العرب ، ويعكف عليها أهل ثقيف ويطوفون بها ، وقيل أنها سميت برجل كان يلتّ عندها السمن بالزيت ويطعمه الحجيج ، فلما مات عبدوها ، وبها سمّوا زيد اللات وتيم اللات ، ولها يقول عمرو بن الجُعيد :

فإني وتركي وصل كأس لكالذي		تبرأ من لاتٍ وكان يدينها

وقال المتلمس في هجاء بن المنذر :

أطردتني حذر الهجاءَ ولا		واللات والأنصاب لا تئل [2]

وحينما أسلمت ثقيف ، بعث عليه السلام ، المغيرة بن شعبة فحرقها ، فقال شداد ابن عارض الجشمي :

لا تنصروا اللاّت إنّ الله يهلكها		وكيف نصركُم من ليس ينتصر ؟

إنّ التي حُرّقت بالنار واشتعلت		ولم يُقاتل لدى أحجارها هدَرُ [3]

العزّى

كانت أعظم الأصنام عندهم ، يطوفون بالكعبة ويرددون : واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، إنها الغرانيق العُلا وشفاعتهن لترتجى [4] ، وزعموا أنها بنات الله تعالى « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا

---

(١) معجم البلدان : (مناة) ، وسموا به عبد مناة ، وهو ابن أدّ بن طابخة ، وزيد مناة وهو ابن تميم بن مرّ ، اللسان : منى .

(٢) معجم البلدان : (لات) .

(٣) معجم البلدان : (لات) .

(٤) اللسان : غرنق : الغرانيق : جمع الغُرنيق ، وهي في الأصل الذكور من طير الماء ، ويقصد بها الأصنام كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم فشبّهت بالطيور التي تعلوا في السماء .

قسمة ضيزى ، إن هي إلاّ أسماء سميّتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان »[1]

وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حُراض [2]، فبني عليها بيت ، كانوا يزورونها ويهدون لها ، وللعزى يقول درهم بن زيد الأوسي :

إني وربَّ العُزّى السعيدة واللّـ　　ـه الذي دون بيته سرف [3]

وبعد فتح مكة بعث عليه السلام ، خالداً إليها ، وكما سمع سادنُها وهو دُبيّة بن حَرْمي السلمي الشيباني ، هرب في الجبل الذي هي فيه ، وهو يقول :

أعُزّيَ شُدّي شدّة لا تكذّبي　　على خالد ألقى الخمار وشمّري

فإنك إلاّ تقتلي اليوم خالداً　　فبوئي بذلّ عاجل وتنصّري [4]

وزعموا أنها خرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس ، فضربها خالد بالسيف فقال :

يا عزُّ كفرانك لا سبحانك　　إني رأيت اللّه قد أهانك [5]

سُواع

وقد سمّوا بعض أصنامهم بأسماء كانت منذ عهد نوح عليه السلام فاتخذت هذيل سواعاً فكان لهم برُهاط[6] من أرض ينبع ، وكانت سدنته بني لِحيان ، قال رجل من العرب :

تراهم حولَ قَيْلِهِمُ عكوفاً　　كما عكفتْ هذيل على سُواع

يظلّ جنابه صرعَى لديه　　عتائر من ذخائر كلّ راع [7]

---

(١) النجم ، الآيات من ١٩ – ٢٣ .

(٢) معجم البلدان : (حُراض) ، قرب مكة بين المشاش والغمير حَمتْ قريش به شعبا للعزى يقال له (سُقام) ، يضاهئون به حرم الكعبة.

(٣) معجم البلدان : (عُزّى) .

(٤) معجم البلدان : (عزى) .

(٥) معجم البلدان : (عزى) .

(٦) معجم البلدان : (رُهاط) ، موضع على ثلاث ليالٍ من مكة ، في بلاد هذيل .

(٧) معجم البلدان : (سُواع).

وَدّ

اتخذته بنو وبرة من كلبَ بدومة الجندل [1] ، وكانت سدانته لبني الفرافصة الكلبيين ؛ قال الشاعر :

حيّاك ودّ وإنّا لا يحلّ لـــه   لهوُ النساء وإن الدّين قد عزما

وبعث ، عليه السلام ، خالداً ، فقتل بني عبد ودّ وهدمه ، وكان فيمن قُتل قطن بن شُريح فقالت أمّه :

يا جامعاً جامع الأحشاد والكبد   يا ليت أمّك لم تولد ولم تلد [2]

يغوث

اتخذته مَذحج وأهل جُرش [3] ، قال الشاعر:

وسار بنا يغوث إلى مُـــزاد   فناجَزْناهم قبلَ الصبـــاح [4]

مكانة الأصنام في نفوسهم

تدل كثرة الأصنام التي اتخذها العرب على مكانتها عندهم وإخلاصهم لها ، وحينما يُخلف أحدهم وعدَه يُذكّر بمكانة الصنم ، فقال خِداش بن زهير العامري مخاطبا عثعث بن وحشي الخثعمي :

وذكّرْته باللّه بيني وبينه   وما بيننا من مدّة لو تذكّرا

وبالَمرْوة البيضاء ثم تبَالة   ومجلسة النّعمان حيث تنصّرا [5]

(١) معجم البلدان : (دومة الجندل) ، بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء ، كانت به بنو كنانة من كلب .

(٢) معجم البلدان : (ودّ) ، أكثر القراء بالفتح ، وتفرّد نافع بالضم ، وهو صنم كان لقوم نوح ، بعد الطوفان التقطها عمرو بن لحيّ من على شطّ جدّة ، ودعا العرب إلى عبادتها ، فأجابه عوف بن عذرة القضاعي ودفع إليه ودّاً وأقرّه بدومة الجندل وسمّى ابنه عبد ودّ .

(٣) معجم البلدان : (جُرش) ، من مخاليف اليمن ، سكنها بنو منبّه بن أسلم من سبأ فغلبت على اسمهم .

(٤) معجم البلدان : (يغوث) .

(٥) معجم البلدان : (الخَلصة) ، ذو الخلصة من أصنامهم ، مروة بيضاء بتبالة وسدنتها بنو أمامه من باهلة بن أعصر ، تعظمها خثعم وبجيلة وأزد السَّراة .

وقاتل بعضهم لحمايتها ، كما حدث بعد فتح مكة ، جاء جرير بن عبدالله البَجلي الرسول مسلماً فوجّهه إلى ذي الخَلصة فقاتلته خثعم ، وتغلّب عليهم وهدم بنيان ذي الخلصة ، فقالت امرَأة من خثعم :

وبنو أمامة بالوليّة صُرِّعوا شَمَلا ، يعالج كلُّهم أنبوبسا
جاؤوا لبيضتهم ، فلاقوا دونها أسداً يقبّ لدى السيوف قبيبا
تسم المذلّة بين نسوة خثعم فتيان أحمس قسمةً تشعيبا [١]

وحدثت حروب بين بعض قبائل اليمن فكانت موقعة الرّزم بسبب الأصنام ، فقال مالك بن كعب بن عامر الشاعر الجاهلي :

كفينا غداةَ الرّزم همدان آتياً كفاه وقد ضاقتْ برزمٍ دروعُها [٢]

القسم بها :

ورد القسم على ألسنة الشعراء ، فأقسم طرفة بالنُّصْب في قوله :

فأقسمتُ عند النصب إني لهالكٌ بملتفّة ، ليست بغبط ولا خَفْضِ [٣]

وأقسم المتلمس بالأنصاب واللاّت في هجاء عمرو بن المنذر :

أطردتَني حذرَ الهجاء ولا واللاّت والأنصاب لا تئل [٤]

وأقسم عبد العزى بن وديعة المزني بمناة ، فقال :

إني حلفتُ يمين صدق برّةً بمناة عند محلّ آل الخزرج [٥]

---

(١) معجم البلدان : (خلصة) ، والولية ، موضع في بلاد خثعم ، أنبوب : رمح ، تقبّ : تصخب .

(٢) معجم البلدان : (رزم) ، موضع في بلاد مراد ، فيه كان يوم بين مراد وهمدان والحارث بن كعب في اليوم الذي كانت فيه بدر ، بسبب (يغوث) الذي كان منصوباً على أكمة (مذحج) ، وبها سمّيت أم مالك وطئ لإقامتها عليهما بعد بعلها أدد ، واللسان : ذحج .

(٣) معجم البلدان : (أسبذ) ، قرية بالبحرين كانت للمنذر بن ساوى صاحب هجر الذي كاتبه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، والخفض : دعة العيش ، الديوان ٦٥ .

(٤) معجم البلدان : (لات) .

(٥) معجم البلدان : (مناة) .

وحلف أبو طالب بإساف ونائلة حين تحالفت قريش على بني هاشم ، فقال :

أحضرتُ عند البيت رَهْطِي ومَعْشري ... وأمسكتُ من أثوابه بالوصائـــل

وحيث يُنيخ الأشعرونَ ركابَهـــم ... بمفضى السيول ، من إساف ونائل [1]

وحينما حمتْ قريشَ للعزى شعباً من وادي حُراض يقال له سقام ، يضاهون به حرم الكعبة ، حلف أبو جندب الهذلي فقال في امرأة كان يهواها :

لقد حلفت جهداً يميناً غليظـــة ... بِفَرْعِ التي أحمت فروع سُقــام

يعزّ عليه صرمُ أمّ حُويـــرث ... فأمسى يرومُ الأمر كلّ مــرام [2]

وحلف زهير بأنصاب الأقيصر في قوله :

حلفت بأنصاب الأقيصر جاهـداً ... وما سُحِقتْ فيه المقاديم والقمل [3]

وحلف الشنفرى بأثوابه :

وإن امرأً قد جارَ عمراً ورهطَــهُ ... عليَّ ، وأثوابِ الأقيصر تعنَـفُ [4]

كما حلف زيد الطائي بعائم في قوله :

تخبّر من لاقيتَ أنّي هزمتُهـم ... ولم ندرِ ما سيماهمُ لا وعائـم [5]

وذكروا القرابين التي كانت تذبح عندها ، في قول رجل في سُواع :

يظلّ جنابُه صرعى لديـــه ... عتائر من ذخائـر كـلّ راع [6]

---

(١) معجم البلدان : (إساف) ، وناثلة صنمان كانا بمكة ، وإساف اسم رجل من جرهم إساف بن يعلى عشق نائلة بنت زيد من جرهم ، وجدا غفلة في البيت ففجر بها فمُسخا حجرين ووضعا عند الكعبة للاتعاظ ، ودعا عمرو بن لحي الخزاعي لعبادتهما .

(٢) معجم البلدان : سُقام .

(٣) معجم البلدان : (الأقيصر) ، صنم كان لقضاعة ولخم وجُذام وعاملة وغطفان في مشارف الشام ، يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده ، ولربما خبزوا الشعر مع الدقيق والقمل الديوان ٧٩ .

(٤) معجم البلدان : (الأقيصر) .

(٥) معجم البلدان : (عائم) ، صنم لأزد السراة .

(٦) معجم البلدان : (سُواع) .

وقال الحارث بن حلزّة :

عنَناً باطلاً وظلماً ، كما تُعْـــ ــتَرُ عن حُجرة الرَّبيض الظِّباءُ [1]

زعموا أن كلّ من ضرب العَيْــ ـرَ مُـوال وأنّا الـولاء

وكانوا يَعْتِرون عند الحجارة المنصوبة ، ويدورون حولها ، فشبّه امرؤ القيس الظباء في مشيها وطول أذنابها بفتيات يدرْنَ حول الصنم في قوله :

فتُوضح فالمقراة لم يعفُ رسمُها لِما نسجتْها من جنوب وشمال [2]

فعنَّ لنا سرب كأنّ نعاجَه عذارى دُوار في مُلاءٍ مُذيّل

وكانوا يذبحون الفُرع [3]، أولَ نتاج الناقة تقرباً لها ، ويطوفون بها كطواف البيت ، قال ربيع بن ضُبيع الفزاري :

فإنني ، والذي نُعم الأنام لـه حولَ الأقيصر تسبيح وتهليل [4]

٣- حجّ الجاهلية

كرّم الله تعالى النوع البشري فسكن آدم وزوجه الجنة ، لكن الشيطان أزلّهما وجاء الأمر الربّاني « اهبطا منها جميعا » [5] وقضت حكمة الله تعالى أن يعمر آدم الأرض ، فاحتجت الملائكة « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك » [6] وكان الردّ الربّاني « إني أعلم مالا تعلمون » [7] وأحسّ الملائكة بالخطيئة ، فطافوا بالعرش

---

(١) معجم البلدان : عَيْر واللسان ، عتر ، كان العرب في الجاهلية إذا طلب أحدهم أمراً نذر ليذبحن من غنمه في رجب إن بلغت مائة ، فإذا بلغت صاد ظبياً ليذبحه ، وهي الرّبيض ، فيقول : أخذتمونا بذنب غيرنا كما أخذت الظباء مكان الغنم ، والعنن : الاعتراض ، والعتيرة : ذبيحة كانت تذبح للأصنام في رجب ، والحجرة : الناحية ، الديوان ٢٥ ، ٤٧ .

(٢) معجم البلدان : (مقراة) ، موضع بين إمّرة وأسود العين ، والديوان ٤٩ .

(٣) معجم البلدان : (الفرع) ، عند ما يتم عدد الإبل مائة يقدم بكراً ينحر للصنم .

(٤) معجم البلدان : (الأقيصر) .

(٥) طه ١٢٣ .

(٦) البقرة ٣٠ .

(٧) البقرة ٣٠ .

سبعاً مرددين « لبيك اللهم لبيك ربنا معذرة إليك نستغفرك ونتوب إليك »[1] فأوصى إليهم أنِ ابنوا لي في الأرض بيتاً يطوف به من عبادي من أغضب عليه فأرضى عنه كما رضيت عنكم . فكان مكانَ الكعبة أوّل ما خُلق من الأرض ، ثم دحا الأرض من تحتها فهي سرّة الأرض ووسط الدنيا ، وأمّ القرى . ولم يزل البيت منذ هبط آدم معظما لدى الأمم ، أراد الله تعالى عمارته الماديّة والمعنويّة فبوّأ مكانه لإبراهيم ، عليه السلام ، ولمّا فرغ من البناء أتاه جبريل ، عليه السلام ، وأراه المناسك كلّها ، ثم أمره اللّه تعالى أن يؤذّن بالحج « وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق »[2] ، فليست أمّة في الأرض إلاّ وهم يعترفون بقِدم البيت وفضله ، وأنّه من بناء إبراهيم ، عليه السلام ، حتى اليهود والمجوس والصابئة [3] . وأوّل من كسا البيت تبّع ، فقال :

وكسَوْنا البيت الذي حرّم اللّـ ـه ملاءً معضّداً وبُـــرودا

وأقَمْنا به من الشّهر عشــراً وجعلنا لبابَه إقليــــدا [4]

وطاف بالبيت أسلاف الفرس ، قال الشاعر :

زمزمتِ الفُرس على زمــزم وذاك في سالِفها الأقـــدم

وافتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام :

وما زِلْنا نحجّ البيت قِدْمـا ونلقي بالأبـاطـح آمنينـــا

وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق بأصيدينا

وطاف به وزمزمَ عند بئـر لإسماعيل تروي الشاربينـا [5]

كانوا يذبحون للأصنام ويطوفون حولها ، وهم على علم بفضل الكعبة عليها ، قال جعفر بن خلاّس الكلبي :

نفرتْ قلوصي من عتائر صُرّعتْ حولَ السّعير يزوره ابنا يَقْدُمِ

---

(١) معجم البلدان : (كعبة) .

(٢) الحج ٢٧ .

(٣) معجم البلدان : (كعبة) .

(٤) معجم البلدان : (كعبة) ، لبابه : خباره .

(٥) معجم البلدان : (زمزم) .

وجموعٍ يَذْكُرَ مهطعين جنابةً   مـا إن يجيـز إليهم بتكلّـم [1]

وكانوا يحجّون إلى الكعبة كلّ سنة ، إذ غدت الأسواق الكبرى ومواسم الحج في الجاهلية مشاهد يقد إليها العرب من كلّ فج عميق ؛ « ليشهدوا منافع لهم »[2] فيجتمعون بسوق عكاظ[3] شهر شوال وأول ذي القعدة إلى عشرة أيام منه ، ثم بالمجنة[4] بقيّة ذي القعدة ، ثم ينتقلون إلى سوق ذي المجاز [5] بجانب عرفة أول ذي الحجة ، ثم ينصرفون إلى عرفات حيث الموقف الأعظم .

وتميزت مكة بمكانتها الدينيّة ، وهذه المكانة كانت كفيلة بسلامة سكان الحرم ، يجوبون الصحراء آمنين على أرواحهم وأموالهم ، فحقّ عليهم أن يعرفوا قدر هذه النعمة، ويشكروا الله تعالى عليها « فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف »[6] ؛ فشرّف الله تعالى مكة ؛ لم يملكها أحد ، وتحجّ إليها الملوك ، وذكر عزّ أهلها الشعراء لقول بعضهم :

أبَوْا دين الملوك فهم لقـــاحٌ   إذا هيجوا إلى حرب أجابوا [7]

ويحجون البيت ويقيمون المناسك ، يكتنّون بالقباب في أشهر الحج والحرم ، ويحرمون بثياب الحرم إمّا شرًى وإمّا عارية هبة ، وإلاّ طافوا عرايا . على أنّ المرأة كانت تطوف في درع مفرّج المقاديم والمآخير ، قالت ضباعة بنت عامر بن قرط :

اليوم يبدو بعضة أو كلّـه   وما بدا منـه فـلا أحلّـه [8]

وكانت النساء يشددن الرهط في أوساطهن عند الطواف في البيت [9] ، ولا يتم

(١) معجم البلدان : (سُعير) ، صنم لعنزة ، يقدم ويذكر : ابنا عنزة .

(٢) الحج ٢٨ .

(٣) معجم البلدان : (عكاظ) ، ثلاث ليال من مكة ، وليلة من الطائف ، وكان هناك صخور يطوفون بها أيضا .

(٤) معجم البلدان :(مجنة) ، أسفل مكة على قدر بريد منها ، قيل البريد بالبادية اثنا عشر ميلا ، وبالشام وخراسان ستة أميال.

(٥) معجم البلدان : (المجاز) على فرسخ من عرفة ، الفرسخ ثلاثة أميال .

(٦) قريش ٣ ، ٤ .

(٧) معجم البلدان : (مكة) .

(٨) معجم البلدان : (مكة) ، وأعلام النساء : عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة : بيروت ، ط٤، ١٩٨٢ ، جـ٢/٣٥٤ .

(٩) معجم البلدان : (رهط) ، الرهط ، جلد يشقق سيورا .

حجهم في الجاهلية حتى يطوفون حول الكعبة مصفّرين ومصفّقين صفير المكاء « وما كان صلاتهم عند البيت إلاّ مُكاء وتصدية [1] » ، وكان أشراف العرب إذا حج أحدهم لم يأكل إلاّ طعام رجل من الحرَم ولم يطف إلاّ في ثيابه [2] ، فكانت قريش تتولى مهمة صنع الطعام وسقي الحجيج أيام الموسم [3] .

وإذا قضوا نسكهم يُجيزهم قوم مخصوصون ، كانت أولاً لقبيلة صوفة من جرهم ، وفيهم يقول الشاعر :

ولا يريمون في التعريف موقعهم   حتى يقال أجيزوا آل صوفانا [4]

ثم صارت إلى رجل من عدوان يقال له أبو سيّارة أحد بني سعد ، وفيه يقول الراجز :

خلّوا السّبيل عن أبي سياره

وعن مواليه بني فزاره

حتى يجيز سالماً حماره

مستقبل الكعبة يدعو جاره [5]

فيتقدّمهم على حماره خطيباً : اللهم أصلح بين نسائنا ، واجعل المال في سمحائنا وأوفوا بعهدكم وأكرموا جاركم واقروا ضيفكم ، اشرق ثبير كيما نغير [6] .

ولبيتِ الله حرمته تكفّل برعايته ، حينما حاول أبرهة التعدّي عليه كان الجزاء من السّماء ؛ لأنّ للبيت رباً يحميه [7] ، « وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » [8] .

---

(١) الأنفال ٣٥ ، وقراءة بنصب "صلاتَهم" خبر كان مقدم .

(٢) معجم البلدان : (حرم) ، حرم مكة له حدود قديمة بيّنها إبراهيم عليه السلام وحدّه نحو عشرة أميال ، ما زالت قريش تعرفها في الجاهلية وأقرّهم الإسلام على ذلك .

(٣) معجم البلدان :(مكة) .

(٤) معجم البلدان : (مكة) .

(٥) معجم البلدان : (ثبير) ، من جبال مكة ، سمي بثبير لحجبه الشمس عن الشروق أول طلوعها .

(٦) معجم البلدان : (ثبير) ، أي يسرعون إلى النّحر .

(٧) ابن هشام ١/٤٢ .

(٨) الفيل ٣ ، ٤ ، ٥ .

ويمسخ الله تعالى من يتجاوز حرمة البيت ، فكان المسخُ مصير عشيقين من جرهم، إساف بن يَعلى ، ونائلة بنت زيد ، أحبها باليمن ، وفي موسم الحج دخلا الكعبة في حين غفلة من الناس ، فجر بهَا فمُسخا حجرين ووضعا عند الكعبة ليكونا عظة للناس ، قال بشر بن أبي خازم الأسدي :

عليه الطير ما يدنون منــــه مقامات العوارك من إساف [1]

ولعدم الوعي التام بعظمة قدسيّة الكعبة عند الله تعالى ، كانوا يظنّون أنّ أيّ بناء متقن الهندسة على غرار الكعبة يستطيع أن يستميل قلوب الناس ، فحضرت رجلاً من جهينة يقال له عبد الدار بن حُديب فكرة بناء بيت بديارهم فأبى قومه ، فقال :

ولقد أردتُ أنْ تُقـام بنيـــة ليست بحوبٍ أو تطيف بمأثم

فأبى الذين إذا دُعوا لعظيمـةٍ راغوا ولاذوا في جوانب قودم [2]

فيقيمون البيوت المربّعة على شكل الكعبة ، ويحجون إليها ، قال الأسود بن يعفر النهلشي :

أهل الخورنق والسّدير وبارق والقصر ذي الشُرفات من سِنداد [3]

وغاض إبرهةَ ميلُ الحجيج إلى البيت ، فأبدع بنيان القُليس ؛ ليصرف إليها حجّ العرب ، فيروى عن مكحول أنّه قال : أربع من مدن النار : أنطاكية والطوانة ، وقسطنطينية وصنعاء .[4]

وبلغ من تعظيم العرب للبيت أنهم كانوا يحجونه ويطوفون حوله وبعد منصرفهم يأخذ الرجل منهم حجراً من حجارة الحرم يتمسّح به تشبيهاً بأصنام البيت [5] ، كان ذلك من دوافع شيوع الأصنام في بيئة العرب قبل الإسلام .

---

(١) معجم البلدان : (إساف) ، إساف ونائلة : صنمان ، والنساء العوارك : الحيّض .

(٢) معجم البلدان : (قودم) ، اسم جبل في ديار جهينة .

(٣) معجم البلدان : (الكعبات) ، جمع كعبة ، البيت المربع ، بيت كان لربيعة يطوفون به ، و (سنداد) : نهر عند الحيرة كان عليه قصر تحج إليه العرب .

(٤) معجم البلدان : (قليس) ، بيت بناه أبرهة على باب صنعاء ، وابن هشام ٣٦/١ .

(٥) معجم البلدان : (مكة) .

وكان الحج أهم شعيرة دينية للجاهليين أحتفوا بها ، وجعلوا أشهر الحج مُدَّةً سلميّة يضعون السلاح فيها ، رددوا عبارات وانتشرت في شعرهم كدعاء لهم ؛ فورد في تلبياتهم[1] من تعابير عن الإعداد للحج ، وتحمّلِ وعثاء السفر ، قال النابغة من قصيدة يعتذر فيها للنعمان بن المنذر :

حلفتُ ، فلم أتركْ لنفسِك ريبةً — وهل يأْثَمَنْ ذو أمَّةٍ وهو طائـــع ؟

بمصطحباتٍ من لَصَافٍ وثبــرةٍ — يزُرْنَ ألالاً ، سيرُهنَّ التدافـــعُ

عليهنّ شُعْثٌ عامدون لحجِّهِـــمْ — فهُنَّ كأطرافِ الحنيِّ خواضـــعُ[2]

وجاء التصريح في الشعر بالطواف حول الكعبة ، قال أبو خراش الهذلي :

وأيقنتِ أنّ الجودَ منه سجيّـــة — وما عشتِ عيشاً مثل عيشكِ بالكُرَمِ

تطيف عليه القومِ وهو مُلحَّـــبٌ — خلافَ البيوتِ عند محتملِ الصـُّرَمِ[3]

وذكر زهير الطواف حول الكعبة ، بقوله :

كأنّ فُتاتَ العهن في كلّ منــزلٍ — نزلنَ به حبُّ الفنا لم يُحطَّـــمِ

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حولهُ — رجالٌ بنَوْه من قريشٍ وجُرْهـــمِ[4]

وكانوا يطوفون عريانا ، ولم تستثنَ النساء من ذلك ، قالت ضُباعة بنت عامر بن قرط وهي تطوف بالبيت عريانة :

---

(١) للاطلاع على بعض تلبيات الجاهليين ينظر : قراءة في تلبيات العرب في العصر الجاهلي : الدكتور خليل أبو رحمة بحث في المجلة العربية للعلوم الإنسانية : جامعة الكويت ، العدد ٢٧ المجلد السابع ١٩٨٧ : ٩٥ - ١٢٨

(٢) معجم البلدان : ألال ، قيل أنه جبل عرفة ، والأمّة : النعمة ، ذو أمّة : أي ذو دين واستقامة وقصد : هل آثم وأنا أدين لك وفي طاعتك وهو يقسم بالإبل التي يمتطيها الحجاج إلى مكة تعظيما لها ، وشعث : جمع أشعث ، وهو متغبّر الشعر لطول السفر ، والحنيّ : القسيّ ، شبّه انحناء النوق بالقسيّ الديوان ٨٦ .

(٣) معجم البلدان : كُرْمة ، نواحي اليمامة ، والكُرَم : جمع كُرْمة وهو موضع جمعه بما حوله ، والملحّب : المقطّع ، وأصرم الرجل : افتقر .

(٤) معجم البلدان : فنا ، وهو عنب الثعلب ، وجبل قرب سميراء ، العهن : الصوف ، وجرهم حُظيتْ بشرف سدانة الكعبة قبل قريش ، الديوان ١٠٣ .

اليوم يبدو بعضه أو كلُّــــه		وما بــدا منـه فـلا أحـلّــــه [1]

وفي عبـارات تلبيـاتهم أيضـا مـا يدلّ على الإخلاص في التـعبّـد ، فـأصل العبـودية الخضـوع والتـذلل[2]، ومـعنى العبـادة الطاعـة والخضـوع ، وجـاء في شـعـر النابغـة قـوله يخاطب النعمان :

أتوعِدُ عبداً لـم يخُنْكَ أمـانـــةً		وتتركُ عبداً ظالماً ، وهـو ظالــــع

وأنتَ ربيعٌ ينعَشُ الناسَ سَيْبُهُ		وسيفٌ أعيرَتْـهُ المنيّـة قـاطــــع

وتُسقي إذا ما شئتَ غير مُصرّد		بزوراء في أكنافها المِسْك كــارعُ [3]

ووردت عبـارات في تلبيـاتهم تضـمّنت مما إشتـق من « عبد » نجدها لا تخـرج عن أصلهـا اللغـوي في الطاعـة والاستـسلام ، وهذا المعنى ورد في شـعـر غـيـر شـاعـر من العصرالجاهلي ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ونحن ، غداةَ أُوقد في خـــزازى		رفَدْنا فوق رِفْد الرافدينــــــــا

وأيــامٍ لنــا غُــرٍّ طِــــوالٍ		عصيْنا المَلْكَ فيها أن نَدينــــا [4]

وأمّـا كلمـة دين فـتـعـني مـزاولـة شـعـائر مـا ، والكلمـة بهذا المعنى عرفـها الشـعـر الجاهلي، قال النابغة :

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها انجذما		واحتلّتِ الشّرعَ فالأجراع من إضما

حيّاكِ ربّي ، فـإنّا لايحـلُّ لنـا		لهوُ النساء ، وإنّ الدّين قـد عزمـا

مشمّرين على خوصٍ مـزقّـمَــةٍ		نرجو الإلهَ ، ونرجو البِرَّ والطُّعمَا [5]

---

(١) معجم البلدان : مكة ، وكحالة : أعلام النساء ، جزء ٢/٣٥٤

(٢) اللسان : عبد .

(٣) معجم البلدان : زوراء ، دار كانت للنعمان بن المنذر بالحيرة ، الظالع : الجائر عن الحق ويروى : ضالع ، وهو المذنب ، من ضلع البعير لداء به .

(٤) معجم البلدان : خزاز ، والديوان ٦٨ .

(٥) معجم البلدان : شَرْع ، ماء لبني الحارث من بني سُليم ، وإضم : واد دون اليمامة والخوص : الإبل الغائرة العيون ، مزقمة : مشدودة الرِّحال ، الديوان ١٠٨ .

فكان الحج أهم شعيرة دينية للجاهليين ، فقول النابغة يبرز فيه العزم على الحج إلى مكة والإخلاص في شعائره ؛ لذا لايحلّ له النساء .

٣- التوحيد :

كانت رسالة عيسى ، عليه السلام ، مصدّقة لرسالة موسى ، عليه السلام ، ومبشّرة بظهور خاتمة الرسالات ، وتشترك رسالات الرسل جميعا بعامل التوحيد المشترك ، والدعوة إلى ترك عبادة الأوثان ، هذا التوحيد جعل أتباع عيسى تفيض أعينهم دموعاً من خشية الله تعالى وتأثرهم بكلامه « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » .(١)

ويستقيمُ سلوك من يلتزم بتعاليم رسالة السماء ، فيتحلّى صاحبها بالأخلاق والقيم ، ويفي بالوعود في أدقّ المواقف ، فعندما عاد حنظلة الطائي ليُقتل بسبب يوم بؤس المنذر بعد أن كفله شُريك الشيباني في قصّة لسنا بصددها ، عجب من وفائه ، قال : ما حملك على قتل نفسك ؟ فقال : أيها الملك إنّ لي ديناً يمنعني من الغدر ، قال : وما دينك ؟ قال : النصرانيّة ، وقيل أنّ ذلك كان سبباً في تنصّره (٢) ، وإبطال سنّة البؤس .

وأشهر مدن النصرانية نجران ، كانت على ما جاء به عيسى ، عليه السلام ، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، ثم بنيت بها كنيسة سمّيت كعبة نجران تشبيهاً بالكعبة الشريفة ، وبناتها هم بنو عبد المدان الحارثي ، قال الأعشى :

وكعبة نجران حتمٌ عليـــ ـــكِ حتى تُناخي بأبوابهـــا (٣)

وهبّ بعض اليهود في نشر اليهودية جنوبي الجزيرة ، فتهوّد اليمنيون ، منهم ذو نواس ملك اليمن الذي سار إلى أهل نجران فخيّرهم بين اليهودية والقتل ، فاختاروا القتل ، فخدّ لهم أخدوداً فحرّقهم ، فنزل بحقّه « قُتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود »(٤) ، وقد روي عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنّه قال : « القرى المحفوظة

---

(١) المائدة ٨٣ .

(٢) معجم البلدان : (غريان) .

(٣) معجم البلدان : (نجران) .

(٤) البروج ٤ ، ٥ .

أربع: مكة والمدينة وإيليا ونجران »[1] كرامة لأصحاب الأخدود «وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » .[2]

ومال بعضهم إلى الرَهبنة وبناء الأديرة ، ففارق حنظلة الطائي قومه ونسك وبنى ديراً قرب شاطئ الفرات[3] ، ودير عبد المسيح بن عمرو بن بُقيلة الغسّاني ، قال فيه:

حلبتُ الدّهر أشطره حياتي ونلت من فوق المزيد[4]

فكان اليهود والنصارى أصحاب توحيد ، وكذلك كان عبّاد الأصنام « ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلي الله زُلفى »[5] ، فكان في العرب بقايا من عهد إبراهيم ، عليه السلام ، تمسكّوا بها من تعظيم البيت والطواف به ، والحج والوقوف على عرفة .[6]

كان توحيدهم مشوباً بالشرك ، يعرفون فضل البيت وربّه ، كما واتخذوا بيوتاً عظموها كالكعبة[7] ، وذكروا الأصنام والأوثان متقرّبين بها إلى الله ، فورد اسم الجلالة "الله" في قصائد كثيرة من شعراء الجاهلية ، فأقسم بالله قيس بن الخطيم بقوله :

واللّه ذي المسجد الحرام ، وما جُلّل من يمنة لها خُنُف[8]

وحلف أوس بن حجر بالأصنام وباللّه الأكبر :

وباللات والعزّى ومن دان دينها وباللّه ، إن اللّه منهنّ أكبر[9]

وأسندوا إلى الله سبحانه النفع والضرر ، فقال أعرابي :

إلى اللّه أشكو ، لا إلى النّاس أنني بتيماء تيماء اليهود غريب[10]

(١) معجم البلدان : (نجران) .

(٢) البروج ٨ .

(٣) معجم البلدان : (دير حنظلة) .

(٤) معجم البلدان : (دير عبدالمسيح) .

(٥) الزمر ٣ .

(٦) معجم البلدان : مكة .

(٧) معجم البلدان : الكعبات ، وسنداد .

(٨) معجم البلدان : الأثلة ، موضع قرب المدينة ، خنُف : نوع من الكتان .

(٩) معجم البلدان : لات .

(١٠) معجم البلدان : تيماء .

وقال النابغة :

أبى اللّــه إلاّ عدلَـه ووفـــــاءَه   فلا النكرُ معروف ولا العُرْف ضائع

وتُسقي إذا ما شئتَ ، غير مُصرَّدٍ   بزوراء ، في حافاتها المِسْك كـارع [(١)]

وقال لبيد مستداً إلى الإله المنح والمنع :

لولا الإله وسعيُ صاحب حِمْيــرٍ   وتعرّضي في كل جَوْنٍ مُصْعَـــبِ

لبقيتِ في حِلل الحجاز مقيمــةً   فجنوبَ ناصفةٍ لقاحُ الحـــوأبِ [(٢)]

وقال نُفيل :

حمدتُ اللّه أنْ أبصرتُ طيــراً   وخفت حجارة تُلقى علينــــا

وكل القوم يسأل عن نُفيــــل   كأنّ عليّ للحبْشان دَيْنـــــا [(٣)]

وقال ابن مقبل :

جزى الله كعباً بالأباتر نعمـــةً   وحيّاً بهبّود جزى الله أسعـــدا [(٤)]

وقال سلمى بن المُقعد القَرْمي الهذلي :

ولولا اتقاء الله حين أدْخلتم   لكم صُرُط بين الكحيل وجَهْـور

لأرسلت فيكم كلّ سيّد سُمَيْـدع   أخي ثقةٍ كلّ يوم مـذكّـــــر [(٥)]

وقال الوَرك الطائي :

لادرَّ درُّ رجالٍ خاب سعيهـــــم   يستمطرون لدى الأزمات بالعُشَر

أجاعل أنت بيقُوراً مسلّعـــــة   ذريعة لكَ بين اللّـه والمطـــــر ؟ [(٦)]

وقال زيد بن عمرو العدوي ، وقيل ورقة بن نوفل :

---

(١) معجم البلدان : زوراء ، والديوان ٨٨ .

(٢) معجم البلدان : ناصفة ، ماء لبني جعفر بن كلاب ، وصاحب حمير : من أمراء اليمن والجون : الليل الشديد الظلمة .

(٣) معجم البلدان : (مغمّس) .

(٤) معجم البلدان : (أباتر) ، أودية وهضاب بنجد في ديار غنيّ .

(٥) معجم البلدان : (كحيل) ، موضع في بلاد هذيل ، كان فيه يوم للعرب ، و(جهور) ، موضع لهذيل .

(٦) اللسان (سلع) .

نسبّح الله تسبيحاً نجودُ بـــه		وقبلَنا سبّح الجوديُّ والجُمُـــد [1]

وقال زيد الخير حين حضرته الوفاة :

سقى الله ما بين القفيل فطابة		فما دون أرمام فما فوق منشـد [2]

وقال صُريم بن معشر من تغلب :

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتّقي		إذا هو لم يجعل له الله واقيـا [3]

وفي هذه النصوص الشعرية اعتراف بأنّ الله هو الخالق والذي يُتوجّه إليه في العبادة والحوائج ، ومن أيمانهم الدالّة على الاعتقاد بوجود خالق قول عدي بن زيد :

أرقْتُ لمكفهرٍّ ، بات فيـــه		بوارق ، يرتقينَ رؤوسَ شيـبِ

تلوح المشرفيّة فــي ذراه		ويجلو صُفح دهـدارٍ قشيـبِ

سعى الأعداء لا يألونَ شـراً		عليك وربِّ مكـّة والصليـبِ [4]

وينوّه أميّة بن أبي الصلت إلى قدرة الله تعالى ، مالك الناس ، بقوله مُذكّرا بخبر أبي رغال دليل صاحب الفيل الذي دفن بالمغمّس :

إن آيات ربّنا ظاهـــراتٌ		ما يماري فيهن إلاّ الكفـور

حبس الفيل بالمغمّس حتــى		ظلّ يحبو كأنّه معقـور [5]

وقال بشر بن أبي خازم يحلف بالرب :

حلفت بربّ الداميات نحورُهـا		وما ضمّ أجياد المُصلّى ومذهـب [6]

وتضمّن شعرهم ذكر الرحمن ، فقال البُريق الهذلي :

---

(١) معجم البلدان : جمد ، جبل لبني نصر بنجد ، والجودي : جبل شرقي دجلة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ، فخرج منها وبنى مسجداً لله تعالى .

(٢) معجم البلدان : منشد ، ، وقُفيل ، موضعان في بلاد طيئ . كان قبل الإسلام يُدعى زيد الخيل .

(٣) معجم البلدان : الألاهة ، قارّة بالسماوة .

(٤) معجم البلدان : أفاق ، موضع ببلاد بني يربوع ، والمكفهر : السحاب المتراكم . والسيوف المشرفية : تنسب إلى المشارف من أرض اليمن .

(٥) معجم البلدان : المغمّس ، موضع قرب مكة ، طريق الطائف ، مات فيه أبو رغال دليل صاحب الفيل .

(٦) معجم البلدان : أجياد ، جمع جواد و موضع بمكة ، والمصلّى : المسجد ، والمذهب : بيت الله الحرام .

سقى الرحمن حزمَ يُنابعـــــات		من الجوزاء أنواءٌ غِـــــزارا [1]

وقال الأعشى :

فما أنت من أهل الحَجون ولا الصّفا		ولا لك حقُّ الشُّرْب من ماء زمزم

ولا جعل الرحمنُ بيتَك ، في العُلا		بأجياد غربيَّ الصّفا والمحرّم [2]

وقد تألّه بعضهم في الجاهلية وترك عبادة الأصنام ، منهم زيد بن عمرو بن نُفيل ، القائل:

تركت اللاّتَ والعزّى جميعــــاً		كذلك يفعل الجَلْد الصّبـــور

فلا العزّى أدين ولا ابنتَيْهـا		ولا صنميْ بني عمـــرو أزور

ولا هُبلاً أزور وكان ربّــــاً		لنا في الدهر ، إذْ حلمي صغيـر

عجبتُ ، وفي الليالي معجزات		وفي الأيّام يعرفها البصـــير

فتقوى الله ربكم احفظـوها		متى ما تحفظوهـا لا تبــوروا [3]

ولحق بعضهم بالنسك في الجبال والفلَوات مثلما فعل النعمان بن امرئ القيس ،

فقال عدي بن زيد :

وتبيّن ربّ الخورنــق ، إذ		أشرف يوماً ، وللهدى تفكيـر

فأرعوى قلبه وقال : فما غبْـ		ـطةُ حيّ إلى الممات يصيـر ! [4]

وتزعزعت ثقتهم بالأصنام ، واستخفّوها ، من ذلك أقبل رجل من كنانة بإبل له ليقفها على صنمهم سعد ، فلما أدناها منه نفرت وتفرّقت عنه ، فرماه بحجر وقال : لا بارك الله فيك إلهاً أنفرتَ إبلي ، وانصرف وهو يقول :

أتَيْنا سعد ليجمع شملَنــا		فشتتنا سعدٌ فلا نحن من سعـد

وهل سعد إلاّ صخرة بتنوفة		من الأرض لا تدعو لغيٍّ ولا رشدِ [5]

---

(١) معجم البلدان : سلع ، جبل في ديار هذيل .

(٢) معجم البلدان : أجياد ، الديوان ٢١٤ والأبيات من قصيدته يهجو بها عُمير بن عبدالله بن عبدان .

(٣) معجم البلدان : عزّى ، ولات .

(٤) معجم البلدان : خورنق .

(٥) معجم البلدان : سعد ، اسم صنم لبني كنانة ، التنوفة : القفر من الأرض .

ورفض امرؤ القيس ذا الخُلصة حينما أتاه لّما قتلت بنو أسد أباه حُجراً ، فخرج يستنجد على الأخذ بثأره ، واستقسم عند ذي الخلصة ، فخرج السهم بنهيه عن ذلك ، فقال :

لو كنت يا ذا الخَلص الموتورا

مثلي ، وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداة زورا [١]

وتأبى الفطرة إلاّ أن تثبت وجودها ، فطرة الحنيفية التي تراعي متطلبات الإنسانية جمعاء ، كان حاتم جاهلياً لكنّه اتصف بصفات المؤمن ، مما جعل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن يقول في حق ابنته : « خلّوا عنها ، فإنّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق »[٢] .

ومن أخباره أن استدعته ماويّة بنت عفزر لغرض الزواج ، وقعد على الباب منتظراً صاحبَيْه ، فارتابت منه وسقتْه خمراً ليسكر ، فجعل يهريقه بالباب في ظلمة الليل ، وأبى الدخول والقرى دون صاحبَيْه ، فرجع إلى صاحبيه وقال لهما : الرحيل والنجاة ، ومن قوله :

وما زلتُ أسعى بين خُصّ ودارة ولحيانَ حتى خفتُ أن أتنصّرا [٣]

وقال أميّة :

كلّ دين يوم القيامة عند الـ ـله إلاّ دين الحنيفة بـــور

حبس الفيل المغمّس حتـــى ظلّ يحبو كأنّه معقـــور [٤]

وقد غلّبت اليهودية الجانب المادي على الجانب الروحي ، في حين غلّبت النصرانية الجانب الروحي على الجانب المادي ، ولم تستطع كل منهما أن تصرع الوثنيّة الجاهلية ،

---

(١) معجم البلدان : خلصة ، بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة بتبالة ، أحرقه جرير البجلي حين بعثه النبي ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) ابن هشام ١٧٢/٤ ، وديوان حاتم ص٧ .

(٣) معجم البلدان : لحيان ، قصر للنعمان بالحيرة ، والخص : قرب القادسيّة .

(٤) معجم البلدان : المغمّس .

حتى جاءت خاتمة الرسالات بالدعوة إلى التوازن «وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا »[1] في الفترة التي كان فيها العرب على أبواب يقظة عقلية ونهضة فنيّة ، فتقبّلوا الإسلام بعدما سبقه طرفٌ ضعف تأثير الوثنيّة والسخرية بها في الشعر .

وأقلق الإنسان الجاهلي نهايةُ الحياة ، وأثار الموت دهشته وآمن بيومه المحدّد الذي تنتهي فيه رحلة حياته ، فقال لبيد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبلى الديار بعدنا والمصانع

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع [2]

وقال أيضاً :

إن يكن في الحياة خيرٌ فقد أنْـ ... ـظرْتُ لو كان ينفع الإنظار

عشت دهراً ولا يدوم على الأيْـ ... ـام إلاّ يرمرم وتِعار [3]

وقال طرفة بن العبد :

لهندٍ بحزّان الشريف طُلُول ... تلوح وأدنى عهدهنّ مُحيل

وبالسفح آياتٌ كأنّ رسومها ... يمانٍ وشّتْهُ رَيْدَةٌ وسحول

فغيّرْنَ آياتِ الدّيار ، مع البِلى ... وليس على ريبِ الزمان كفيلُ [4]

كما وعبّر عبيد بن الأبرص عن الأجل ، الذي هو نهاية عبّر عنها غيرُ شاعر جاهلي ، فقال :

أقفر من أهله ملحوبُ ... فالقُطّبيّات فالذُّنوبُ

وكلّ ذي غيبةٍ يؤوبُ ... وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ [5]

---

(١) القصص ٧٧ .

(٢) معجم البلدان : مصانع ، المصانع : القصور ، ومخلاف باليمن ، الديوان ٩٠ .

(٣) معجم البلدان : تعار ، جبل من أعمال المدينة ، الديوان ٧٧ ويرمرم : جبل في بلاد قيس .

(٤) معجم البلدان : رَيْدة ، على مسيرة يوم من صنعاء ، حران الشريف : واد بنجد ، الآيات العلامات ، وسحول : من قرى اليمن ، والديوان ٨٠ .

(٥) معجم البلدان : القُطبيّات ، جمع قطبيّة ، من القطب وهو المزج ، اسم جبل ، وماء لبني زنباع من بني بكر بن كلاب .

ومن هنا يمكننا أن نتصور بُعد التغيير الذي قام به مفهوم التوحيد بعد الإسلام الذي جاء بحذف جذريّ لأصول قلق الجاهلي الناشئ عن اضطراب علاقته بالخالق وتشوّشه بين الآلهة المتعددة ، وتحرّر الجاهلي من الحيرة والشك وعاش في اليقين الجديد الخالص ومكّن عقله من عملية التوازن بين الدنيا والآخرة وتجليّات الفكر والجسد ، عَبْر الزمان والمكان ، حتى غدت رسالةً شاملة عامة .

٤- الكواكب

كانت عبادة الكواكب سابقة للأصنام ، فعبد عرب حمير ، ومنهم بلقيس الشمس ، «وجدتُّها وقومَها يسجدون للشمس »[١] ، وعيّر خالد بن صفوان إبراهيمَ بن مخرمة يوماً في مجلس السفّاح باليمين ، بقوله : فما منكم إلاّ دابغ جلد أو ناسج بُرْد أو سائس قرد ، دلّ عليكم هدهد وغرقتكم جُرَذ وملكتكم أمّ ولد »[٢].

وقد استدرج إبراهيم ، عليه السلام ، قومَه وعرّفهم جهلَهم في تعظيم النجوم وعبادتها ؛ لأنها تتغيّر من حال إلى حال « فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا »[٣] ولمّا غاب ورأى القمر ، قال ، « هذا ربّي »[٤] حتى رأى الشمس ، قال « هذا أكبر »[٥] ، ولمّا غابت أقام الحجة عليهم ودحضهم وبرئ من عقيدتهم ، ونزل الوحي بقصته على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، لإقامة الحجة على أهل مكة في تقديسهم للأصنام .

ومن آثار عبادتهم للكواكب أنهم سمّوا بأسماء مضافة إليها بالعبودية ، وأوّل من تسمّى بعبد شمس هو سبأ بن يشجب[٦] ، وسمّوا الشمس آلهة ، قالت ميّة بنت عُتيبة ، أمّ البنين ، ترثي أباها ، قتلته بنو أسد يوم خوّ :

---

(١) النمل ٢٤ .

(٢) معجم البلدان : (يمن) .

(٣) الأنعام ٧٦ ، قيل أنّه كوكب الزهرة وهو أبيض ، الصابوني ٣/ ٨٠ .

(٤) الأنعام ٧٧ .

(٥) الأنعام ٧٨ .

(٦) اللسان ، شمس .

تروّحْنا من اللعباء عصـــراً وأعجلْنا إلاهة أن تؤوبـــــــا [1]

ويرى طرفة أسنان محبوبته برّاقة غير مثلّمة ، سقاها شعاع الشمس بقوله :

لخولةَ أطلال بِبُرقـة ثمهـد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد [2]

وتَبْسِمُ عن ألْمى كأنّ مُنوّراً تخلّل حرّ الرمـل دعص لـه نـد

سقته إياةُ الشمس إلاّلِثاته أسِفّ ولم تَكْـدِمْ عليـه بإثمـد

وتواترت عادة الصبيان دون تأثّر بعبادة الشمس ، وإلى مثل ذلك يشير طرفة بقوله :

لا تلمني إنّها من نسـوة رُقّدِ الصيف مقاليـت نـزُرْ [3]

بادنٌ تجلو ، إذا ما ابتسمتْ عن شتيتٍ ، كأقاح الرّمل ، غـرّ

بدّلته الشمس مـن منبتـه بَرَداً أبيضَ ، مصقولَ الأشُـرْ

---

(١) معجم البلدان : (لعباء) جبل لغطفان في أكناف الحجاز ، واللسان ، أوب .

(٢) معجم البلدان : (برقة ثمهد) ، و (روضة دعمي) ، جبل في بلاد عُقيل ، الألمى : الذي يضرب لون شفتيه إلى سواد ، الجمع : لمي ، والمصدر : اللمى ، منوّرا : أي أقحوانا منورا ، الدعص ، الكثيب من الرمل ، وإياة الشمس : شعاعها ، الكدم : العض ، يصف ثغرها كأنّ الشمس أعارته ضوءها ، الديوان ٢٤ .

(٣) معجم البلدان : (يسر) ، ماء لبني يربوع بالدهناء ، والبادن : الممتلئة ، تجلو : تظهر ، الشتيت : الثغر الذي تباعدت أسنانه ، وبدلته الشمس : جعلت أسنان ثغرها كالبرد بياضاً ، الديوان ٥٢ .

وكان العرب يعتقدون بالأنواء [1] فيضيفون الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، قال حسان :

ويثرب تعلمَ أنّا بهـــــا إذا قحط الغيث ، نُوآنُهـــــا [2]

ولا تستنيءُ العرب بها كلّها ، بل بالمحمودة منها : الشرطان والثريا ، والشعريان والسماكان ، والنعائم والبلدة ، والسعود الأربعة والحوت ، فيقولون : مُطرنا بنوء الثريا والدّبران والسِّماك [3] . لذا ورد في الحديث « ثلاث من أمر الجاهلية : الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء » [4].

فيرتبط النوء عندهم بفعل الكواكب المؤثرة ، فهي ترسل الرياح وتأتي بالمطر كما قال بشر بن أبي خازم :

أيّ المنـــازل الحيّ تعتـــــرف أم هل صباك وقد حكّمت مطـرّف

كـأنّهـا بعد عهد العاهدين بها بين الذّنوب وحَزْمَيْ واهب صحـف

جادت له الدلو والشعرى ونوؤها بكل أسحم داني الوَدْق مرتجـف [5]

---

(١) المفرد : نوء ويعني سقوط نجم من المنازل في المغرب وطلوع نجم آخر يقابله في المشرق وهي منازل القمر ثمانية وعشرون : الشّرطان ، البطين ، النّجم ، الدّبران ، الهَقْعة ، الهَنْعة ، الذّراع ، والنثرة ، والطرف ، والجبهة ، ،والخراتان ، والصَّرفة ، والعواء ، والسّماك ، والغفر ، والزباني ، والإكليل ، والقلب ، والشّوْلة ، والنعائم ، والبلدة ،وسعد الذابح وسعد بُلع ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، وفرغ الدلو المقدم ، والمؤخر ، والحوت ، وسميت هذه المنازل بروجاً ، وهي اثنا عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد ، والسنبلة ، والميزان والعقرب ، والقوس والجدي والدلو والحوت ، وتقسم على الفصول : للربيع الحمل والثور والجوزاء ، وللصيف السرطان والأسد والسنبلة ، وللخريف الميزان والعقرب والقوس ، وللشتاء الجدي والدلو والحوت ، اللسان : نوأ .

(٢) اللسان : نوأ .

(٣) اللسان ، نوأ .

(٤) اللسان ، نوأ .

(٥) معجم البلدان : الذنوب ، موضع ، و(واهب) جبل لبني سُليم ، والدلو : من بروج الشتاء لزحل ، الشعريان : نجمان متقابلان ، يماني وشآمي ، يليان الجوزاء ، وقد يقال لهما المرزمان وهما من كواكب البرد والمطر ، اللسان – مرزم .

وكانوا يعتقدون أنّ الشِّعرى العبور اليمانية رب الأرباب [1] « وإنّه هو ربّ الشِّعرى » [2]، ويقال له الشعرى العبور ، وهو ألمع نجم بعد الزهرة ، قال النابغة الجعدي في مدح النبي ، صَلى الله عليه وسلم :

تلألأ كالشعرى العبور توقّدتْ وكان عماد دونها ، فتحسّرا [3]

ويرمز إليه بالوحدة والهجران ، تقول هند بنت النعمان في بني سنان يوم ذي قار :

كأنّي حين جدّ بهم إليكم معلّقةُ الذوائب بالعبور [4]

وأمّا مرزم فهي ريح الشمال تأتي بنوء المرزم ، قال صخر الغيّ الهذلي في بأسه :

كأنّي أراه بالحِلاءة شاتياً تُقشّر أعلى أنفه أم ّمرزم [5]

فأجابه أبو المُثلّم :

أعيَّرْتني قُرَّ الحِلاءة شاتياً وأنت بأرض قرُّها غير مُنجم ؟ [6]

لذا تشاءم العرب من ريح الشمال الباردة ، فيسقط لبيد تشاؤمه على الحيوان :

تنجو نجاءَ ظليم الجوِّ أفزعَهُ ريح الشّمال وشفّان لها درَرُ [7]

وتُعَدُّ عند بعضهم من كواكب القيظ ، فقيل : إذا طلعت الشعرى جعل صاحب النخل يرى [8]، والشعرى الأخرى هي الغميصاء التي بكت على إثر العبور حتى صغرت .[9]

على أن العربَ يستبشرون برياح الجنوب التي تكون سبباً في الخصب ، قال أبو دؤاد الإيادي :

---

(١) اللسان – شعر .

(٢) النجم ٤٩ .

(٣) القرشي ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب : جمهرة أشعار العرب ، ٧٧٨/٢ .

(٤) أيام العرب ٢٨ .

(٥) معجم البلدان : (حلاءة) ، موضع شديد البرد ، وأمّ مرزم : الريح الباردة بلغة هذيل .

(٦) معجم البلدان : (حلاءة) ، والقر : في الشتاء ، والبرد : في الشتاء والصيف .

(٧) الديوان ٥٩ ، تنجو : تمرّ مسرعة ، الظليم : ذكر النعام ، والجوّ : المطمئن من الأرض ، الشفان : الريح الباردة ، والدرة : الدفقة من المطر هنا .

(٨) اللسان – شعر .

(٩) اللسان – غمص .

وغيث توسّنَ منه الريـــــــا ح جَوْناً عشاء وجَوْنا ثقـــالا
إذا كركَرَتْهُ رياح الجنـــــــو ب ألْقحْنَ منه عجافاً حِيــالا
فحلّ بذي سَلَع بَرْكُـــــــــه تخال البوارقَ فيه الذُّبـــالا [1]

ووجود العربي في صحراء مترامية الأطراف جعله يحتار من ظواهر الطبيعة الخارقة ، ففكر بالبرد والرعود ، وتعاقب الليل والنهار ، وعندما يعمّ الخير بيئته بنزول المطر يردّه إلى تأثير النجوم والكواكب ، قال بعضهم :

فجادتك أنواءُ الرّبيع ، فهلّلتْ عليك رياض من سلام ومن خَبْر [2]

وقال الشاعر :

سقى دار أهلينا ، بمنعرج اللّوى أغرُّ سماكيّ يسُحُّ العزاليـــا [3]

وقال تبّع لما كسا البيت الحرام :

وأقمنا به من شهر عشــراً وجعلنـا لبابـه إقليـدا
وخرجنا منه نؤمّ سهيـلاً قد رفعنا لواءنـا المعقـودا [4]

---

(١) معجم البلدان : (سلع) ، ضرب من الشجر ، وذو سلع : موضع بين نجد والحجاز ، و(سَلْع) ، موضع بقرب المدينة ، وجبل في ديار هذيل ، وقد استدلّوا بالمكان على أنّ هذا البيت :

إنّ بالشعب ، الذي دون سَلْعٍ لقتيلاً ، دمه ما يُطل

ليس من شعر تأبّط شراً ؛ لأنّ سَلْع ليس دونه شعب ، معجم البلدان : (المقدمة) ، واللسان – سلع – .

وتوسّنَ الفحل الناقة : أتاها باركة ، وتوسّن الجارية : تغشّاها وَسْنَى ، والشاعر جعل الرياح تلقح السحاب ، والجون : الأسود والأبيض ، من الأضداد ، وكركرته : حبسته والذبال : جمع ذبالة ، الفتيلة التي تسرج .

(٢) معجم البلدان : (خبر) ، موضع على طريق الحاج ، والخبر لغة : السدر والأراك .

(٣) معجم البلدان : (برقة خو) ، في ديار أبي بكر بن كلاب ، والسماكان : نجمان ، أحدهما في الشمال يقال له الرامح ، من ضمن مجموعة العواء أو الراعي ، والآخر في الجنوب وهو الأعزل من ضمن مجموعة العذراء أو السنبلة ، وهو من كواكب الأنواء ، اللسان ، سمك ، وفي الحديث : أرسلت السماء عزاليها : كثر مطرها ، اللسان – عزل .

(٤) معجم البلدان : (كعبة) ، وسهيل : كوكب يمان يرى في جميع أرض العرب ، ولا يري في الأندلس إلاّ في جبل (سهيل) ، وقد قيل أنّ سهيلاً كان عشّاراً ظلوما على طريق اليمن فمسخه الله تعالى كوكبا ، اللسان – سهيل .

وقال حاتم :

وعاذلةٌ هبّتْ بليل تلومني ... وقد غاب عيوق الثريا فعرّدا [1]

تقول : ألا تبقي عليك ؟ فإنني ... أرى المال عند المُمسكين معبّدا

وقال تميم بن مقبل :

أرقتُ لبرقٍ آخرَ الليل دونَه ... رضامٌ وهَضْبٌ دونَ رمّان أفيَح

فأضحى له وَبْل لأكناف شرمة ... أجشّ سِماكيٌّ من الإبل أنضَحُ [2]

وتنبه الشعراء لتألّق النجوم فاتخذوها نموذجاً للوصف ، فشبّه عِبيد بياض الثور الوحشي بالكوكب المتلألئ كالدر وهو يتعطّف جانعاً ، بقوله :

باتت عليه ليلة رجبيّةٌ ... نَصْباً تسُحّ الماء أو هي أبرد [3]

كالكوكب الدريّ يشرق متنه ... خرصاً خميصاً صلبُه يتأوّدُ

وعندما أراد الشاعر التعبير عن جمالية النجوم لجأ إلى التصوير من واقع حياته ، فقال أمرؤ القيس :

تنوّرْتُها من أذْرعاتٍ وأهلُها ... بيثربَ ، أدنى دارها نظر عال

نظرت إليها ، والنجوم كأنّها ... مصابيح رهبان تُشبّ لقفّال [4]

وفي اللحظة التي يجد الشاعر نفسه فيها وحيداً بعد فقده أصحابه تحضره مسحةٌ تأمليّة ، فيصرخ عَبيد بصوت العزاء للنفس :

وهل رام عن عهدي وُدَيْكٌ مكانه ... إلى حيث يُفْضي سيلُ ذات المساجد

---

(١) معجم البلدان : (عبّود) ، جبل بين المدينة والسيّالة ، والعيوق : وراء الثريا ، يعوق الدبران عن لقاء الثريا ، عرّد : ارتفع الديوان ٢٧ ، ومعبّداً هنا : بمعنى مكرّما .

(٢) معجم البلدان : (شرمة) ، اسم جبل ، و(رضام) ، موضع ،و(رمّان) ، جبل في بلاد طيئ ، و (أفيح) : موضع بنجد ، والوبل : المطر ، والأجش : صوت الرعد ، والناضح : البعير الذي يستقى .

(٣) معجم البلدان : (أورال) ، الرجبيّة : ذات الريح القوية .

(٤) معجم البلدان : (أذرعات) ، تنورتها : توهمتها ، الديوان ٦٠ .

فنيتُ وأفناني الزمان وأصبحتْ		لِداتي بنـو نـعش وزُهـرُ الفراقـد [1]

ويقترب لبيد إلى مرحلة النضج الفكري في التأمّل والبصيرة ، بقوله :

بلينا وما تبلي النجوم والطوالع		وتَبْلى الديار بعدنا والمصانـــــع [2]

ويقول أيضا :

عشت دهرا ، ولا يعيش مع الأيْـ		يـام إلاّ يـرمـرم وتِعـــــار

والنجوم التي تتابع بالليــــ		ل ، وفيها عن اليمـــين ازورار [3]

لقد لحظنا شغف العرب بالنجوم الزاهرة والكواكب السيّارة ، ومعرفتهم أوقات مطالعها وسقوطها ، ونسبة المطر إليها ، مما دفع ابن رشيق ليقول « إنّ العرب أعلم الناس بمنازل القمر وأنوائها » ثم عُرف بعد ذلك بعلم التنجيم ، والنظر في أحوال الفلك ، حتى خلص علم الفلك من الخرافات وصار يتكئ على الرصد العلمي والحساب .[4]

5- النار :

تسرّبت عبادة النار إلى بلاد العرب ، لعل ذلك تأثراً بالمجوس ، الذين انتشرت بيوتات نارهم انتشارا مشهورا ببلادهم ، فمثلا كان لهم بيت نار قديم في بليدة كزنا [5]

---

(١) معجم البلدان : (وُديك) ، موضع ، ورام المكان : غادره ، ذات المساجد : موضع ، واللدات : جمع لدة وهو الذي ولد معك ، وبنات نعش : سبعة كواكب ، أربعة نعش لأنها مربّعة ، وثلاثة بنات نعش ، وتسمّى اليوم الدب الأكبر والأصغر ، ومنها النجم القطبي – الجدي – واثنان يكوّنان الفرقدين ، وهما نجمان صغيران قريبان من الجدي ، يُهتدى بهما فلا يغربان ، الديوان ٤٣ .

(٢) معجم البلدان : (مصانع) ، الديوان ٩٠ .

(٣) معجم البلدان : (تعار) ، الديوان ٧٧ .

(٤) للاطلاع على مآثر العرب في الفلك والرياضيات ، ينظر : طوقان ، قدري حافظ : تراث العرب العلمي ، فيه تفصيلات وافية بالمعادلات والأشكال والأرقام .

(٥) معجم البلدان : (كزنا) ، بليدة على ستة فراسخ من (مراغة) ، أعظم مدينة في أذربيجان .

وكَرْكويَه [1] ، والنّوبهار أعظم بيت للنار [2] لديهم ، فشبّه امرؤ القيس لمعان البرق بنار المجوس بقوله :

أحارِ ترى بُرَيْقاً هبَّ وهنـاً ... كنار مجوس تستعرُ استعارا

فلما أنْ علا لنقـا أضـاخٍ ... وهتْ أعجاز ريّقه فحـارا [3]

وكان في الجاهلية لكل قوم نار وعليها سدنة ، سمّوها الهُولة ، لطرح الحلّف الملح فيها من حيث لا يشعر المحلّف حين استحلاف أحدهم ، قال أوس بن حجر يصف حمار الوحش :

إذا استقبلَتْهُ الشمس صدَّ بوجهه ... كما صدّ عن نار المُهَوِّل حالفُ [4]

وشبّه ابن مقبل الضوء بنار المجوس بقوله :

ولاح ببرقة الأمهار منها ... لعينك نازح من ضوء نار

لمشتاقٍ يصفّقه وقـود ... كنار مجوسَ في الأطُم المطار

ركبن جهامةً بحزيز شَـوْقٍ ... يضئْنَ بليلهنّ إلى النّهـار [5]

وكانت لهم نار باليمن لها سدنة في مخلاف خولان [6] ، كانوا أحيانا يتحالفون عليها، يأخذون العهد المؤكّد ، قال الأعشى في مدح المحلّق :

---

(١) معجم البلدان : (كركويه) نواحي سجستان .

(٢) معجم البلدان : (نوبهار) ، موضعان : أحدهما قرب الري والآخر ببلخ ، فيه بيت كانت الفرس تعظمه مضاهاة للكعبة ونصبت حوله ثلاثمائة وستين صنما ، واسم بيت النار ، وتفسير « النو » : الجديد ، وكان من سنتهم أن يكللوا البناء بالريحان ، فأول ما ظهر منه البهار ، فسمّي .

(٣) معجم البلدان : (أضاخ) ، من قرى اليمامة وجبل ، ويقال (وضاخ) ، على البدل ، موضع له ذكر في تحدّي امرئ القيس لأبناء اليشكري : قتادة والحارث وأبي شريح ، في إجازة الشعر ، يقول نصفَ البيت ويتمّونه ، وأحار : مرخّم يا حارث ، وبريق : تصغير برق ، هب وهنا : لمع بعد حين من الليل ، والنقا : كثيب من الرمل ، والمثنى : نقوان ، ونقيان ، والجمع : أنقاء ونُقيّ ، أعجاز ريقه : مآخير السحاب ، حار الماء : لا يدري كيف يجري ، الديوان ٢٨٨ .

(٤) اللسان – هول – .

(٥) معجم البلدان : (شوق) ، جبل .

(٦) معجم البلدان : (خولان) ، من مخاليف اليمن نسبة إلى خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

رضيعَيْ لبانٍ ثديَ أمٍّ تحالفـــا   بأسحمَ داجٍ عَوْضُ لا نتفـــرّق [1]

وكانوا يستَمطرون بها ، يعمدون إلى حطب شجر السَّلع والعُشر [2] في قُحوط القطر ، فيوقرون ظهور البقر منهما ثم يضرمونه ناراً ويسوقونها في الأماكن العالية يستمطرون بلهب النار المشبه بسنا البرق ؛ وإيّاه عنى أميّة بن أبي الصلت بقوله :

سلَعٌ ما ومثلُه عُشَرٌ مـا   عائلٌ ما وعالتِ البيقورا [3]

ممّا جعل الشاعر الطائي يسخر من فِعالهم بقوله :

لا درَّ درُّ رجال خاب سعيُهم   يستمطرون لدى الأزْمات بالعُشَر [4]

---

(١) الديوان ١٤٨ ، الأسحم : الليل المظلم ، عوض : أبد الدّهر ، وكل شيء أسود فهو أسحم ، واللسان – سحم – قيل الأسحم : الدم تغمس فيه اليد عند التحالف ويُفسِّر قول الأعشى بأنهما تحالفا على الرماد كما يفعل الفرس .

(٢) معجم البلدان : (العشر) ، من كبار الشجر له صمغ حلو يقال له سكر العشر ، واسم شعب لهذيل قرب مكة .

(٣) معجم البلدان : (سلع) ، وهو شجرٌ مر ، وبيقور وباقور : اسم جمع للبقر ، وما : زائدة ، وعائل : مثقل أو نافع .

(٤) اللسان – سلع – لادرّ درّهم : لاكثُر خيرُهم . والأصل : أنّ رجلا رأى آخر يحلب إبلاً فتعجّب من كثرة لبنها فقال : لله درّك أي لله عملُك وخيرُك ، فتكون مدحا وذمّاً ، اللسان ، درر .

الفصل الرابع

جوانب من العادات والمعتقدات

١ - الميسر

شاعت عادة الميسر أيام الجاهلية خاصة ليالي الشتاء وفي سنيّ الجدب ، فيجتمع الموسرون ويشترون جزوراً يقسّمه الياسر عشرة أجزاء ، ويدفع الثمن بعد المياسرة الغارمون وحدهم ، يقسّم عليهم ثمن الجزور أثلاثاً ، والقداح الغارمة هي : المنيح والسفيح والوغد ، والقداح الرابحة هي : الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنامس والمسبّل والمعلّى [1] ، ولكل منها نصيب كترتيبه .

وإذا لم يبلغ اليُسر النصاب ، وهو عشرة ، فيتم الأيسار أحدهم ويفخر النابغة بذلك :

وهبّت الرّيح من تلقاء ذي أُرُلٍ ... تُزْجي مع الصُّبْح من صُرّادها صِرما [2]

يُنبئْكِ عِرضهمْ عني وعالمهم ... وليس جاهل شيْ مثل من علما

إنّي أتمّ أيساري ، وأمنحهُمْ ... مثنى الأيادي ، وأكسوا الجفنة الأُدُما

وربما جعلوا بعيراً مكان أعشار الجزور ، فيمدحون بردّ الإبل من مراعيها ، قال ابن مقبل :

ينازع شقيّاً كأنّ عنانه ... يفوق به الأقداعَ جِذْع منقّح [3]

وقولي فتى تشقى به النّاب ردُّها ... على رعيها أيسار صدق وأقدُح

---

(١) الألوس : بلوغ الأرب ٦٥/٣ ، وابن قتيبة : الميسر والقداح ١١٣ ، وابن منظور : اللسان - فذ - ، والحوفي : الحياة العربية ٤٥٥ ، وأبو سويلم : الإبل ١٣٢ .

(٢) معجم البلدان : (أرُل) ، جبل بأرض غطفان ، الديوان ١٠٩ الصّراد : سحاب لاماء فيه ، وشدّة البرد ، وعرِضهم : يريد الكريم الذي يتقي الشتم .

(٣) معجم البلدان : (شق) ، من قرى فدك تُعمل فيها اللجم ، القَدْع : الكفّ والمنع .

وأشادوا بقدرتهم على المياسرة ، قال لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحَتْفِها ... بمغالقٍ متشابهٍ أجسامُها
أدعو بهنّ لعاقرٍ أو مُطفلٍ ... بُذلتْ لجيرانِ الجميع لحامُها
فالضيف والجار الجنيب كأنّما ... هبطا تبالةَ مُخصباً أهضامُها [1]

وافتخر طرفة بأنّ قومه أصحاب قداح الميسر منذ القدم ، ثم هم لا يلحوّن في مطالبة الدَّيْن ، ويدخلون ذوي العسرة في اللعب :

نحن في المشتاة ندعو الجفَلى ... لا ترى الآدبَ فينا ينتقرْ
بجفانٍ ، تعتري نادينا ... من سديف ، حين هاج الصِّنَّبِرْ
فِداء ، لبني قيس ، على ... ما أصاب الناس من سرٍّ وضُرّ
وهم أيسارُ لقمانَ ، إذا ... أغلت الشتوةُ أبداء الجُزُرْ
لا يلحّون على غارمهم ... وعلى الأيسار تيسيرُ العَسِرْ [2]

ووصفوا لاعب الميسر بالكرم ، وعابوا من لا يشارك ، وسمّوه البَرِم ، قال دُريد بن الصِمّه يرثي أخاه عبدالله :

وأن يكُ عبد الله خلّى مكانَهُ ... فما كان وقّافاً ولا طائشَ اليدِ
ولا بَرِماً إذا الريّاح تناوحتْ ... برطب العضاهِ والضّريع المعضّدِ
وهوّنَ وجدي أنني لم أقلْ له ... كذبتَ ، ولم أبخلْ بما ملكت يدي

---

(١) معجم البلدان : (تبالة) ، موضع باليمن يضرب المثل بخصبها ، والأيسار : جمع ياسر ويُسر ، الذين يضربون على الجزور بالقداح ، والمِغلق : السهم السابع ، يغلق الخطر للقامر الفائز ، لحامها : جمع لحم ، الجنيب : الغريب ، الأهضام : جمع هضم وهي بطون الأودية ، وتبالة أيضا : قرية من الطائف ، الديوان ١٧٨ ، واللسان – غلق – .

(٢) معجم البلدان : (الصنّبر) ، موضع مقابل عقبة أفيق ثلاثة أميال من طبرية كان معاوية يشتو بها ، والصنّبر : البرد الشديد ، الجفَلى : الدعوة العامّة ، والنقرى : الدعوة الخاصة ، تعتري النادي : تأتيه ، السديف : قطع السنام ، وبنو قيس : قومه ، أيسار لقمان مثل يضرب لمن شرُف من الناس والأيسار : جمع يسر ، الضارب بأقداح الميسر ، ولقمان : هو لقمان بن عاد الذي عاش مدة نسوره السبعة وآخرها لبد ، يقال أنّ عاداً بعثت لقمان إلي الحرم يستقي لها ، اللسان – لبد – وأبداء : جمع بدء ، وهي أعضاء الناقة المجزرة ، الديوان ٥٥ ، ٥٨ .

وكنتُ كأنّي واثق بمصـــــدّر يُمشّي بأكناف الجبيب فمُحْتَدِ [1]

ويلحق الرابعَ العارُ إذا احتفظ بما غنم من اللحوم لبيته ، قال الأعشى :

حولي ذوو الآكال مَن وائـل كالليـل من باد ومن حاضـــر

المطعمو اللحم ، إذا ما شتَوْا والجاعلو القوت على الياسـر

فـي مِجدلٍ شُيِّد بنيانُـــه يـزلّ عنـه ظُفْـر الطائـر [2]

٢- الجن

عاش العربي في صحراء مليئة بالتلال والأغوار والقيعان ، قلّت كثافتها السكّانية، فسادَتْها الوحشة في جُنح ظلام الليل ، وتكونّت الأحلام والمخاوف وهيمنت الأوهام ، فادّعى العربي رؤية الجن . وزعم أنّ الغول تغوله فتضلّه عن الطريق وتهلكه ، فنفى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ذلك « لاغولَ ولكنّ السّعالي » فتحدثوا عن الغيلان والسعالى [3]، وجاء في الحديث النهي عن ذبائح الجن [4].

وصوّر الجاحظ في كتابه الحيوان حالَ العربي أثناء وحشته في الصحراء فيقول : « وإذا استوحش الإنسانُ تمثّل الشيءُ الصغير في صورة الكبير وارتاب ، وتفرّق ذِهْنُه ، وانتقضت أخْلَاطُهُ ، فرأى مالايُرى ، وسمع مالايُسمع ، وتوهّم على الشيء اليسير الحقير أنه عظيم جليل ، ثم جعلوا ما تصوّر لهم من ذلك شعراً تناشدوه ، وأحاديث توارثوها فازدادوا بذلك إيماناً ، ونشأ عليه الناشيء ، ورُبِّي به الطفل » [5]

---

(١) معجم البلدان : (الجبيب) ، واد قرب كحلة ، والبرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، تناوحت : تقابلت في المهب ، والعِضاه : عظيم الشجر . الواحدة : عضاهة . والضريع : نبت له شوك ، المصدّر : السابق من الخيل ، ومحمد المصري : دراسات أدبية ونحوية ص١٤ .

(٢) معجم البلدان : (واسط) ، مجدل : حصن لبني السّمين من بني حنيفة يقال له واسط و (وسط) : نخل باليمامة فيه حصن الورد ، وهو نفسه مجدل . والآكال : القطائع التي كان الملوك تطعمها للأشراف ، القوت : النفقة والمقصود في البيت : الرابع ، كان من عادته أن يفرّق ما غنم من اللحوم ، ويلحقه العار إذا احتفظ به ، الديوان ١١٦ .

(٣) اللسان – غول – ، السعالي : سحرة الجن ، وانظر الحيوان ٦/ ٢٥٠ .

(٤) تذبح للدار حتى لا يضر أهلها الجن ، اللسان – جنن – .

(٥) الجاحظ : كتاب الحيوان ٦/ ٢٥٠

وحينما تناوح الرياح تحدث الرمال عزيفاً ، ربما ظنوه أنّه عزيف الجن [1] ، وسمّوا المكان العزّاف لسماعهم فيه الأصوات الشديدة [2] ، قال حسان :

طوَى أبرق العزّاف يُرعِدُ متنُـه ... حنينَ المُتالي فوق ظهر المُشـايع [3]

وتحدّثوا بهاتف الأصوات في جوف الليل من بين الجبال ، وأسندوه إلى الجن :

وفـي ذات آرام خبوٌّ كثيـرة ... وفي تَمَلى ، لو تعلمون ، الغنائم [4]

وجعلوا العزيفَ أصوات الجن ، لقول القائل :

وإنّي لأجتابُ الفلاةَ ، وبينها ... عوازف جِنّانٍ ، وهامٌ صواخـدُ [5]

مسكنها

وأكثر القول بأنّهم سمعوا العزيف في الفلوات ، ولعلّه خيّل إليهم صدى أصوات الرياح والرعود ، فقال بشر بن أبي خازم بأنه اخترق الفلاة التي تعزف جنّها ، وتهدر ريحها :

فإنّ الجَزْعَ ، بين عُريتنـات ... وبرقة عيهل ، منكم حـرامُ

بها قرّتْ لبُون النّاس عيناً ... وحلّ بها عزاليَهُ الغمـامُ

وخرقٍ تعزفُ الجِنّانُ فيـه ... فيافيه تحنّ بها السِّهـامُ [6]

وتأوي إلى الجبال أيضا ، قال بعضهم :

أقبلنَ من نيرٍ ومن سُواج ... بالقوم قد ملّوا مـن الإدلاج

---

(١) معجم البلدان : (العزف) ، وهو ماء لبني نصر بن معاوية ، أربعة أميال من شعفين .

(٢) معجم البلدان : (العزّاف) ، من جبال الدهناء ، منه يسمعون صوت الجن .

(٣) معجم البلدان : (أبرق العزاف) ، ماء لبني أسد – سمّي لسماعهم فيه صوت الجن ، الديوان ٢٣٧ وطوى : قطع ، أي البرق ، وأبرق العزاف بين الربذة والمدينة ، المتالي : الإبل معها أولادها ، المشايع : الداعي .

(٤) معجم البلدان : (تَمَلىّ) ، من جبال بني قريظ قرب المدينة ، سمع منه هاتف جوف الليل .

(٥) اللسـان – عزف – ، الصخد : صوت الهام ، والهامة الرأس .

(٦) معجم البلدان : (برقة عيهل) ، و(عريتنات) ، اسم واد خصب .

وقال معن بن أوس المزني :

وما كنتُ أخشَ أن تكونَ منيّتي ببطن سواج والنوائح غُيّـــبُ [1]

واختصم الجنّ عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسألوه المسكن ، فأسكن المشركين الغورَ ، وأسكن المسلمين الجَلْس .[2]

ونسبوا الجن إلى أرض عبقر ، قال زهير :

بخيل عليها جِنّة عبقريّـــة جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلُوا.[3]

وقال أيضاً :

ومن فادَ من إخوانهم وبنيهمُ كُهُول وشبّان كجِنّة عبقــــر [4]

وقال امرؤ القيس :

كأنّ صليل المرو حين تُطيره صليل زُيوف يُنتقدْنَ بعبقـــرا.[5]

وقد ينسبون الجن إلى موضع عِسْر ، قال زهير :

كأنّ عليهم بجنوب عِسْرٍ غماماً يستلُّ ويستمطـــر [6]

ويقال أنّ الله تعالى لما أهلك عاداً وثمود أسكن الجن في منازلهم ، وهي أرض وبار ، فحمَتْها ، ومن دنا إليهم يُحثى في وجهه التراب أو يتعرّض للخطر ، وعندهم الإبل الحوشية ، يُزعم أن إبل الجن ضربت فيها ، قال الشاعر :

كأنّي على حوشيّة أو نعامة لها نسب في الطير أو هي طائر.[7]

وسكانها الجن لا يدخلها إنسيّ إلاّ ضلّ ، قال الفرزدق :

---

(١) معجم البلدان : (سُواج) ، جبل تأوي فيه الجن لغنيّ بالعالية .

(٢) معجم البلدان : (الجَلْس) ، كل ما ارتفع من الغور في بلاد نجد .

(٣) معجم البلدان : (عبقر) ، أرض سكنها الجن ، يقال « كأنهنّ جن عبقر » والديوان ٨٠ .

(٤) معجم البلدان : (عبقر) ، فاد : مات ، عبقر : موضع كثير الجن .

(٥) معجم البلدان : (عبقر) ، المرو : حجر يوري النار – الصّوان – والزيوف : الدراهم التي فيها غش ، وعبقر : موضع باليمن ، يقال أنّه كثير الجن ، نسبوا إليه كل شيء تعجّبوا من صنعه ، الديوان ٣٣٨ ، واللسان – عبقر – .

(٦) معجم البلدان : (عِسْر) ، والديوان ٥٠ .

(٧) معجم البلدان : (وبار) ، أرض كانت من محالّ عاد بين رمال يبرين واليمن ، أي بين نجران وحضرموت .

ولقد ضللت أباك تطلب دارماً كضلال ملتمس طريقَ وبار [1]

ومن بلاد الجن رمال ما وراء يبرين لا يسكنها أحد من الناس ، كما ينسبون الإبل الحوشية أيضا إلى رمال الحوشي [2] وراء رمال بيرين لبني سعد ، وهي فحول جن يُزعم أنها ضربت في نَعَم بعضهم فنسبت إليها . وحينما لا يستعين الإنس بالقوة الإلهية ، يتعرض لاختطاف الجن له ؛ فيزعمون أن جن جزيرة جاسك اغتصبوا جواري الجزيرة فولدن سكانَها المهرّة ، يقومون بأعمال خارقة . [3]

وكذلك سعد بن عبادة الذي امتنع من مبايعة أبي بكر – رضي الله عنه – يوم السقيفة ، وخاطبه مخالفاً : منّا أمير ومنكم أمير ، فقيل أن الجن قتلته بحوران [4] .

ويزعمون أن تأبّط شراً قد قتل الغول ؛ لأن الإنسانِ على حدّ قول الجاحظ إذا استوحش « سمع مالايُسمع ، وتوهّم على الشيء اليسير الحقير أنه عظيم جليل ، ثم جعلوا ما تصوّر لهم من ذلك شعراً تناشدوه » [5] فقال تأبّط شرّا :

ألا من مبلغ فتيان قومي بما لاقيتُ عند رحًا بِطان ؟
فإني قد لقيت الغول تهوي بِسُهب كالصّحيفة صحصحان
فقلت لها : كلانا نِضْوُ دهرٍ أخو سفر ، فخلّي لي مكاني
فشدّتْ شدّة نحوي فأهوى لها كفّي بمصقولٍ يماني
فأضربها بلا دهش فخرّت صريعاً لليدين وللجِران
فقالت : عد ، فقلت لها : رويداً مكانك إنني ثَبتُ الجَنان
فلم أنفكّ متكئاً لديها لأنظر مصبحاً ماذا أتاني

إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهرّ مشقوق اللسان

---

(١) معجم البلدان : (وبار) استشهد ببيت الفرزدق للتدليل على السكن .

(٢) معجم البلدان : (الحوش) رمال الحوش وراء رمال يبرين لبني سعد .

(٣) معجم البلدان : (جاسك) ، جزيرة بين جزيرة قيس – كيش – وعُمان قبالة هرمز .

(٤) معجم البلدان : (سقيفة) ، لبني ساعدة بالمدينة ، فيها بويع أبو بكر .

(٥) الجاحظ : كتاب الحيوان ٦/ ٢٥٠

وساقـا مُخْـدَجٍ وشـواة كلـب   وثـوب مـن عَبـاء أو شـنـــــان [1]

أعمالها

سمّي الجن جناً ؛ لأنه عالم مستتر عن الأنظار ، وأفردت له سورة خاصّة في القران الكريم ، وهو عالم خُلق من نار مكلّف بالعبادة كالبشر « وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون »[2] لكنّه تكبّر واستعلى على مادة الطين « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه »[3] وإبليس هو أبو الجن ، منه تناسلت ، فهو أصل لها ، كما أنّ آدم أصل الإنس[4] ، من يخالف أوامر الخالق يتعرّض للعقوبة « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس »[5] ، هذه القوى الغيبيّة جعلت العرب يعظّمونها « وجعلوا لله شركاء الجن »[6] ، لكن الجن خَلْقٌ من خلق الله تعالى كما أنّ الإنسان خلق من خلقه ، منهم المؤمن ومنهم الكافر حيث استمعوا إلى القرآن ، ودخلوا الإسلام ، « قل أُوحيَ إليّ أنّه استمع نفر من الجن فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً »[7] .

ومن أنبائهم الخاصّة العجيبة استراق السمع ، ورجمهم بالشهب ، واطلاعهم على بعض الأسرار الغيبيّة « إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين »[8] .

وكان العرب يظنون أنهم يعلمون الغيب ، وثبت لهم عكس ذلك « فلمّا قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلاّ دابّة الأرض تأكل منسأته ، فلمّا خرّ تبيّنت الجن أنْ لو كانوا

---

(١) معجم البلدان : (رحا بطان) ، موضع في بلاد هذيل ، والجران : باطن العنق ، والجنان : القلب ؛ لاستتاره في الصدر ، ومُخْدج : ناقص الخَلْق والشواة : جمعها شوًى ، وهي القائمة ، وشنان : جمع الشَّن ، وهي الخَلَق من كل آنية صنعت من جلد .

(٢) الذاريات ٥٦ .

(٣) الكهف ٥٠ .

(٤) الصابوني : صفوة التفاسير ، الحجر ٢٧ .

(٥) الأعراف ١٧٩ .

(٦) الأنعام ١٠٠ .

(٧) الجن ١ ، صيغة أوحي دالة على أنّ الجن عالم مستتر .

(٨) الحجر ١٨ .

يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين » [1]

وقد سخّر الله تعالى لسيدنا سليمان – عليه السلام – الجن ، تعمل بأمره ، وتقوم بأعمال ، مما يعجز عنه البشر « ومن الجن من يَعملُ بين يديه بإذن ربّه » [2] ، وتجنّدوا لخدمته بخصوصية تميّز بها عن إخوانه الأنبياء – عليهم السلام – « وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس » [3] .

ويُزعم أنّ تدمر هي مما بنته الجن لسليمان ، عليه السلام ، لقول النابغة :

إلاّ سليمان ، إذ قال الإلـه له : قم في البريّة فاحدُدْها عن الفنَد
وخيِّس الجنّ إنّي قد أذنت لهم يبنون تدمرَ بالصُّفّاح والعمَد
فمن أطاعك ، فانفعهُ بطاعته كما أطاعك ، وادلُلْهُ على الرُّشد
ومن عصاك ، فعاقِبْه معاقبةً تنهى الظّلومَ ، ولا تقعُدْ على ضمد [4]

كما قيل أن مدينة زندورد بالعراق هي من بناء الشياطين لسليمان –عليه السلام–، كان لها أربعة أبواب من عجيب صنعتهم [5] .

وقيل أنّ سليمان – عليه السلام – قد أمر الشياطين فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء : غُمدان وسِلْحين ، وبينون ، ولما سيطر جيش الحبش على اليمن خرّب قصورها، فتحسّر الشعراء ، قال ذو جدن الهمذاني :

وغمدان الذي حُدّثت عنه بناه مشيّداً في راس نيق
بمرمرة وأعلاه رخام تُحامٌ لا يُعيّبُ بالشّوق

---

(١) سبأ ١٤ .

(٢) سبأ ١٢ .

(٣) النمل ١٧ .

(٤) معجم البلدان : (تدمر) ، قيل أنها سميت بتدمر بنت حسان بن السميدع بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، عليه السلام ، ويزعم أهل تدمر أن البناء قبل سليمان ، وربما أضافوا كل بناء عجيب إلى الجن ، والفند : الظلم ، وخيّس : ذلل ، والصفيحة : من رقائق الحجارة والعمد ، جمع عمود من الرخام ، الضمد : الذل والغيظ ، الديوان ٤١ .

(٥) معجم البلدان : (زندورد) ، مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط .

فأضحى بعد جدّته رماداً وغيّر حسنه لهب الحريقِ [1]

ويقول الشاعر :

هل بعد غُمدآن أو سلحين من أثر أو بعد بينون يبني الناس أبياتا [2]

ونطق الشعر بأنّ البناء كان من بعض التبابعة ، فجاء ذكرها في أخبار حمير وأشعارهم ، قال ذو جدن الحميري واسمه علقمة بن شعب ذي رُعين :

لا تهلكَنْ جزعاً في أثر من ماتا فإنّه لايردُّ الدهرُ ما فاتا

أبعد بينون لا عين ولا أثــر وبعد سلحين يبني الناس أبياتا [3]

ويقال أن قصر كوكبان بصنعاء من بناء الجن [4] .

تشكلها

ومما روي عن تشكل الجن بصور الثعابين العظيمة أنّ مالك بن حريم الهَمْذاني قد خرج مع نفر من قومه يريدون عكاظ ، وأصابهم العطش في الطريق فاستراحوا في مكان أجيرة ، ونام مالك فانساب بقربه شجاع فصاحوا به : اقتله ، لكنّه أبى ، فانساب الشجاع، فقال مالك :

وأوصاني الحريم بعزّ جـاري وأمنعُهُ ، وليس به امتنـاعُ

فِدًى لكمُ أبي ، عنه تنحّـوا لأمر ما استجار بيَ الشجـاع

ولا تتحمّلوا دمَ مستجيـر تضمّنه أُجيرةُ ، فالتـلاع

فإنّ لما تَروْنَ خفيُّ أمـر له ، من دون أمركمُ ، قنـاع [5]

ثم ارتحلوا ، وقد أجهدهم العطش ، فإذا بهاتف هتف بهم :

يا أيها القوم لا ماءٌ أمامكـمُ حتى تسوموا المطايا يومَها التَّعبا

ثم اعدلو شامةً ، فالماء عن كثب عينٌ رواء ، وماء يذهب اللَّغبا

---

(١) معجم البلدان : (غُمدان) ، والنيق : مفرد أنياق ، ونيوق ، الجبل المرتفع ، وتحمّت الثوب : إذا وشيّته .

(٢) معجم البلدان : (غُمدان) ٤/٢١٠ .

(٣) معجم البلدان : (بينون) وسلحين ، وابن هشام ٣٣/١ .

(٤) معجم البلدان : (كوكبان) ، سمّي لأن قصره كان مبيناً بالفضة وداخله الياقوت والجوهر ، يلمع ليلا كالكوكب فسمّي بذلك .

(٥) معجم البلدان : أُجَيْرَة

حتى إذا ما أصبتم منه ريكم   فاسقوا المطايا ، ومنه فاملؤوا القِرَبا

فإذا هم بعين ، فشربوا وسقوا [1] وحملوا ، ثم أتوا عكاظا ، ثم انصرفوا راجعين حتى انتهوا إلى موضع العين فلم يروا شيئا ، وإذا بهاتف يقول :

يا مالِ عنّي ، جزاكَ اللهُ صالحةً   هذا وَداعٌ لكم منّي ، وتسليم

لاتزهَدَنْ في اصطناع العُرْف عن أحدٍ   إنّ الذي يَحْرِمُ المعروفَ محروم

أنا الشجاع ، الذي أنجيت من رَهق   شكرتُ ذلك ، إن الشكر مقسوم

من يفعل الخيرَ لا يعدمْ مغبّته   ما عاش ، والكفرُ بعد العُرْف مذموم [2]

كان يهولهم الغول أو الجنيّ ، ولعلّهم لم يروا الغول ، فقد حكي أنّ المستحيلات : الغول والعنقاء والخل الوفي ، وقد سمّوا الداهية عنقاء ، قال الشاعر :

ولولا سليمانُ الخليفة ، حلّقتْ   به ، من يد الحجّاج ، عنقاءُ مُغرب [3]

وجاء التصوير بما يهوّل ، قال امرؤ القيس مشبّهاً بأنيابها :

أيقتلني والمشرفيّ مُضاجعي   ومسنونة زرقٌ كأنياب أغوال [4]

ولذلك سمّوا الغول بالخيتعور ، وهو كل شيء لا يدوم على حال واحد ، قال الشاعر:

كلُّ أنثى وإنْ بدا لكَ منها   آيةُ الحبّ ، حبُّها خيتعور [5]

ولأنّها تتلون وتُتخيّل ، فالغول لا تقدر أن تضل أحدا ، ولكن في الجنّ سحرة كسحرة الإنس لهم تلبيس وتخييل ، لِما في الحديث « لاغول ولكنّ السّعالي »[6] ، وهم سحرة

---

(١) إنّ الملائكة مخلوقون من نور ولهم القدرة على التشكّل بإذن الله تعالى « فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً » ، « وجعلوا بينه وبين الجنّة نسبا » يقال الجنّة هنا الملائكة ، وبقدرة الخالق لا شيء مستحيل عليه ، وخاصة عند علمنا « ولله جنود السموات والأرض » والآدمي بنيان الرب ملعون من هدمه ، وهو مكرّم عند ربه . فلا غرابة من الإيحاء لإنقاذ الإنسان من مشارف الهلاك بسبب ظمأ الصحراء المحرقة .

(٢) معجم البلدان : (أبيرة) ، والشجاع : الحية الذكر ، و(شامة) جبل قرب مكة .

(٣) اللسان – عنق – .

(٤) الديوان ٦٢ ، المشرفيّ : السيف ينسب إلى المشارف ، المسنونة الزرق : السهام ، واللسان – غول – .

(٥) اللسان – ختعر – .

(٦) اللسان – سعل – .

الجن.

وقد أشغل الجن – العالم المستتر – بالَ العرب ، فشبّهوا به ما يروعهم ويهولهم ، وصّوروه فنياً ، قال عبيدة أحد بني قيس بن ثعلبة :

أليسوا فوارسَ يوم القـــــرا ت والخيل بالقوم مثل السعالي [1]

وقال لبيد :

غُلْبٌ تشذَّرُ بالذُّحول ، كأنهـــــا جِنّ البـديّ رواسيـاً أقدامُهـــا [2]

وقال أيضا :

ليبكِ على النعمان شَرْبٌ وقَيْنَة ومختبطات ، كالسَّعالى ، أراملُ [3]

عليهن ولدان الـرهـان كأنهـا سعال وعقبان عليها الـرحائـل

وقال الأعشى :

وشيـوخٍ حربى بشطّي أريـك ونساءٍ كأنهن السَّعالــــــي [4]

٣- الشعراء والشياطين

صرّح الشعراء بأن شياطينهم تلهمهم القول ، وعزا حسان شِعْرَهُ في جاهليته إلى شيطانه بقوله :

إذا ما ترعرعَ فينا الغـــــلام فما إنْ يقالُ لـه من هُـــوَهْ

إذا لـم يُسدْ قبـل شـــدِّ الإزار فذلك فينا الـذي لا هُـــوَهْ

ولي صاحب من بني الشَّيْصَبان فطَوْراً أقـول وطوراً هُـــوَهْ [5]

---

(١) معجم البلدان : (قُرات) ، واد بين تهامة والشام ، كانت به وقعة .

(٢) معجم البلدان : (البدّي) واللسان : شذر ، بين الزرائب والحوضى ، وواد لبني عامر ، يصوّر الوفود بأنها فحول غلب ، والتشذّر : التوعد والتهدّد ، والذّحول : جمع الذّحْل ، وهو طلب المكافأة بجناية من قتل أو جرح ، أو العدواة والحقد ، الديوان ١٧٧ .

(٣) معجم البلدان : (أفاقه) واللسان – سعل – ، من منازل آل المنذر ، شبّه الأرامل بالسعالى لتشعثهن وشبّه الخيل بالسعالى ، الديوان ١٣٣ .

(٤) معجم البلدان : أريك، وهو جبل بالبادية واللسان – غول – والحربى : جمع حريب ، المسلوب المال ، الديوان ١٩٩ .

(٥) الديوان ٤٢٢ ، والهاء في « هوه » للسكت ، والشيصبان : قبيلة جن .

ولم يكتفوا بنسبة الشعر إلى الشياطين ، بل كان لكل شاعر شيطانه المسمّى ، قال الأعشى :

دعوتُ خليليَ مِسْحلاً ، ودعَوْا لـه　　　جهنّام جدعاً للهجين المذمَّـــم [1]

ويقول أيضاً معترفاً بأنّ مسحلا يوحي إليه :

وما كنتُ شاحِرْداً ولكنْ حسبتُني　　　إذا مِسجَلٌ سدّى ليَ القولَ أنطق

شريكان فيما بيننا من هوادة　　　صفيّان جنّيٌّ ، وإنس موفّـــق [2]

٤- الزجر والعيافة

شاعت عادة زجر الطير والوحوش وغيره ، والتفاؤل أو التشاؤم بأسمائها وأصواتها عند العرب قبل الإسلام ، وورد ذلك في أشعارهم .

فما تيامن منها سمّوه سانحاً ، وما تياسر سموه بارحا ، وما استقبلهم فهو الناطح ، وما جاء خلفهم فهو القعيد [3] . واختلفوا في تفاؤلهم وتشاؤمهم بها ، فمنهم من يرى السانح أحسن حالا في التيمن من البارح ؛ لأنّ ما يمرّ لديهم من جهة اليسار إلى اليمين يكون أمكن للرمي والصيد ، وفي المثل : من لي بالسانح بعد البارح ؟ [4]، قال أبو ذؤيب:

أربتُ لإربته ، فانطلقـــــــتُ　　　أرجّي لحبِّ اللقاء سنيـــــــحا [5]

وتشاءم النابغة بالبارح :

زعم البوارح أنّ رحلتنا غـــــدا　　　وبذاك تنعابُ الغراب الأســـود [6]

وقال ابن مقبل :

فقلت ، وقد جاوزنَ بطن خُماصة :　　　جَرتْ دون بطحاء الظباءُ البوارحُ [7]

---

(١) الديوان ٢١٤ ، مسحل : شيطان الأعشى ، وجهنّام : تابعة .

(٢) الديوان ١٤٦ ، شاحرداً : أي متعلّم ، سدّى القول : أحسنه ، والهوادة : الرفق واللين .

(٣) اللسان سنح ، وبرح ، ونطح ، وقعد .

(٤) الميداني ٢/ ٣٠١

(٥) اللسان – سنح – .

(٦) اللسان : سنح ، والديوان ٤٦ ورواية أخرى « خبّرنا الغداف الأسود » وهي الرواية الصحيحة .

(٧) معجم البلدان : (خُماصة) ، موضع .

ومنهم من تشاءم بالسانح ، قال عمرو بن قميئة :

فبيني على طير سنيحٍ نحوسُه　　　وأشأم طيرِ الزاجرين سنيحُهـا [1]

وقال الأعشى :

أجارهما بشر من الموت بعدما　　　جرى لهما طيرُ السنيح بأشـام [2]

وتشاءم زهير بالسانح أيضا :

عفا من آل فاطمةَ الجـواء　　　فيمنٌ فالقوادمُ فالحسـاء [3]

جرتْ سنحاً فقلت لها أجيزي　　　نوًى مشمولةٌ فمتى البقـاء

وتشاءموا بنعيب الغراب فكرهوه ، لأنهم اعتقدوا أنه نذير بفراق الأحبّة [4] فقد أنذر عنترةَ ببعد أحبابه ، قوله :

ظعن الذين فراقَهم أتوقّـع　　　وجرى ببينهم الغراب الأبقـع

فزجَرْته ألاّ يفـرّخَ عشُّـه　　　أبـداً ويصبـحَ واحـد يتفجّـع

إن الذين نعَيْتَ لي بفراقهم　　　همْ أسهروا ليلي التمامَ فأوجعوا [5]

وتخوف النابغة من رحيل أحبّائه :

زعم العواذل أن رحلتنا غدا　　　وبذاك تنعاب الغراب الأسـود [6]

وتشاءموا بالرجل النطيح ، قال أبو ذؤيب :

فأمكنّه ممّا يريد ، وبعضهم　　　شقيّ ، لدى خيراتهنّ ، نطيـحُ [7]

---

(١) اللسـان - سنح - .

(٢) الديوان ٢١٦ ، واللسـان - سنح - .

(٣) معجم البلدان : (جواء) من مياه الضباب ، وعن من مياه مرّة ، والحِساء من مياه فزارة والقوادم . موضع لغطفان ، حيث جرت ظباء بينه وبين أهلها فقال البيت الثاني ، الديوان ١٢ .

(٤) الجاحظ ٣/١٣٦ .

(٥) الديوان ٣٣ ، الأبقع : الذي يداخل سواده بياض ، زجرته : طردته .

(٦) الأصفهاني ٩/١٥٧ ، والديوان ٣٤٦ برواية « وبذاك خبرنا الغداف الأسود » ، وهي الرواية الصحيحة .

(٧) اللسـان - نطح - .

وكذلك بالقعيد ، قال عبيد :

وقد جرى لهمُ فلم يتعيّفـــوا   تيسٌ قعيد كالوليّة أعضـــبُ [1]

ولقد تشاءموا بكلّ ما يتسبب لهم بالشر والضرر ، قال زهير :

فتنتجُ لكم غلمان أشأمَ كلّهـــم   كأحمر عادٍ ثم تُرضع فتفطـــم [2]

وفي لحظات السنّ المتقدم ييأس الشاعر من الحياة ، فيتذكر مأساة المصير ويختم القول بالشؤم ، قال امرؤ القيس :

فظلْتُ ، وظلّ الجَوْنُ عنـدي بلبـده   كأني أُعدّي عن جناح مهيـــض

يباري شباةَ الـرمـح خـدٌّ مـــذلّقٌ   كصفح السنان الصُّلّبيِّ النحيض [3]

أرى المرءَ ذا الأذواد يصبح مُحرَضاً   كإحراضِ بكرٍ في الديار مريـضِ

وإذا تشاءموا من المكان غيّروا اسمه ، كان يوم الدفينة من أيامهم لبني مازن بن عمرو بن تميم على بني سُليم ، فقال أنس بن عباس الرِّعلي :

أغرّك مني أنْ رأيتَ فوارســـي   ثوى منهمُ ، أعلى الدفينة ، حاضر [4]

فتطيرّوا من اسم الدفينة فسمّوها الدثينة ، قال النابغة :

وعلى الرُّميثة من سُكين حاضـــر   وعلى الدُّثينة من بني سيـار [5]

وقد جعلوا الرضيّة اسماً بديلاً للغضبة تطيّراً من الغضب [6] وهي من قرى وادي عرَدات .

---

(١) الديوان ١٩ ، ورواية اللسان - قعد - « كالوشيجة أعضب » وجرى لهم بالشؤم : عرض ، التيس : الظبي ، القعيد : الذي يأتي من الخلف ، لم يتعيفوا : لم يزجروا الطير ، الولية : البرذعة التي تلي الجلد ، الأعضب : مكسور القرن .

(٢) الديوان ١٠٥ ، فصوّر نهاية الحرب الوخيمة التي تأتي بالغلمان الشؤم الذين هم كقدار عاقر الناقة .

(٣) معجم البلدان : الصُّلّب ، موضع ينسب إليه رماح ، والجون : الفرس الأدهم الأسود ، واللبد : بساط تحت السرج ، أعدّي : أتكئ ، الشباة : الحد ، المذلّق : المحدّد ، النحيض : الرقيق ، الذود : قطيع الإبل ، أقل من ثلاثين ، المحرّض : السقيم ، الديوان ١٦٠ .

(٤) معجم البلدان : (الدفينة) ، منزل لبني سُليم كان فيه يوم .

(٥) معجم البلدان : الدثينة ، منزل لبني سليم ، والرميثة : ماء لبني سيّار من فزارة ، الديوان ٦٧ .

(٦) معجم البلدان : (عردات) ، واد لبني بجيلة بين اليمن ونجد .

على أنّ الزجر وهم لا يتّكئ إلى مبدأ المنطق والعقلانية ، فرفضه بعضهم ، وهذا لبيد يصدّق بالقدر ، ويسند مفاتح الغيب إلى اللّه تعالى وحده :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجراتُ الطّير ما الله صانع [1]

ويشاركه صُريم التغلبي المعروف بأفنون ، في هذا التصديق ، عندما أخبره كاهن بأنّه سيموت في مكان يقال له الألاهة ، فلم يثنه ذلك عن السفر إلى الشام ، وبينا هو سائر مع رهطه ، نُهش حماره ، فقال : إني ميت ، قال رهطه : ما عليك باس ، قال : ولمَ ركض الحمار ؟ فأرسلها مثلاً ؛ ثم قال ، وهو يجود بنفسه :

فلا خير فيما يكذبُ نفسَه وتَقْواله للشيء : ياليت ذا ليا !

كفى حزناً أن يرحل الركب غُدوة وأُصبح في عُليا الألاهة ثاويا [2]

وجاء الإسلام ناهياً عن ربط النفع والضرر بالسانح والبارح « لا عدوى ولا طيرة [3] » حتى لا يركنوا إلى مثل ذلك ، ويعجبه، عليه السلام ، الفأل الصالح ، والكلمة الحسنة ، وأبطل التطيّر بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ونحوها ، و « إن كان الشؤم ففي ثلاث »[4] فشؤم الدار في ضيقها وسوء جارها ، وشؤم المرأة أن لا تلد ، وشؤم الفرس ألاّ يُركب .

٥- الهامة والصدى

كانت العرب تزعم أن القتيل إذا لم يدرك بثاره خرج من رأسه طائر يسمى الهامة كالبومة والذكر منه الصدى ، فيصيح على القبر بطلب السقيا ، فإن قُتل القاتل كفّ عن صياحه ، قال ذو الأصبع العدواني :

ياعمرو ، إنْ لا تدعْ شتمي ومنقصتي أضربْك حتى تقولَ الهامةُ : اسقوني [5]

---

(١) الديوان ٩٠ واللسان : طرق ، والطوارق : المتكهنات .

(٢) معجم البلدان : (الألاهة) ، موضع .

(٣) معجم البلدان : (طِيرة) ، قرية بدمشق من قوله عليه السلام : لا عَدْوى ولا طيرة » .

(٤) اللسان - شأم - .

(٥) اللسان - صدي - ، وهوم .

ويزعمون أيضاً أن عظام الميت تصير هامة فتطير ، يسمّون ذلك الطائر من هامة الميت إذا بَلي "الصّدى" [1] ، وجمعه أصداء ، قال أبو دؤاد :

نخلات من نَخل بيسان أينَعْـ ـنَ جميعاً ونبتهُنّ تُـؤامُ
وتـدلّـت على مناهـلِ بُـرْدٍ وفُليج مـن دونها وسنـامُ
سلّطَ المـوتُ والمنـون عليهـم فلهم في صدى المقابر هامُ [2]

وقال لبيد :

فليس الناس بعدَك في نقير وليسوا غيرَ أصداءٍ وهـامِ [3]

وقال أبو قلابة الهذلي :

رُبَّ هامةٍ تبكي عليك ، كريمةٍ بألوذَ ، أو بمجامع الأضجـان
وأخ يـوازن مـا جنيـتُ بقـوّة وإذا غويتُ الغيّ لا يلحانـي [4]

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

فإن تمسِ في قبر برهوة ثاوياً أنيسُك أصداء القبور تصيحُ [5]

وقد استعطف عبيد حُجْراً لَما طرد بني أسد إلى تهامة بقصيدة قال فيها أنّ الوديان تعجّ بتوجّع المنكوبين وأصوات الهام :

في كلّ وادٍ بين يَثْـــــــ ربَ والقصور إلى اليمامَهْ
عانٍ يُساق به وصـــــو تُ محـرّقٍ وزقـاءُ هامــهْ [6]

---

(١) معجم البلدان : (الهام) ، قرية باليمن بها معدن العقيق ،(صدّي) اسم ماء وهو تصغير الصدى الذي يُعني العطش أو ذكر اليوم.

(٢) معجم البلدان : (بيسان) .

(٣) اللسان - صدى - والديوان ٢٠٣ .

(٤) معجم البلدان : (ألوْذ) ، موضع ، ويلحى : يلوم ويعذِلُ .

(٥) معجم البلدان : (رهوة) ، موضع .

(٦) معجم البلدان : (يثرب) ، قيل قرية باليمامة قرب جبل وشم ، ومدينة بحضرموت نزلها كندة ، ويعني بالقصور : قصور المناذرة بالحيرة ، وبنو المحرّق : الذين أضرم اللخميون النار فيهم ، والهامة : البومة .

٦- العقر على القبور

اعتاد العربُ في الجاهلية أن يعقروا عند القبر ، وسمّوا العقيرة البليّة ؛ لزعمهم أنّهم سيحشرون ركباناً على البلايا ، وإذا لم يعقروا ربطوا ناقة الميت وشدّوا رأسها إلى خلفها وتترك حتى تموت جوعاً وعطشا ، فتكون ناقة بِلْو أبلاها الجوع والعطش .(١) وهذا رجل من بني فهر يعتذر ألاّ يكون عقر ناقته على قبر ربيعة بن مُكدَّم :

ولولا السِّفار وبُعْد خرق مهمهٍ لتركتها تحبُو على العرقوب (٢)

وقد يعقرون الخيل ، قال فروة بن مسيك المرادي :

والخيل عَقْرى على القتلى مسوّمة كأنَّ دوراتها أسدارُ دوّام (٣)

وشبّه لبيد النساء المهزولات بالبلايا بقوله :

فالضيف والجار الجنيب ، كأنما هبطا تبالةَ مُخْصِباً أهضامُها (٤)

تأوي إلى الأطناب كلُّ رذيّةٍ مثلُ البليّةِ قالص أهدامُها

والمبلّيات هن النساء اللواتي يقمن حول راحلة أحدهم فينُحْنَ إذا مات أو قُتل ، قال الشاعر :

كالبلايا رؤوسها في الولايا مانحات السَّموم حُرَّ الخدود (٥)

على أنّ العقر بقي إلى عهد متأخر ، فقد عقرت ليلي الأخيلية بعيرَ زوجها على قبرتوبة الحُميّر ، فقالت :

عقرتُ على أنصاب توبةَ مُقْرَماً بهيدةَ إذا لم تختفِرْهُ أقاربُهْ (٦)

---

(١) اللسان - عقر - .

(٢) أيام العرب ٣١٧ ، الخرق : الفلاة الواسعة تتخرّق فيها الرياح ، يشتد هبوبها ، والمهمه : المقفرة .

(٣) معجم البلدان : (هُنا) ، موضع

(٤) معجم البلدان : (تبالة) ، موضع ببلاد اليمن ، الأهضام : جمع هضم ، وهي بطون الأودية ، والرذيّة : المهزولة ، الأهدام : جمع هدم وهي الخلقات ، الديوان ١٧٨ ، و ينظر : أبو سويلم : الإبل ١٣٤ .

(٥) اللسان - بلا - .

(٦) معجم البلدان : (بنتا هيدة) ، هضبتان في بلاد بني عامر بن صعصعة ، قتل عندهما توبة بن الحميِّر الخفاجي الشاعر اللص وأحد العشاق المشهورين ، مرّت به ليلى فعقرت عليه جمل زوجها ، كانت أشعر النساء لا يقدّم عليها غير خنساء .

وربما يعقرون المطايا في الحروب إغاظة للخصم ، مثلما عُقرت مطية الأشعث الكلبي ، حيث قال :

وما عُقرتْ بالسّيلحين مطيتي وبالقصر إلاّ خشيةً أنْ أعيّرا [1]

٧- التمائم

اعتاد العرب تعليق التمائم ونوّعوها ، فاتخذوا الخرز عُوذة يعلّقونها على الأولاد ، ينفون بها النفس والعين بزعمهم ، قال سلَمة بن الخُرْشب :

تُعوّذُ بالرُّقى من غير خَبْلٍ وتعقد في قلائدها التميمُ [2]

وعندما نجا ضبيعة بن الحارث العبسي من طعنة عامر بن الطفيل توعّده :

فإن تنج منها يا ضُبيع فإنني وجدِّك لم أعقدْ عليك التمائما [3]

وكانوا يعلّقون كعب الأرنب على أجسامهم ، قال امرؤ القيس :

يا هذا لا تنكَحِي بُوهةً عليه عقيقته ، أحسبا
مرسّعة بين أرساغه به عَسَمٌ يبتغي أرنبا [4]
ليجعلَ في كفّه كعبَها حذارَ المنيّة أن يَعْطبا

لكن البيئة العربية لم تخل من عقلاء يستخِفُّون بهذه العادات ، قال صخر الغي :

لعمرك والمنايا غالباتٌ وما تغني التميماتُ الحِماما [5]

وقال عروة بن الورد

وقالوا احبُ وانهقْ لا تضرُّك خيبرٌ وذلك من دين اليهود وَلُوعُ
لعمري لئن عشّرْتُ من خشية الردى نُهاقَ الحمير إنني لجزوعُ

---

(١) معجم البلدان : (سَيْلحون) ، بين الكوفة والقادسية .

(٢) اللسان – تمم – .

(٣) الديوان ٧٦ ، الجد : الحظ .

(٤) الديوان ٣٩٨ ، البوهة : البومة يشبه بها الأحمق ، عقيقته : شعره الذي وُلد به ، والحُسْبة : صهبة تضرب إلى حمرة ،المرسّعة : سير يجعل في أرساغه ، دفعاً للعين ، العَسَم : مرض العين ، كانوا يجعلون كعب الأرنب في الرجل كالمعاذة .

(٥) معجم البلدان : (أدام) ، من أودية مكة .

فلا وألَتْ تلك النفوس ولا أتت على روضة الأجداد وهي جميعُ [1]

وهذه التمائم أبطلها الإسلام ، وقول الهذلي يمثّل التصديق بالقدر :

وإذا المنيّةُ أنشبتْ أظفارَها ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ [2]

٨- الرتم

كان الرجل إذا عزم على سفر يعمد الى شجرة فيعقد غصنين منها ، أو يعقد خيطاً في غصنها أو ساقها ، فإذا عاد وبقي على حاله ، علم أن زوجته حفظت غيبته ، ويؤكّد هذه العادة قول الشاعر :

هل ينفعَنْك اليوم إنْ همّتْ بهم كثرةُ من توصي وتعقادُ الرتم ؟ [3]

وجاء في الحديث النهي عن شدّ الرتائم [4] .

هكذا نرى أنَّ الشعر الجاهلي كان صدًى قويّاً للحياة العربية ، ما جلّ منها وما صغُر ، وأنَّ الوقوفَ على حياة العرب قبل الإسلام أمرٌ ضروري لمن يدرس أدبَهم وعقليتهم ، فقد بزغ الإسلام فوجد عادات ومعتقدات وأخلاقاً وصلات ، أبقى على بعضها وهذّب بعضها ، واجتثَّ بعضها من جذوره . وأنّ دراسة الأدب القديم هي إحدى الوسائل لدراسة المجتمع الجاهلي .

---

(١) معجم البلدان : (روضة الأجداد) واللسان : عشر ، ببلاد غطفان ، قرب وادي القُصيبة ، قيل أنّ عروة خرج وأصحابه إلى خيبر يمتارون منها ، فعشّروا خوفاً من وباء خيبر ، والتعشير هو نُهاق الحمير عشرا ، لكن عروة أبى ، وامتاروا ورجعوا ، ولما بلغوا روضة الأجداد ماتوا إلاّ عروة ، الديوان ٥٩ ، والولوع : الإغراء والجزوع : المشفق ، ولا وألت : لانجت ، الموئل : المنجى

(٢) اللسان – تمم – .

(٣) معجم البلدان : (رتم) ، موضع في بلاد غطفان ، والرّتم : جمع رتمة ، وهو ضرب من الشجر .

(٤) اللسان – رتم – .

الخاتمة

إنّ دلالات اختيارات ياقوت الشعرية قد ارتبطت ارتباطاً مباشراً بذكر الأماكن والبلدان والمواقع ، وهو الأساس الذي بنيت عليه اختياراته ، لكن ياقوت استطاع بما حشد في معجمه من اختيارات شعرية متنوّعة الأغراض والدلالات أن يكسب معجمه قيمة جغرافية وأدبيّة بإيراد الدلالات التاريخية والوقائع المتّصلة بالاختيارات الشعرية ، وجماليات شعر الغزل بما يثير من مشاعر وأحاسيس . وتفرّع من ذلك الوقوف على الأطلال وما يجرّه من العظة والاعتبار بزوال الديار وأهلها والحنين إلى المكان والشوق إلى أهله ، والتعبير عن الأسى والبعد عن الديار .

ومن مستلزمات ذكر المكان في الشعر ذِكر ما يتصل به من الأحداث ، فكانت الاختيارات تسجيلا للأحداث ، مما جعل شعر الأيام والوقائع في اختيارات المعجم أمراً واقعاً .

وتهدي اختيارات ياقوت الشعرية إلى أنّ شعر الجاهليين كان صدًى قوياً للحياة العربية ، تغنى به الشعراء بما اختلج بنفوسهم من آمال وآلام ، مصوّرين نزعاتهم وأخلاقهم وعاداتهم ، ومعبّرين عن عواطفهم بصدق وعفويّة .

وتعكس الاختيارات الجوانب الاجتماعية لدى الجاهليين ، حيث كان للمرأة مكانتها الاجتماعية والسياسية في الأسرة والقبيلة والمجتمع سواء أكانت أمّاً أم زوجة أم بنتاً ، في السلم والحرب ، كما وتوحي الاختيارات إلى أنّ المجتمع العربي كان على قدر من الوعي والتنظيم ؛ لأنّ نظمهم في الزواج والطلاق يدل على ذلك . وتدل الاختيارات بالتجمل والحلي وزينة الحدوج والملابس على أن الشعراء كانوا على صلة بالحضارة ، وأنّ العرب كانوا على صلة بالكتابة أيضاً من خلال شواهد الأطلال .

وعكست الاختيارات الشعرية العلاقات القبليّة الدامية في العصر الجاهلي من أجل لقمة العيش وشربة الماء وحبّ السيادة والدعوة إلى نصرة العصبيّة ، فكانت أيامهم حروباً مستمرة .

دراسة الاختيارات إحدى الطرق لدراسة حياة العرب في الجاهلية ، التي ارتبطت

ارتباطاً وثيقاً بالمطر ، وعند احتباسه يحل بهم الجفاف ؛ فيسود الفقر بِبيئتهم ، مما يبعث الإعجاب في نفوسهم لمواجهة الأحوال المعيشية ، فتبرز أنماط إيجابية كالكرم والشجاعة والغيرة والأباء والعفّة .

وألقت الاختيارات الشعرية الضوء على بعض من جوانب الفكر الديني والمعتقدات والعادات الجاهلية ، فمارسوا شعائر متعددة كان الحج أهم شعيرة منها ، وعزّزوه بشعائر إضافية كالطواف عراة ، والتصفيق والصّفير ، وهم إلى جانب ذلك يذكرون أصنامهم وأوثانهم كوسيط تعبّدي ، في حين أنّ هذه العبادات لم تُرضِ بعضَهم ممن كان من الأحناف.

وبما عكسته الاختيارات الشعرية من حياة الصحراء القاسية ، ووحشة القيعان والليل المظلم ، ادّعى منهم أنّهم رأوا الجن وخالطوها ، كما مارسوا جوانب من عادات اعتقدوا أنّها تعود عليهم بالنفع ودفع الضرر .

وبيّنت الاختيارات الشعرية في المعجم ذكريات الشعراء بالأماكن ، إذا كانت هذه الأماكن مثار عواطفهم وأحاسيسهم ، مما يجعل للبيئة الدور الهام في تكوين أبنائها ؛ لأنها تترك بصماتها على كثير من حياتهم المختلفة ، وهذا ما يجعل الشعر أدقّ تصوير لتناوله ما يهمله التاريخ الذي يتعرّض لأن يميل مع الذات .

وتعدد دلالات الاختيارات الشعرية في المعجم جعلته يخرج عن جمود المؤلف الجغرافي الذي يقتصر على الاستشهاد الأساسي لشعر البلدان بما فيه من أسماء الأمكنة والمواقع ، إلى أن يكون ديواناً أدبيا حوى أشعاراً وأخباراً نادرة لم يُعثر عليها في مصادر أخرى ، وهذا ما يلتمسه القارئ للمعجم .

إن الجدّة في هذا البحث هو أن اختيارات ياقوت الحموي الشعرية في معجمه جاءت مصوّرة للحياة العربية قبل الإسلام ؛ بما أوردته من دلالات متنوعة الأغراض شملت جميع نواحي الحياة العربية ، فنطقت اختياراته بلسان حال الحياة العربية في العصر الجاهلي ، وكانت صدى لها.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير ، أبو الحسن علي (-٦٣٢هـ) : الكامل في التاريخ ، دار صادر : بيروت ١٩٦٥م .

٢- الألوسي ، محمود شكري (-١٣٤٣هـ) : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، المكتبة الأهليه بمصر ١٩٢٤م .

٣- أحمد الحوفي :

أ- أغاني الطبيعة في االشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة : ١٩٥٨م .

ب- الغزل في العصر الجاهلي ، دار القلم : بيروت ١٩٦١م .

جـ- تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، دار نهضة مصر : الفجالة ، القاهرة ١٩٦٨م .

د- الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ١٩٧٢م .

هـ- المرأة في الشعر الجاهلي ، دار نهضة مصر : الفجالة ، القاهرة ١٩٨٠م .

٤- الأصمعي ، عبدالملك بن قريب -٢١٦هـ : الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦م .

٥- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (-٣٥٦هـ) :

أ- الأغاني : مصّور عن طبعة دار الكتب ، مؤسسة الجّمال للطباعة : بيروت (د.ت).

ب- أخبار النساء في كتاب الأغاني : شرح عبد الأمير مهنّا ، مؤسسة الكتب : بيروت ١٩٨٨م .

٦- الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس (-٧هـ) : الديوان ، شرح عمر الطبّاع ، دار القلم : بيروت ١٩٩٣م .

٧- امرؤ القيس بن حجر الكندي (-٧٦ ق.هـ) : الديوان ، تحقيق حنّا الفاخوري ، دار الجيل : بيروت ط١، ١٩٨٩م .

٨- أميّة بن أبي الصلت : حياته وشعره ، تحقيق بهجة الحديثي ، دارالشؤون الثقافية: بغداد ، ط٢، ١٩٩١م .

٩- أنور أبو سويلم :

أ- الإبل في الشعر الجاهلي ، دار العلوم الرياض ١٩٨٣م .

ب- المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمّار : عمّان ١٩٨٦م .

جـ- شعر المسيب بن علس ، منشورات جامعة مؤتة ١٩٩٤م .

١٠- بشر بن أبي خازم الأسدي : الديوان ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠م .

١١- البكري ، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز الأندلسي (-٤٨٧هـ) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقّا وعالم الكتب : بيروت ١٩٨٣م.

١٢- التبريزي ، أبو زكريّا يحيى بن علي (-٥٠٢هـ) : شرح المفضليات ، تحقيق علي البجاوي ، دار نهضة مصر : القاهرة ١٩٧٧م .

١٣- الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر (-٢٥٥هـ) :

أ- البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٦٨م .

ب- الحيوان ،تحقيق عبد السلام هارون،مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر(د.ت) .

١٤- جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (د . ت) .

١٥- حاتم الطائي (-٤٥ ق.هـ) : الديوان ، شركة دار الأرقم للطباعة : بيروت (د . ت) .

١٦- حاجي خليفة : مصطفى عبدالله (-١٠٦٦هـ) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، طبعة مصر .

١٧- الحارث بن حلزّة (-٥٢ ق.هـ) : الديوان ، دار القلم ، بيروت ١٩٩٤م .

١٨- حسان بن ثابت (-٤٠هـ) : الديوان ، شرح يوسف عيد ، دار الجيل : بيروت ، ط١، ١٩٩٢م .

١٩- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية : القاهرة ١٩٦٧م .

٢٠- حسني عبد الجليل : العذل في الشعر الجاهلي ، مكتبة الآداب : القاهرة ، ١٩٨٩م .

٢١- حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي ، دار الجيل : بيروت ١٩٨٧م .

٢٢- ابن خرّداذبة ، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله : المسالك والممالك ، مطبعة بريل : ليدن ١٩٦٧م .

٢٣- خفاف بن ندبة السلمي : شعره ، تحقيق نوري القيسي ، مطبعة المعارف : بغداد ١٩٦٨م .

٢٤- ابن خلدون ، ولي الدين أبو زيد عبدالرحمن (-٨٠٨ هـ) :

أ- المقدمة ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر (د .ت)

ب-تاريخ ابن خلدون ، طبعة القاهرة ١٩٧١م .

٢٥- ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد (-٦٨١هـ) : وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر : بيروت ١٩٦٨م .

٢٦- الخنساء، تُماضر بنت عمرو بن الشريد (-٢٤هـ) : الديوان : المكتبة الثقافية : بيروت (د . ت) .

٢٧- أبو دؤاد الإيادي : الديوان ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي ، تحقيق : غوستاف غربناوم ، ترجمة إحسان عباس ، مكتبة الحياة : بيروت ١٩٥٩م .

٢٨- الدرّة ، محمد علي طه : تفسير القرآن الكريم وإعرابه ، دار الحكمة : دمشق (د .ت)

٢٩- ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن (-٤٥٦ هـ) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل : بيروت ط٤ ، ١٩٧٢م .

٣٠- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (-٥٣٨ هـ) : كتاب الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق إبراهيم السامرائي ، مطبعة السعدون : بغداد (د . ت) .

٣١- زهير بن أبي سلمي :

أ- حياته وشعره ، إعداد محمد يوسف فرّان ، دار الكتب بيروت ط١ ، ١٩٩٠م .

ب- شرح الديوان بتعليق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب ، دار مكتبة الحياة : بيروت ١٩٨٦م .

٣٢- زيدان ، جرجي (-١٣٣٣هـ) : تاريخ التمدّن الإسلامي ، مكتبة الحياة : بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٧م .

٣٣- سحيم عبد بني الحسحاس (-٤٠هـ) : الديوان ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ١٩٦٨م .

٣٤- السعدي ، عباس فاضل : دراسة في التراث الجغرافي ، دار الطليعة : بيروت ط١، ١٩٩٢م .

٣٥- ابن سلام الجمحي (-٢٣١هـ) : طبقات فحول الشعراء ، شرح محمود شاكر ، مطبعة المدني : القاهرة (د .ت) .

٣٦- سلامة بن جندل (-٢٣ ق.هـ) : الديوان ، تحقيق فخر الدين قباوة ، طبعة حاب ١٩٦٩م .

٣٧- السموءل (-٦٥ ق.هـ) : شعره ، تحقيق عيس سابا ، دار صادر : بيروت ١٩٦٤م .

٣٨- سويد بن أبي كاهل : الديوان ، تحقيق شاكر العاشور ، دار الطباعة : البصرة ١٩٧٢م .

٣٩- الشنفرى (-٧٠ ق.هـ) : الديوان ، ضمن مجموعة « الطرائف الأدبية » جمعها عبد العزيز الميمني ، دار الكتب : بيروت (د . ت) .

٤٠- الشنقيطي ، أحمد بن الأمين : شرح المعلقات العشر ، مكتبة النهضة : بغداد ١٩٨٨م.

٤١- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ،العصر الجاهلي ،دار المعارف : القاهرة ١٩٦٠م.

٤٢- الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم : بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م .

٤٣- الطبري ، محمد بن جرير (-٣١٠هـ) : تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر: بيروت ط١ ، ١٩٨٧م .

٤٤- طرفة بن العبد : الديوان ، دار القلم : بيروت ، ١٩٩٤م .

٤٥- عامر بن الطفيل : الديوان ، دار القلم بيروت ، ١٩٩٤م .

٤٦- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (-٣٢٨هـ) : العقد الفريد ، مطبعة لجنة التأليف والنشر : القاهرة (د . ت) .

٤٧- عبد الفتاح النجار : التجديد في الشعر الأردني ، دار ابن رشد : عمان ١٩٩٠م .

٤٨- عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في النقد العربي ، دار العلوم : الرياض ١٩٨٤م .

٤٩- عبد الوهاب الصابوني : شعراء ودواوين ، مكتبة دار الشروق : بيروت ١٩٧٨م .

٥٠- عبيد بن الأبرص (-٢٥ ق.هـ) : الديوان ، بشرح عمر الطبّاع ، دار القلم : بيروت ١٩٩٤م .

٥١- عدي بن زيد العبادي : الديوان ، تحقيق محمد جبّار المعيبد ، دار الجمهورية : بغداد ١٩٦٥م .

٥٢- عروة بن الورد (-٣٠ ق.هـ) : الديوان بشرح عمر الطبّاع ، دار القلم : بيروت ١٩٩٤م .

٥٣- عفيف عبد الرحمن :

أ- الشعر وأيام العرب ، منشورات جامعة اليرموك : إربد ١٩٨١م .

ب- مكتبة العصر الجاهلي وأدبه ، بيروت ١٩٨٤م .

٥٤- علي البطل : الصورة الفنية في الشعر العربي ، دار الأندلس : بيروت ١٩٨٠م .

٥٥- علي العتوم : قضايا الشعر الجاهلي ، مكتبة الرسالة الحديثة : عمان ، ط١ ، ١٩٨٢م.

٥٦- عمر الأسعد : مجمع أشعار معجم البلدان ، دار النفائس : بيروت ١٩٩١م .

٥٧- عمرو بن شاس الأسدي : شعره ، تحقيق ، يحيى الجبوري ، طبعة النجف : العراق ١٩٨٦م .

٥٨- عمرو بن كلثوم (-٥٢ ق.هـ) : الديوان ، بشرح عمر الطباع ، دار القلم : بيروت ١٩٩٤م .

٥٩- عمرو بن معد يكرب الزبيدي : شعره ، تحقيق مطاع الطرابيشي ، مجمع اللغة العربية : دمشق ١٩٧٤م .

٦٠- عنتره بن شداد العبسي (- ١٠ ق.هـ) : الديوان ، بشرح عمر الطباع ، دار القلم : بيروت (د.ت).
٦١- ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (-٢٧٦هـ) :
أ- كتاب الأنواء في مواسم العرب ، طبعة حيدر أباد : الهند ١٩٥٦م .
ب- الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء ، تحقيق مفيد قميحة ومراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب : بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥م .
جـ- الميسر والقداح ، تصحيح محب الدين الخطيب ،المطبعة السلفية : القاهرة ١٩٢٣م .
٦٢- القرشي ، أبو الخطاب : جمهرة أشعار العرب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر : القاهرة ١٩٦٧م .
٦٣- القطب ، سمير عبد الرزاق : أنساب العرب ، الدار العربية : عمان ١٩٨٩م .
٦٤- القفطي ، جمال الدين (-٦٤٦هـ) : أنباه الراوة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب : القاهرة ١٩٧٣م .
٦٥- قيس بن الخطيم (-٢ ق.هـ) : الديوان ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر : بيروت ١٩٦٢م .
٦٦- كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليا : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، لينتغراد ١٩٥٧م ، ومطبعة لجنة التاليف : القاهرة ١٩٦٣م .
٦٧- الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب :
أ- أنساب الخيل ، تحقيق نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٧م .
ب- كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد زكي ، دار الكتب : القاهرة ١٩٢٤م .
٦٨- لبيد بن ربيعة (-٤١هـ) : الديوان ، دار صادر : بيروت (د . ت) .
٦٩- لوبون ، غوستاف : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب : بيروت ط٢ ، ١٩٤٨م .
٧٠- مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي : مجموع شعرهما ، ابتسام الصفّار ، مطبعة الإرشاد : بغداد ١٩٦٨م .

٧١- المثقب العبدي ، عائذ بن محصن (-٣٥ ق.هـ) : الديوان ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، الشركة المصرية للطباعة : القاهرة ١٩٧١م .
٧٢- محمد أحمد جاد المولى ورفيقاه : أيام العرب في الجاهلية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨م .
٧٣- محمد نعمان الجارم : أديان العرب في الجاهلية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ،١٩٢٣م.
٧٤- محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الفكر : بيروت (د . ت) .
٧٥- المرزوقي ، أبو علي : (-٤٢١هـ) كتاب الأزمنة والأمكنة ، طبعة حيدر أباد : الهند ١٩١٣م .
٧٦- مصطفى جواد : الضائع من معجم الأدباء ، شركة المعرفة للنشر : بغداد ١٩٩٠م .
٧٧- ابن مقبل ، تميم بن أبي (-٢٥هـ) : الديوان ، تحقيق عزة حسن ، مطبوعات وزارة الثقافة : دمشق ١٩٦٢م .
٧٨- ابن منظور، أبو الفضل جمال محمد بن مكرم (-٧١١هـ) : لسان العرب ، دار صادر : بيروت ط١، ١٨٨٢م .
٧٩- الميداني ، أحمد بن محمد (-٥١٨هـ) : مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنّة المحمدية ١٩٥٥م .
٨٠- النابغة الذبياني (-١٨ق.هـ) : الديوان ، بشرح عمر الطباع ، دار القلم : بيروت ١٩٩٤م .
٨١- ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، بمصر ١٩٦٩م .
٨٢- ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (-٣٨٥هـ) : الفهرست ، مطبعة دانشكاه : طهران (د . ت) .
٨٣- نصرت عبد الرحمن : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، مكتبة الأقصى : عمان ١٩٧٦م .
٨٤- نوري القيسي :
أ- الطبيعة في الشعر الجاهلي ، دار الإرشاد : بيروت ١٩٧٠م .

ب- البطل في التراث ، دار الشؤون الثقافية : بغداد ١٩٨٨م .

٨٥- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (-٧٣٣هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب : القاهرة ١٩٣٢م .

٨٦- الهذليون : شرح أشعارهم ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٦٥م .

٨٧- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِميريّ (-٢١٥هـ) : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا ورفيقاه ، دار الخير : بيروت ١٩٩٦م .

٨٨- وهب رومية : الرحلة في القصيدة الجاهلية ، اتحاد الكتاب : بيروت ١٩٧٥م .

٨٩- ياقوت الحموي ، أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (-٦٢٦هـ) :

أ- معجم البلدان : دار صادر : بيروت ١٩٨٤م .

ب- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب : دمشق ١٩٥٤م .

٩٠- اليعقوبي ، أحمد بن جعفر بن وهب : تاريخ اليعقوبي ، تحقيق وليم رايت ، ليدن بريل ١٩٦٩م .

٩١- يوسف بكار : في العروض والقافية ، دار الفكر : عمان ١٩٨٤م .

٩٢- يوسف خليف : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : دار المعارف بمصر ١٩٥٩م.

٩٣- يوسف اليوسف : مقالات في الشعر الجاهلي ، دار الحقائق : بيروت ط٤ ، ١٩٨٥م.

الدوريات

١- خليل أبو رحمة : قراءة في تلبيات العرب ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية : جامعة الكويت ، العدد ٢٧ ، المجلد السابع ١٩٨٧ .

٢- شريف يوسف : الكعبات المقدّسة عند العرب ، مجلة المجمع العلمي العراقي –بغداد مجمع ٢٩ سنة ١٩٧٨م .

٣- عفيف عبد الرحمن : القيم والمثل في الشعر الجاهلي، مجمع اللغة العربية الأردني: عمان ١٩٨١م .

٤- عمر الأسعد : أشعار معجم البلدان ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، المجلد السادس ، العدد الثاني ، جمادي الآخرة ، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١م.

فهرس الشعراء

فهرس الموضوعات

ABSTRACT

This Study deals with the Poetic selections of Yaqut Al-Hamwi and their Implications. The indictions of Yaqut's poetic selections have been associated diretly with the mentioning of places, countries and positions, the basis on which his selections are based on. As a result for what Yaqut has gthered in his dictionary from poetic selctions that have various purposes and indications, he was able to give his dectionary a literary and geographical value be refering to the historical indictions and the incidents that have connection with poetic selections, the beauty of love poetry which excites the feelings, spreading from them the standing on the remains, and what accompanies them from taking lessons, sermons and nostalgia.

From the requiremants of the place mentioning in peotry is the mentioning of the related events. Thus, the selections were a record for these events, which made the peotry of days and incidents in the dictionary selections is something real.

The poetic selections of Yaqut showed that the poetry of pre-Islamic era was a strong echo for Arab life which the poets use to describe their pains, hopes, morals and traditions and express their emotions with truthfulness and sincerity.

The selections reflect the social sides in the pre-Islamic ara, the woman for example had her political and social status in the family, tribe and the society whethes she was a wife or a doughter or in peace and war. The selections explicate also that the Arab society was on a good position of awarenees and orgainzation because thier systems of marriage and divorce were referring to that. The selctions suggest that using ornaments and clothes mean that the poets were in connection with civilization, and that the Arabs were in connection with writing also throughout the traces of the remains.

The poetic selections reflect the bloody tribal relations in the pre-Islamic in order to earn hisliving, the love of control and the call for the fanatic prevalence. Thus, we find that their days were a continous wars.

In fact, the study of selections in considered as one way of studying the Arab life in the pre-Islamic are which is associated strongly with rain, esp-cially when dryness tookplace. As a result, poverty dominates their environment which in turn led them of face such cricumstances by adopting very influential patternes such generiosity, courage, zealotray pride and chastily.

The poetic selections focus on some religious traditional pre-Islamic thoughts-Therefore, people practise several rituals among which the pilg-rimage was the most important which enhanced then by an additional rituals such as circumambulation naked, clapping, and whistling. Besides, they mention the idols and gods as worship mediator, whereas such kinds of worshipping were not acceptable by some, part icularly the " ahanaf " (the true believers).